جامعة الجزائر 3
كلية العلوم السياسية و العلاقات الدولية

محاضرات في تاريخ الفكر السياسي

مطبوعة خاصة بطلبة السنة الأولى

د. تمغارت إسمهان

2021-2020

الفهرس

العنوان .....الصفحة

مدخل حول مادة تاريخ الفكر السياسي

محور اول : الفكر السياسي الأوروبي القديم

أولا: الفكر السياسي اليوناني.....8

1- الحضارة اليونانية و الفكر السياسي قبل أفلاطون..... 12
2- الفكر السياسي عند "أفلاطون"..... . 13
3- الفكر السياسي عند "أرسطو" 19

ثانيا : الفكر السياسي الروماني..... 23

1- العوامل المؤثرة في الفكر السياسي الروماني.....23
2- الفكر السياسي عند "بوليبيوس"..... 29
3- الفكر السياسي عند "شيشرون".....31
4- الفكر السياسي عند "سينيكا".....33

محور ثاني : الفكر السياسي المسيحي (القديم و الوسيط)

أولا :أفكار "القديس اغستين".....36

ثانيا : أفكار" توماس الاكويني".....38

محورثالث : الفكر السياسي عند المسلمين الى غاية سقوط الخلافة الإسلامية

أولا : "أبو الحسن الماوردي"..... 46

ثانيا :" الفارابي".....50

ثالثا : "ابن سينا".....54

رابعا : "الغزالي".....59

خامسا : "ابن رشد".....65

سادسا : "ابن خلدون"..... 70

محور رابع : النهضة الأوروبية و تطور فلسفة الدولة فيها

أولا : الفصل بين الأخلاق و السياسة (نيكولاس مكيافيللي).....77

ثانيا : الإصلاح الديني و الفصل بين السلطة السياسية و السلطة الدينية (مارتن لوثر / جون كالفين).....83

ثالثا : نظرية السيادة عند "جون بودان".....92

رابعا : العقد الاجتماعي عند "توماس هوبز " و فلسفة الحكم الفردي المطلق.....98

خامسا : العقد الاجتماعي عند "جون لوك" و بروز الفلسفة الليبرالية.....103

سادسا : العقد الاجتماعي عند "جان جاك روسو" و فلسفة سيادة الشعب.....109

سابعا : نظرية الفصل بين السلطات عند "شارل لويس دي منتسكيو".....115

ثامنا : الديمقراطية و الليبرالية (ألكسي دي توكفيل / جون ستيوارت مل).....119

محور خامس : النظرية الماركسية و الطرح النقيض لفلسفة الدولة

أولا : الاشتراكية العلمية (ماركس / انجلز).....129

ثانيا : الماركسية الثورية (لينين/ تروتسكي).....136

محور سادس : مفكري النهضة العربية الإسلامية

اولا : "جمال الدين الأفغاني".....142

ثانيا : "محمد عبده".....150

المراجع

تاريخ الفكر السياسي

مدخل حول مادة تاريخ الفكر السياسي

أولا : موضوع تاريخ الفكر السياسي

يهتم تاريخ الفكر السياسي **بالأفكار الشفوية المنقولة أو المكتوبة التي صاحبت تطور الظاهرة السياسية** زمنيا منذ العصور القديمة إلى يومنا هذا ، و جغرافيا حسب التطور السوسيولوجي لكل امة أو مجموعة حضارية .

إذا كان موضوع الفكر السياسي هو الأفكار المتعلقة بالظاهرة السياسية ، فما الظاهرة السياسية إذن ؟

الظاهرة السياسية

الظاهرة السياسية تشمل ظاهرة **السلطة السياسية (1)** و كل **الظواهر المتصلة بها (2)** سواء كانت ظواهر ناتجة عنها او ظواهر تحتاج إلى تأطير سياسي .

أما **السلطة السياسية** فهي كما يقول "ماكس فيبر"علاقة السيطرة التي يمارسها الحاكم على المحكوم"[1] و ما تطرحه من مسائل متعلقة ب :

- أصل السلطة السياسية ، و مشروعية الحاكم أي تبريرات وجوده في السلطة
- آليات الوصول إلى السلطة و التداول عليها ،
- نمط السلطة السياسية و كيفية تنظيمها أي نوع النظام السياسي
- الممارسة السياسية بين القانون و الواقع
- الحريات العامة و الخاصة و طرق التواصل بين الحاكم و المحكوم

أما **الظواهر المتصلة بالسلطة السياسة** فهي كل مسألة تخص المصلحة العامة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وتحتاج إلى تاطير أو تقنين سياسي ، و قد تبدو مسائل غير سياسية مثل موضوع العلاقة بين الدين و السياسة ، العلاقات الأسرية أو المواضيع المتعلقة بالبيئة ، كما أنها ظواهر تطورية و لا متناهية.

[1] Dominique Chagnollaud, « Science politique », Dalloz, Paris, 1999,p 33.

إذا كل هذه المواضيع التي ذكرناها و التي تعبر عن الظاهرة السياسية ، سواء كانت ظاهرة السلطة السياسية البحتة أو الظواهر الفرعية المتصلة بها ، يمكن أن تصدر فيها أفكار تعتبر أفكار سياسية و من ثم تدخل ضمن الفكر السياسي ، و هذا ما سنلاحظه على مدى تناولنا لتاريخ الفكر السياسي في هذه المحاضرة .

ثانيا :الأفكار السياسية

إذا كانت الظاهرة السياسية هي الواقع السياسي الملموس و المتطور ، فان الفكرة السياسية هي ملاحظة ذلك الواقع السياسي و محاولة تفسيره و اقتراح حلول لمشكلاته ، و قد يصدر عن فلاسفة او منظرين او عن قادة سياسيين او حتى عن رجال ثوريين ، لذلك تشمل الأفكار السياسية الفلسفة و النظريات السياسية و العقائد و الإيديولوجيات [2] ، فقد بقيت تحت عنوان الأفكار السياسية لكي لا تقصي أي من هذه الوحدات المذكورة .

ثالثا : المجال الزمني و المكاني

يتبع تاريخ الفكر السياسي و حتى مضمونه السوسيولوجي نفس تطور الظاهرة السياسية زمنيا و جغرافيا ، لذلك يصبح من الممكن تسجيل تطوراته على خط التسلسل الزمني للتاريخ الذي ينقسم إلى المراحل الخمسة المعروفة :

- ← **ما قبل التاريخ** : هي العصور التي سبقت التأريخ و التي لا يعنى بها تاريخ الفكر السياسي لانعدام النصوص المكتوبة حول موضوعه في هذه المرحلة .
- ← **التاريخ القديم** : الذي يمتد من حوالي 3000 سنة قبل الميلاد مع ظهور الكتابة إلى غاية القرن الخامس ميلادي الذي سقطت فيه الإمبراطورية الرومانية ، و تميزت هذه الحقبة ببروز المدن السياسية الأولى التي شهدتها الحضارات القديمة في "الشرق الأوسط" و في "الشرق الأقصى" ، ثم الحضارة اليونانية التي قدمت المع الأنظمة و الأفكار السياسية في العصور القديمة و أخيرا الإمبراطورية الرومانية التي أسست أنظمة سياسية قوية صاحبتها أفكار عكست التراث الفكري

[2] PRELOT , Marcel , LESCUYER Georges, « histoire des idées politiques, éd. Dalloz,Paris,1975 p 1.

اليوناني و القوة السياسية الرومانية ، هذا دون إن ننسى الفكر السياسي الذي عبر عن النظرة المسيحية للسياسة بعد ثلاث قرون من ظهورها.

← ، التاريخ الوسيط : يمتد من سقوط روما الى غاية القرن الخامس عشر ، و يتميز بظهور الإسلام في بداية القرن السابع ميلادي ، و نلاحظ بان الدراسات الغربية في مجال الفكر السياسي لا تولي هذه المرحلة أهميه كبيرة ، ذلك أن أوروبا كانت تعيش ما يسمونه بعصر الظلمات الذي سيطرت فيه الكنيسة على العقول و الملوك ، في حين كان العالم الإسلامي يشهد ازدهار حضاريا مبهرا في الميادين العلمية و الأدبية و العمرانية صاحبه ظهور فكر سياسي ذو طابع ديني و فلسفي عميق ، لكن تطوره تراجع منذ سقوط غرناطة آخر قلاع الحضارة الإسلامية .

← التاريخ الحديث : يبدأ منذ القرن الخامس عشر إلى غاية القرن الثامن عشر، و الذي بدأت فيه النهضة الأوروبية في المجالات العلمية و الاكتشافات الجغرافية التوسعية و الثورة الصناعية التي صاحبتها تطورات سياسية انتهت بسقوط الأنظمة المطلقة و تراجع دور الكنيسة و من ثم ظهور التجارب الديمقراطية الليبرالية و ما صاحبها من نظريات سياسية .

← التاريخ المعاصر : يبدأ من القرن الثامن عشر إلى يومنا و يتميز بظهور النظريات النقيضة للأنظمة الليبرالية و الأفكار المناهضة للظاهرة الاستعمارية .

بناء على هذا يمكن تقديم المادة في ستة محاور هي :

محور اول : الفكر السياسي الأوروبي القديم

أولا: الفكر السياسي اليوناني

4- الحضارة اليونانية و الفكر السياسي قبل أفلاطون
5- الفكر السياسي عند "أفلاطون"
6- الفكر السياسي عند "أرسطو"

ثانيا : الفكر السياسي الروماني

5- العوامل المؤثرة في الفكر السياسي الروماني
6- الفكر السياسي عند "بوليبيوس"
7- الفكر السياسي عند "شيشرون"
8- الفكر السياسي عند "سينيكا"

محور ثاني : الفكر السياسي المسيحي (القديم و الوسيط)

أولا :أفكار "القديس اغستين"

ثانيا : أفكار" توماس الاكويني"

محورثالث : الفكر السياسي عند المسلمين الى غاية سقوط الخلافة الإسلامية

أولا : "أبو الحسن الماوردي"

ثانيا :" الفارابي"

ثالثا : "ابن سينا"

رابعا : "الغزالي"

خامسا : "ابن رشد"

سادسا : "ابن خلدون"

محور رابع : النهضة الأوروبية و تطور فلسفة الدولة فيها

أولا : الفصل بين الأخلاق و السياسة (نيكولاس مكيافيللي)

ثانيا : الإصلاح الديني و الفصل بين السلطة السياسية و السلطة الدينية (مارتن لوثر / جون كالفين)

ثالثا : نظرية السيادة عند "جون بودان"

رابعا : العقد الاجتماعي عند "توماس هوبز " و فلسفة الحكم الفردي المطلق

خامسا : العقد الاجتماعي عند "جون لوك" و بروز الفلسفة الليبرالية

سادسا : العقد الاجتماعي عند "جان جاك روسو" و فلسفة سيادة الشعب

سابعا : نظرية الفصل بين السلطات عند "شارل لويس دي منتسكيو"

ثامنا : الديمقراطية و الليبرالية (ألكسي دي توكفيل / جون ستيوارت مل)

محور خامس : النظرية الماركسية و الطرح النقيض لفلسفة الدولة

أولا : الاشتراكية العلمية (ماركس / انجلز)

ثانيا : الماركسية الثورية (لينين/ تروتسكي)

محور سادس : مفكري النهضة العربية الإسلامية

اولا : "جمال الدين الأفغاني"

ثانيا : "محمد عبده"

محور أول : الفكر السياسي الأوروبي القديم

أولا: الفكر السياسي اليوناني

1- مدخل حول الحضارة اليونانية

ظهرت الحضارة اليونانية حوالي نهاية القرن التاسع ق.م في منطقة بحر الإيجي " Mer Egée"، و تتشكل من مجموعة من المدن انتشرت في الجزء الجنوبي من اليونان حاليا و كل جزر بحر الإيجي بما فيها جزيرة "كريت" ، و لم تستطع هذه المدن تشكيل سلطة مركزية واحدة حيث بقيت مستقلة عن بعضها البعض .

مرت هذه الحضارة بعدة مراحل يقسمها المؤرخون إلى :

- **المرحلة القديمة** التي تمتد من حوالي نهاية القرن التاسع الى القرن الخامس ق.م و التي تميزت بالحكم الارستقراطي و بنوع من الفوضى في البداية الى إن بدأت تتشكل فيها ما يسمى بالمدن السياسية، و من الناحية الفكرية تميزت هذه المرحلة بالفكر الخرافي و الإيمان بالأساطير.
- **المرحلة الكلاسيكية** و هي التي تقوت فيها مدينتين دون الأخرى هي مدينة اسبرتا و مدينة أثينا التي ظهرت فيها تجربة الديمقراطية الفريدة من نوعها في ذلك العصر ، و التي أنجبت أعظم فلاسفة التاريخ الغربي ، و انتهت هذه المرحلة بالغزو المقدوني لها في 338 ق.م .
- **المرحلة الهيلينية** تبدأ بالغزو المقدوني للمدن اليونانية و إخضاعها للحكم الإمبراطوري الذي قضى على أنظمتها الارستقراطية كما قضى على النظام الديمقراطي في أثينا ، و انتهت هذه المرحلة بسقوط الإمبراطورية المقدونية تحت الغزو الروماني في سنة 30 ق.م [3] .

[3] انظر :

2-عوامل ظهور الفكر السياسي في اليونان القديمة

❖ **انهيار الحضارة الميسينية وظهور الحكم الارستقراطي :** شهدت منطقة بحر الإيجي حضارات سابقة للحضارة اليونانية ، هي :

الحضارة "المينوية" " Minoenne" التي انطلقت من جزيرة "كريت" منذ الألف الثالث ق.م ،و التي تطورت معالمها الأساسية بين 1700 و 1450 ق.م حيث تميزت بما سمي بنظام القصور « système palatial » الذي التفت فيه القبائل المينوية حول عدد من القصور تعكس تراتبا اجتماعيا يبدأ بصاحب القصر الذي يتربع على اكبر قطعة ارض في المنطقة،تليه طبقة من العائلات الإقطاعية ،ثم طبقة الفلاحين .

الحضارة "الميسينية " « Mycénienne» (نسبة لمدينة ميسان) ، التي تعدت جزيرة "كريت" إلى الجزء الجنوبي من اليونان حاليا ، حيث انتشرت مدن جديدة في منطقة الإيجي و سمي سكانها بالأشينيين " **Achéens**" ، و امتدت الحضارة "الميسينية من حوالي 1450 إلى 1200 ق.م ، و تميزت بالمحافظة على نظام القصور الذي تحول في هذه المرحلة إلى سلطة سياسية منظمة يمارسها صاحب القصر بواسطة جهاز إداري و عسكري محكم ،تليه طبقة من العائلات الإقطاعية ،ثم طبقة التجار و الحرفيين والفلاحين ، و يتميز هذا النظام اقتصاديا بجمع و تحكم القصر في الخيرات عن طريق الضرائب ، محاكيا بذلك أنظمة الحكم السائدة في المشرق مثل نظام الحكم الفرعوني .

في القرن 12 ق.م غزت قبائل الدوريان الواقعة في شمال اليونان المدن الاشينية، وحطمت القصور الملكية التي كانت تحكم المدن مما أدى إلى انهيار نظام القصور، و الانتقال إلى الحكم بواسطة العائلات الإقطاعية المتبقية متحالفة أحيانا مع الغزاة حيث مرت المنطقة بمرحلة من الفوضى دامت لقرون ، تراوح فيها الحكم بين الحكم الملكي المطلق المتحالف مع الأسر الارستقراطية و بين الحكم الارستقراطي على اختلاف و تعدد المدن التي انتشرت في منطقة بحر الإيجي [4].

Michel Kaplan, Nicolas Richer "Le monde grec "Collection Grand Amphi Volume 1 de Collection Grand Amphi: Histoire ancienne, Editions Bréal, 1998 .

[4] ibid p13-47

ما يمكن استخلاصه من عامل التطور التاريخي هو التركيز على تحطيم نظام القصور و إحلال نظام العائلات الذي يفسر لنا ظهور **الحكم الارستقراطي في الحضارة اليونانية** ، والذي يعني الانتقال من نظام الحكم الفردي الممركز إلى نظام الأقلية ، الذي يعتبر فيه مركز السلطة أكثر اتساعا لأنه يتوزع على عدد اكبر من الأشخاص .

❖ النهضة اليونانية و الانتقال من الفكر الخرافي إلى المنطق الفلسفي

بعد الغزو الدوريائي للمنطقة عاشت هذه الأخيرة مرحلة من الفوضى العارمة، لكن بعد انصهار الثقافات و الأعراق المينووية، الميسينية و الدوريانية بدأت تتشكل منذ نهاية القرن التاسع ق.م امة منسجمة في اللغة و التقاليد و المعتقدات ، بنيت عليها الحضارة اليونانية القديمة ، التي عرفت نهضة ثقافية مبهرة .

في منتصف القرن التاسع تطورت فنون المسرح و الشعر الذي عبرت عنه ملحمتي"الاليادة "و "الأوديسة" ل "هوميروس" (850 ق.م)، الذي يروي فيها تاريخ البطولات اليونانية في شكل خرافي يختلط فيه الأبطال بالآلهة اليونانية مثل "أشيل" في حرب "طروادة " .

ابتداء من القرن السادس ق.م بدأت تظهر المدارس الفلسفية الأولى التي مثلها "تاليس" ، "اناكسمندر" و "انكسيمان " التي اهتمت بالفيزياء و الرياضيات و التي تلتها فيما بعد فلسفة الإنسان و السياسة مع سقراط ، أفلاطون، أرسطو و آخرون .

كما بدأت منذ القرن الخامس الكتابات التاريخية مع "هيرودوت" الذي كتب عن النظم السياسية في الحضارات القديمة ، و "كزينوفون" الذي أرَخ لحرب "البيلويونيز" التي دارت بين "اسبرتا " و "أثينا" .

ساهمت هذه الحركة الثقافية و الفلسفية في نقل التفكير اليوناني من التصور الخرافي للحياة إلى التفكير العقلاني ، و منه في تبلور الفكر السياسي اليوناني و ظهور وحدات سياسية فريدة من نوعها جسدها نموذج دولة المدينة[5] .

❖ ظهور دولة المدينة

بداية من القرن الثامن ق.م تقوت المدن اليونانية و كثيرا ما كانت تدخل في صراعات عسكرية مع بعضها البعض لزعامة المنطقة بناءا على استقلال كل منها سياسيا عن الأخرى و عدم خضوعها لسلطة يونانية مركزية ، بحيث شكلت كل منها دولة مدينة "cité-état " بذاتها .

[5] انظر كرم يوسف " تاريخ الفلسفة اليونانية "، منشورات المنهل، 2019 ، ص 11-25

ماذا نقصد ب دولة المدينة ؟

مفهوم دولة المدينة هو نظام الدولة داخل المدينة ، أي أن المدينة رغم رقعتها الجغرافية الصغيرة و عدد سكانها المحدود فهي تتمتع بمواصفات الدولة ، و هي الشعب ، الإقليم و السلطة السياسية المستقلة .

فكانت اليونان تتكون من عدد كبير من الدول-المدن المستقلة عن بعضها البعض، و لكل منها نظامها السياسي الخاص ، و فسرت هذه الوضعية بسبب الطبيعة الصعبة الجبلية للمنطقة و الطابع الجزري و شبه الجزري لها ، الذي حال دون تكون دولة موحدة تخضع لنظام مركزي ، هذا الى جانب العامل السوسيو-تاريخي المتمثل في تحطيم نظام القصور الذي عوض بنظام العائلات الارستقراطية الذي خفف من روح الزعامة الفردية للسلطة ، لذلك بقيت عبارة عن دول-مدن مستقلة عن بعضها البعض.

كانت اغلب المدن اليونانية تمارس نظاما ارستقراطيا كما ذكرنا ، و منها من كانت تمارس نظاما ملكيا و حتى استبداديا أحيانا ، أما **تجربة الديمقراطية المباشرة** فعرفت بها مدينة **أثينا** ، التي تعتبر احد اقوى المدن اليونانية آنذاك و مركزا للإشعاع الحضاري في المنطقة .

نموذج دولة المدينة في أثينا

لم ترقى دولة –المدينة "أثينا"إلى نموذجها الديمقراطي إلا تدريجيا ، بحيث كانت تخضع للحكم الاوليغارشي الارستقراطي ، الذي بدا يواجه أزمات سياسية بسبب التطور الذي حدث في المجتمع الأثيني ابتداء من القرن السابع ق.م ، و المتمثل في :

- التنافس بين العائلات الارستقراطية و استبداد البعض منها بتملك مفرط للأراضي
- استغلال الفلاحين و اختناق عيشهم بسبب الديون التي كانت تحول الفلاح منهم إلى عبد في حالة عدم التسديد
- ظهور طبقة من التجار بلغت مستوى من الغنى أهلها إلى إن ترغب في اتخاذ مكانة في المدينة .

أدت هذه الأسباب إلى إرغام الارستقراطية الحاكمة على إدخال إصلاحات تدريجية ، جعلت من أثينا المؤسس الأول لمبادئ الديمقراطية الغربية و التي أعطتها استحقاق دولة –المدينة بامتياز، تمثلت هذه الإصلاحات في :

- إدخال البعد القانوني في الحكم : عبر قوانين"دراكون " في القرن 7 ق.م ، التي رغم صرامتها و قساوتها في عقاب المجرمين ، إلا أنها شكلت القوانين المكتوبة الأولى في تاريخ اليونان ، و

التي عقبتها و ألغتها قوانين "صولون" في ق 6 ق.م المعروفة بإلغاء **رق الديون** الذي وضع حدا لظاهرة استعباد الفلاحين و الفقراء.

- الإصلاحات السياسية ل" كليستان" في نهاية القرن 6 ق.م ، الذي يعتبر مؤسس الديمقراطية اليونانية لأنه فتح باب المشاركة السياسية للمواطنين الإغريق دون اعتبار للثروة ، عبر مؤسسة "الاكليزية" ومجلس المواطنين التي سنراها فيما يلي [6].

التنظيم السياسي لدولة المدينة "أثينا"

بلغت أثينا أوج تقدمها الديمقراطي في القرن الخامس ق.م ، بحيث أسست نظاما للديمقراطية المباشرة ، اعتمد آليات أسست لمفاهيم ما زالت تستعمل ليومنا هذا مثل المواطنة ، المشاركة السياسية ، توازن السلطات ،القانون ...، و ذلك عبر المؤسسات التالية :

أولا : الاكليزية "Ecclésia" أو الجمعية العامة ، التي يحضرها كل المواطنون الذكور البالغون ما فوق 18 سنة، صلاحيتها هي التصويت المباشر بدون وسيط على القوانين و على قرارات الحرب و الميزانية ، و تعتبر الاكليزية المؤسسة الرئيسية للديمقراطية اليونانية لأنها هي التي تختار أعضاء المؤسسات الأخرى أي مجلس المواطنين و القضاة و كبار الموظفين عن طريق القرعة .

ثانيا : مجلس الخمسمائة أو مجلس المواطنين ، يتكون من 500 عضوا يمثلون القبائل الأثينية العشر ، بحيث تمثل كل قبيلة ب 50 عضوا ، و يكون التمثيل دوري لكل قبيلة فيه عُشر أيام السنة ، يمارس هذا المجلس مهام تحضير أشغال "الاكليزية" و النصوص القانونية التي تصوت عليها.

رابعا : كبار الموظفين ، ينتخبون من طرف الشعب عن طريق القرعة ، منهم 10 قادة عسكريين .

خامسا : القضاة ، عددهم 6000 ينتخبون من طرف الشعب عن طريق القرعة ، مما يجعلهم خاضعين لرقابته ، و يمارسون مهام النظر في النزاعات بين المواطنين[7].

3- الفكر السياسي قبل أفلاطون

مرت الفلسفة اليونانية بعدة مراحل كانت أولها الأسئلة الفيزيائية ، ثم الرياضيات ثم الوجودية التي عرفت على التوالي بمدرسة "ميلات" و المدرسة "البيتاغورية" و مدرسة "ايلي" كلها بين القرنين 6 و4 ق.م ، حيث بدأ كما قلنا الفكر اليوناني يتخلى عن الفكر الخرافي و ينتقل إلى الفكر المنطقي .

---

[6] اباظة ابراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ، "تاريخ الفكر السياسي" ، دار النجاح ،بيروت ،1973، ص 12

[7] سباين جورج " تطور الفكر السياسي " جزء اول ترجمة حسن جلال العروسي ، الهيئة المصرية للكتاب ، (د..د.، ن)، (د..س.ن) ، ص 43-48

ثم تطورت الفلسفة إلى التفكير في الإنسان و الحياة الاجتماعية و الصراع بين الخير و الشر ، بحيث ظهرت المدرسة السفسطائية التي طورت فنون الكلام و الإقناع ، ثم بدأت تظهر الفلسفة السياسية التي تميز بها فلاسفة أثينا من سقراط إلى أرسطو ، مرورا بأفلاطون الذي يعتبر من أشهر فلاسفة اليونان القدامى و أكثرهم إسهاما في الفكر السياسي ، لكن قبل التطرق للفكر السياسي الأفلاطوني و بعده الأرسطي ، يجب التعريج بدون الإطالة على الفلسفة السفسطائية و كيف ناقضها "سقراط' الذي يعتبر أستاذ أفلاطون :

السفسطائيون (بين ق 5 و 4 ق.م) : يمثلهم "بروتاغوراس" و تلميذه "جورجياس" و الذين ينعتون بفلاسفة الكلام ، لأنهم يؤمنون بأن أي فكرة قد تبدو جذابة لو قدمها شخص يتقن الكلام و الإقناع، و ينطلقون في بنائهم بان الحقيقة نسبية ،و يمكن قراءتها من عدة نواحي، بالتالي يمكن إعطاء الحقيقة اللون الذي نريده و بان الإنسان هو الأصل لأنه قادر على تقديم الحقيقة بالشكل الذي يراه و لكنه يجب إن يطور القدرة في إقناع الآخرين بالحقيقة كما يراها .

سقراط : يجب إن نعرف بان سقراط لم يكتب شيئا من أفكاره و بان كل ما وردنا عنها هو ما نقله تلاميذته خاصة منهم أفلاطون ، و يعرف سقراط بنقده للسفسطائيين حيث يقول بأنهم يبعدون الناس عن الحقيقة ، لأنهم ينمقونها و يجاملون ، الشيء الذي يمنع الناس من التفكير و من فهم الحقيقة ، لذلك في دعوته للتفريق بين المعرفة الشكلية " la doxa" و المعرفة الجوهرية " « l'épistémè" ، يحث على البحث عن الحقيقة في جوهر الأشياء فهو صاحب مبدأ "اعرف نفسك بنفسك" ومبدأ " اعرف بأنني لا اعرف شيء "، وبناءا على هذه الفلسفة يعتبر بان المشاركة السياسية و القرارات السياسية ليست للعامة و إنما لمن يمتلكون المعرفة و بالتالي فهو لا يشجع الديمقراطية على الطريقة الأثينية و هو الطرح الذي واصله تلميذه أفلاطون كما سنرى ذلك [8].

4- الفكر السياسي عند افلاطون

ولد أفلاطون في 428 ق.م في أثينا و توفي في 347 ق.م في عمر يناهز الثمانين سنة، من عائلة ارستقراطية . و قد عايش حرب "البيلوبوميز " (431-404) التي انهزمت فيها "أثينا أمام اسبرتا و انطفأت فيها الديمقراطية لصالح الارستقراطية لمدة أشهر لكي تعود الديمقراطية مرة اخرى و التي أعدم فيها السفسطائيون "سقراط" سنة 399 ق.م .

بعد إعدام أستاذه "سقراط" و هيمنة السفسطائيون على الساحة السياسية في أثينا ، اتجه أفلاطون سنة 390 ق.م الى مدينة "سيراكيوز" في منطقة صقلية في ضيافة الدكتاتور "دينيس الأول " ، الذي استنكر

[8] النشار مصطفى " تطور الفلسفة السياسية من صولون حتى ابن خلدون " ، دار الشقري للنشر (د..د.، ن)، (د..س.ن), 2018 ، ص 38-43

أفكاره فيما بعد و باعه في سوق العبيد ، حيث اشتراه و حرره احد أثرياء أثينا ، فعاد إلى مدينته أثينا بعد إن فشل في تحقيق أفكاره في الواقع ، و أنشا مدرسته "الأكاديمية" سنة 387 ق.م التي درس فيها أفكار سقراط و أفكاره .

ألف أفلاطون أفكاره في شكل حوارات أهمها على لسان سقراط و أشخاص آخرون على طريقة جدلية ، و بدأ يكتبها منذ إعدام أستاذه "سقراط" في 399 ق.م حيث تعدت الثلاثين مؤلفا ، و نظرا لتعددها و اختلاف مواضيعها قسمت أحيانا حسب مراحل حياته الى ثلاث مجموعات ، و أحيانا حسب التي سجل فيها أفكار سقراط التي رد فيها على السفسطائيين و التي ظهرت فيها أفكاره بدون حوارات سقراط .

تعددت المواضيع التي كتب فيها أفلاطون فهو فيلسوف قبل كل شيء ، كتب عن الإنسان ، الحكمة ، الشجاعة، الصداقة، الفضيلة ، الروح ، الحب ، الجمال ، كما كتب عن العلم و المعرفة والأفكار ، و ظهر اهتمامه بالمواضيع السياسية منذ الأول، حيث نجد أفكاره السياسية في أكثر من سبع مؤلفات ، لكن استنباطها من كل هذه المؤلفات يحتاج الى الكثير من التجريد مثل كتب " كورجياس" ، "بروطاغوراس" ، " السفسطائي"،" الاعتذار لسقراط" ،"كريسياس"...، لذلك صنف المختصون فكره السياسي ضمن ثلاث كتب رئيسية نظرا لبروز و لنضج الفكرة السياسية فيها ، و هي :

- "الجمهورية" « la république » التي تعتبر الفلسفة الوسيلة الوحيدة للوصول الى سياسة فعالة كما سنرى ،

- "السياسي" « le politique » يؤكد فيه على قدرة الفيلسوف في ممارسة السياسة،

- "القوانين" « les lois » و هو آخر ما كتبه أفلاطون ، و يعيد فيه النظر في بعض أفكاره حيث يعترف بالقانون كأساس موضوعي للحكم [9].

<u>أسباب كتاباته السياسية و دوافع آرائه</u>

- نشأته الارستقراطية التي أثرت على ميوله في التمييز بين الفئات البشرية،
- ميوله الطبقية لممارسة السياسة التي كانت من تقاليد أبناء الأسر الارستقراطية ، و أسرته بالذات ،
- إعدام أستاذه و صديقه سقراط في ظل الحكم الديمقراطي و من قبل السفسطائيين الذين كانوا في الحكم ،

[9] Nemo Philippe « histoire des idées politiques aux temps modernes et contemporains » , puf, paris 2009, p 120.

- انهزام أثينا أمام اسبرتا في حرب "البيلوبونيز" ،رغم أنها كانت أكثر ديمقراطية منها ، بحيث رأى بان اسبرتا اهتمت أكثر بالتربية العسكرية لأبنائها في الوقت الذي كانت فيه أثينا تطور فنون الكلام في إطار الديمقراطية التي أفسدها السفسطائيون .

أفكاره السياسية

ضمن المؤلفات الثلاث التي صنفت كمؤلفات سياسية بحته ، يعتبر كتاب "الجمهورية" أكثرها ثراء على الإطلاق لأنه جمع أهم المفاهيم و النظريات السياسية التي تشكل الفكر السياسي عند أفلاطون ، فقد تحدث فيه عن مدينته الفاضلة و قيمها و كيف يجب أن يكون تنظيمها، و تحدث فيه كذلك عن فكرته الفلسفية للفضيلة و المعرفة و العدالة ، كما قدم تصنيفا للحكومات السياسية و مواصفاتها ، و يعتبر الكثيرون هذا الكتاب المصدر الأول للفلسفة السياسية الغربية ، أما كتاب "السياسي" فاهتم فيه بمميزات السياسي و كذلك بتصنيف النظم السياسية، و أخيرا كتاب " القوانين" الذي ألفه في آخر عمره و عبر عن نضج أفكاره ، أعطى فيه أهمية واضحة للقوانين في تنظيم الحياة السياسية .

بناء على هذا ، توجد عدة طرق لدراسة الفكر السياسي عند أفلاطون ، فإما إن نتناول أفكاره عبر كل مؤلف على حدا ، كأن ندرس المحتوى السياسي لكتاب "الجمهورية" ثم كتاب "السياسي" ثم "القوانين" ، أو نصنف فكره الى محاور سياسية كبرى قد تجد مرجعيتها في أكثر من مؤلف له ، و قد اخترنا الطريقة الثانية لكي لا تبدو لنا الأفكار مشتتة و لكي نقدمها بصورة منسجمة ، في المحاور التالية :

❖ **نموذج المدينة الفاضلة عند أفلاطون**

يعتقد أفلاطون بان المدينة تنشأ لأسباب اقتصادية و ليس لأسباب أمنية كما تذهب إليه آراء أخرى ، هذه الأسباب هي حاجة البشر لبعضهم البعض من اجل العيش، فتزايد النشاط الاقتصادي يحتم على البشر العيش في المدينة ، و من ثم سيصبح من الضروري إيجاد نظاما اجتماعيا و سياسيا يسهل هذه الحتمية لكي لا تتحول الى فوضى .

يبني أفلاطون مجمل نضرته لتنظيم المدينة التي يريدها إن تكون فاضلة على مفهوم مركزي لديه هو **مفهوم العدالة** ، و الذي يعطيه تصورا خاصا به ، حيث يرى بان النفس البشرية مبنية على ثلاثة خصائص هي صفة الحكمة الموجودة في العقل ، صفة العاطفة الموجودة في القلب و صفة الشهوة الموجودة في البطن ، و يرى بان نفس هذه الخصائص موجودة في بنية المجتمع بحيث ينقسم هذا الأخير الى أشخاص يتمتعون بالحكمة التي يقابلها العقل عند الفرد ، و أشخاص يتمتعون بالشجاعة التي يقابلها

القلب ، لكن الأغلبية تحكمها الشهوات التي يقابلها البطن ، أما العدالة التي يربطها أفلاطون بهذه البنية الثلاثية فتكمن في ضرورة تحكيم العقل من اجل التمكن من تنظيم المجتمع و تحقيق توازنه .

لذلك فان المجتمع يجب أن ينظم وفقا لهذا المفهوم للعدالة لان البشر يتمايزون بالطبيعة ، فمنهم المعدن الذهبي وهم اللذين يتمتعون بالحكمة ، ومنهم المعدن الفضي لمن يتمتعون بالشجاعة و المعدن النحاسي للباقي ، بالتالي يجب تقسيم المدينة الى ثلاث طبقات هي :

1. الحكام و هم اللذين يتمتعون بالحكمة و هم الفلاسفة الذين يمثلون عقل المجتمع ، لان الفلاسفة ينظرون الى جوهر الأشياء « l'épistémé » ، و يرون و يفهمون ما لا يراه الآخرون ، كما إن شهواتهم قليلة .
2. الحراس و هم من تغلب عليهم صفة الشجاعة و الذين يجب أن يختارون لممارسة فنون الدفاع عن المدينة .
3. المنتجون و هم باقي المجتمع الذين يهتمون في غالبيتهم بشهوات الحياة و المتمثلين في التجار ، الحرفيين و الفلاحين ، ..[10]

أما العدالة فهي إن يحضا الكل في المجتمع بالمكانة التي تناسب طبيعته البشرية ، و بان يكون ذووا العقل هم اللذين يحكمون و ليس العكس .

و على المستوى الفردي يتم تهذيب أفراد المجتمع عن طريق **التربية و التعليم** الذي يساعد في إيجاد توازن و انسجام بين خصائص النفس الثلاثة لكي لا تطغي عليها الشهوة التي تفسد المجتمع و تشع فيه الفوضى ، و تضمن الدولة هذه المهمة عن طريق توجيه كل حسب موهبته التي يتطلبها التنظيم العادل للمجتمع .

كما تضمن تعليمهم اللغة و الشعر و الرياضة في مرحلة أولى، ثم الرياضيات و الهندسة و أخيرا الفلسفة لمن يميلون للعقل و الحكمة ، و في كل طور تصفى المواهب من الموجهين للإنتاج ، إلى الموجهين للدفاع ، ثم الفلاسفة الذين يصبحون حكاما و ما دونهم يعاد تصنيفهم مع الجنود.

الى جانب هذا يضيف أفلاطون مجموعة من المبادئ التنظيمية في مدينته الفاضلة هي :

- طبقة الحكام (الفلاسفة) لا تملك و لا تتزوج لكي تتفرغ لشؤون الحكم ، و لن يكون هذا بالصعب عليها لأنها عقلانية و ليست شهوانية بطبعها .

[10] سباين جورج " تطور الفكر السياسي " ، مرجع سبق ذكره ، ص99

- طبقة الحراس لا تتزوج بل تعيش في حالة المشاع مع النساء ، و لا تملك مساكن و لا أراضي ، و إنما تعيش في كنف الدولة في مأكلها و مشربها و كل حاجياتها الحيوية .

- طبقة المنتجين تدفع الضرائب للدولة من اجل المحافظة على النظام العام .

فلا يؤمن أفلاطون بدور الأسرة ، بل يدعو الى حالة المشاع ، أما الأطفال اللذين ينجبونهم فتتولى تربيتهم الدولة دون إن يعرف احدهم أبوه ، كل هذا من اجل القضاء على الولاء الأسري و ما يخلفه من خلافات و من طبقية .

لكن في نهاية حياته تراجع افلاطون عن بعض الأفكار كمشاع النساء و الأولاد و اعترف بالزواج و بالملكية في كتابه الأخير "القوانين"[11] .

يهدف مشروع أفلاطون الى وضع دستور لمدينة فاضلة ، عادلة تقوم كل طبقة فيها بوظيفتها حسب مبدأ المواهب الطبيعية ، تعلو فيها الحكمة على باقي الميول لأنها الأقل أنانية ، يحضى فيها المواطنون بالتكوين الروحي و الأخلاقي و الجسدي و العلمي ، و تستطيع الدفاع عن نفسها دون الاعتداء على الآخرين.

❖ أنظمة الحكم عند أفلاطون

تمر الأنظمة حسب أفلاطون بعدة مراحل ، تنتقل فيها من الحكم الفاضل إن وجد أي نظام الحاكم الفيلسوف الى الحكم التيموقراطي ثم الاوليغارشي ، فالديمقراطي و أخيرا الحكم المستبد ، ويفسر هذا الانتقال من نظام الى آخر بفقدان التوازن الذي يؤول الى فئة من الفئات الثلاثة و التي تفرض صفاتها الطبيعية على نظام الحكم و تعطي مختلف الحالات هذه الأنظمة كل بمواصفاته :

- **النظام الفاضل** : أين يكون الحاكم فيلسوفا أو مجموعة من الفلاسفة ، فقد يكون ملكيا في الحالة الأولى أو ارستقراطيا في الحالة الثانية ، و هو المفضل لدى أفلاطون لأنه يوزع الوظائف بطريقة عادلة حسب التخصصات أي هو نظام المدينة الفاضلة .
- **النظام التيموقراطي :** و هو النظام الذي يؤول إليه النظام الفاضل عندما ينهار ، و يحدث هنا بان يضعف النظام الفاضل بسبب تدهور التربية و المبادئ فتتقوى طبقة الحراس او المحاربين التي يحكمها القلب المملوء بالطموح فتستولي على الحكم من اجل القوة و التوسع ، و يجلب هذا النظام الغنى بسبب التوسعات التي يهواها المحاربون فيتحول هؤلاء الى طبقة غنية تؤدي الى الحكم الموالي .

[11] نفس المرجع ص 103

- **النظام الاوليغارشي** : و هو نظام الأقلية الغنية الذي يحكمه المال و تزداد فيه الفوارق الطبقية ، بحيث يصبح فيه الفقراء أكثر فقرا فيثورون على الأغنياء و ينتقل الحكم الى النظام الذي يليه،
- **النظام الديمقراطي** : القائم على المساواة، و نظرا لتجاهله للفوارق الطبيعية بين البشر و فتح المشاركة السياسية للجميع تعم الفوضى التي تؤدي لنظام صارم هو،
- **النظام الاستبدادي** : الذي ينال فيه شخص الحكم بالقوة للقضاء على الفوضى و يواصل ممارسته بنفس القوة ، و هو نظام تنطفئ فيه كل الحقوق و يسود فيه الرعب و الظلم ، الى إن يفقد النظام توازنه و يعود البحث عن نظام تسود فيه الفضيلة في شكل حلقة مفرغة تنتقل فيها هذه الأنظمة من نظام الى آخر[12] .

و في وصف أفلاطون لهذه الأنظمة يفضل طبعا نظام الحاكم الفيلسوف و يعتبر بان أسوء الأنظمة هو النظام الديمقراطي.

❖ **القانون عند أفلاطون**

بدأ أفلاطون في آخر كتاباته يولي أهمية للأساس القانوني للحكم ، و استنتج بان المعيار القانوني هو الذي يميز أنواع الحكم لأنه معيارا واقعيا و مكتوبا ، بعيدا عن الأشخاص و أهوائهم ، حيث قدم تصنيفا جديدا للنظم السياسية ينقسم الى صنفين :

أولا : الأنظمة التي يحكمها القانون و قد تكون :

- نظاما ملكيا (حكم الفرد الحكيم الفيلسوف)
- نظام ارستقراطيا (حكم الأقلية الحكيمة)
- نظاما مختلط من حكم الفرد و حكم الأقلية و يسميه ب (polity)

ثانيا : الأنظمة التي لا تخضع للقانون ، و هي

- النظام الملكي المستبد (حكم الفرد المستبد المجنون الذي لا يستشير الفلاسفة)
- النظام الاوليغارشي (حكم الأقلية الغنية التي لا تبحث إلا عن مصالحها)
- النظام الديمقراطي الفوضوي [13]

[12] NAY Olivier « histoire des idées politiques : la pensée politique occidentale de l antiquité a nos jours » , ed Armand colin , 2016,p 85.
[13] Ibid p 88.

5- الفكر السياسي عند أرسطو

ولد أرسطو في 384 ق.م في مقدونيا، و هاجر الى اثينا ليدرس في اكاديمية "افلاطون" في سن 17 سنة ، ثم امتهن التدريس فيها ليتركها بعد وفاة افلاطون في 347 ق.م ، و أسس عدة مدارس خارج أثينا حيث كان "الاسكندر المقدوني" من تلامذته .

عاد أرسطو إلى أثينا في 332 ق.م ، حيث كانت خاضعة للإمبراطورية المقدونية في عصر تلميذه الاسكندر المقدوني ، و في 335 ق.م أسس مدرسته الخاصة التي دعمها "الاسكندر" ، و توفي أرسطو في 322 ق.م عن عمر يناهز 62 سنة[14] .

بناءا على اهتمامه بأنماط التفكير و بكل أنواع المعرفة ، كتب أرسطو تقريبا في جميع الميادين : علم النفس ،البيولوجية ،الفيزياء ، الميتافيزياء ، الفلك ،الاقتصاد ، الأخلاق و السياسة، البلاغة و الفنون ، وتتكون مؤلفاته من مجموعات من الكتب هي : كتب المنطق ، كتب الفلسفة الطبيعية ، كتب علم النفس ، كتب الميتافيزيقا ، كتب الأخلاق و السياسة ، كتب الفنون ، كتب البلاغة.

أما كتبه السياسية فهي : كتاب "الأخلاق الى نيخوماخوس " و كتاب " السياسة" [15].

افكاره السياسية

❖ **نظرية العلوم**

يقسم أرسطو العلوم إلى ثلاث مجموعات :

- العلوم النظرية : هي النشاط الذهني القائم على الملاحظة لفهم الواقع (الميتافزياء ، الفيزياء،البيولوجية،...)
- العلوم العملية : تهتم بالفعل البشري الاجتماعي و اتخاذ القرار في قضاياه ، و تتمثل في (السياسة و الأخلاق)
- العلوم المنتجة : متمثلة في معرفة طرق الإنتاج و التي تأتي بالخبرة (الزراعة ، البناء، الطب،الموسيقى، الرقص،المسرح...)

أما المنطق الذي كتب فيه أرسطو كثيرا ، فلم يعتبره علم في ذاته ، لأنه وسيلة مشتركة لكل العلوم التي تستعمله للبحث عن سببية الأشياء عن طريق هذه الوحدات من الأسئلة : ماذا؟ أين ؟متى؟ كيف؟.. و

[14] CRESSON André « Aristote sa vie, son œuvre » presses universitaires de France, Paris 1963,p 5-7
[15] Ibid p 33

تصل إلى البرهنة عن طريق القياس المنطقي : مثل إن نقول :البشر يموتون ،انا إنسان ، فسأموت ، لذلك نجد بان أرسطو يتعدى المنطق الجدلي السقراطي و الأفلاطوني في البحث عن الحقيقة الى البرهنة على النتيجة التي يصل إليها البحث.

❖ **الإنسان حيوان سياسي بطبعه**

يرى أرسطو بان الإنسان لم يهتدي إلى الاجتماع لضرورات وضعية بل هو حيوان اجتماعي و سياسي بطبعه ، فكل الاجتماعات البشرية هي اجتماعات طبيعية وجدت لتحقيق السعادة ، فالإنسان يتزوج لتحقيق السعادة ، و يجتمع مع باقي الأسر في شكل قرية لتحقيق السعادة عبر تبادل الحاجيات الاقتصادية ، و القرى تتجمع في شكل مدينة من اجل تحقيق السعادة عبر وضع قواعد تنظم حياة المواطنين ، فالإنسان لا يمكنه إن يحقق السعادة إلا داخل المدينة، و إذا ابتعد عنها يصبح مخلوقا تعيسا .

و يقول بان الدليل على إن الإنسان حيوان سياسي بطبعه هو قدرته الفطرية على الكلام و التواصل فقد منحت له هذه الهبة من اجل العيش في المدينة ، هذا بالإضافة الى انه يتمتع بقدرات ذهنية أهلته للتحاور مع غيره من اجل إيجاد القوانين السياسية التي تمكن الجماعة من العيش في سعادة داخل المدينة التي تعتبر الاجتماع الأسمى الذي تدخل ضمنه باقي الاجتماعات.

❖ **الأخلاق و السعادة في المدينة**

يجتمع البشر بطبيعتهم في الأسرة و في القرية و في المدينة من اجل تحقيق السعادة حسب راي أرسطو ، لكن هذه السعادة لا تتحقق داخل هذه الاجتماعات إلا إذا بني سلوك الأفراد على الأخلاق و الفضيلة ، و**الأخلاق** هي أولا أن يقوم الفرد بوظيفته الطبيعية على أحسن وجه، و ثانيا إن يخضع في سلوكه الى **الفضيلة** التي تنقسم الى قسمين :

- **الفضائل المعنوية : هي** التي تنبع من طبيعة الإنسان و من ميله الفطري الى احترام الاخرين .
- **الفضائل العقلية: هي** التي يكتسبها الإنسان من التربية و التعليم ، و التي تمنحه التريث و الوزن للتغلب على العنصرين اللذان يفسدان الاخلاق و هما الغضب و اللذة .

و أخلاق المدينة هي التي يتفق المواطنون على انها الاحسن من اجل تحقيق سعادتهم ، و في المدينة المثالية تصبح هذه الأخلاق احسن من أخلاق الفرد و تعلو عليها لأنها مجموع الأخلاق الجيدة لدى كل فرد .

السعادة : يرى أرسطو بأن السعادة درجات ، ادناها هي **حياة اللذة المادية** ، ثم تعلو عليها السعادة التي تاتي من **تقدير المجتمع** الذي يسببه السلوك الخير و هذه السعادة تغني عن سابقتها، ثم تعلو على الاثنين السعادة التي تاتي من **حياة التأمل اي الفلسفة و التفكير**.

الصداقة : صنف ارسطو الصداقة الى صداقة **المصلحة** ، صداقة **المتعة** التي تاتي مثلا من ممارسة متعة الرياضة مع الآخر ، و **صداقة الخير** التي تاتي من متعة البقاء مع شخص اخر، و تتميز هذه الصداقة عن غيرها بانها تاخذ وقتا طويلا لكي تبنى ، لكنها صداقة قوية و دائمة ، و يعتبر ارسطو بان صداقة الخير تطورمبدا العدالة في المدينة لانها مبنية على احترام الطرفين لبعضهما [16].

❖ **المدينة الفاضلة**

يعتبر أرسطو المدينة حتمية اجتماعية تبدأ **بالأسرة** ، ثم **القرية** لإشباع حاجياتها الاقتصادية ، ثم **المدينة** التي تنشا من الاتفاق مع باقي أفراد المجتمع على القواعد التي تحكمهم ، فالإنسان حيوان اجتماعي و سياسي بطبعه [17].

شروط المدينة الفاضلة

عدد السكان : أن يكون كافيا لتحقيق الحاجيات الضرورية من ناحية و لكي تتمكن القوانين من إن تشمله من ناحية أخرى ، و كذلك ليتعرف المواطنين على بعضهم و على مدى العدالة في توزيع الوظائف عليهم ، و يدعو أرسطو للتحكم في عدد السكان عن طريق عدم الزواج في سن مبكرة ، تحديد النسل في السن المتأخرة وإعدام المشوهين من الأطفال عند الولادة.

حدود المدينة : تكون شاسعة لتضمن حياة مريحة للمواطنين و محمية عسكريا ، أما البحر فرغم مزاياه الاقتصادية إلا انه يفتح المدينة على الوافدين بعاداتهم التي تفسد الأخلاق و تشتت وحدة الجماعة .

التربية و التعليم : تختص المدينة في تعميم تعليم الفضيلة العقلية عن طريق التكوين في الفنون و العلوم الرفيعة و التربية البدنية كذلك ، لتنمية الذكاء و المهارة و الشجاعة، و ينصح بان يبتعد المواطنون عن المهن اليدوية و التجارة لأنها لا تنمي الذكاء الذي يعتبره شرط من شروط بلوغ الفضيلة التي تقوم عليها المدينة[18].

الدستور :ضروري للمدينة لأنه القانون الذي يجمع المبادئ الأخلاقية التي اتفق عليها المواطنون و المدينة السعيدة هي التي يحكمها دستور فاضل ، خصائصه هي :

- ينظم الوظائف السياسية
- يحدد أخلاق المواطنين
- متفق عليه من قبل كل المواطنين

[16] BASSU Sebastien « Aristote », collection ellipses, Paris 2016, P 122
[17] ARISTOTE « Les politiques » , traduit par Pierre PELLEGRIN , Flamarion,Paris 2015, P 28
[18] Loc cité

- القوانين يجب إن تخضع و تساير الدستور و لا تناقضه

و في هذا المجال يقول أرسطو بان أخلاق المواطن لا تتماثل دائما مع أخلاق الفرد، فقد يعيش الفرد الحسن في ظل دستور سيئ فتكون أخلاقه كرجل أحسن من أخلاقه كمواطن ، وقد لا يرقى الرجل الى مستوى المواطن الحسن إذا كان الدستور مبني على فضيلة عالية .

المشاركة السياسية يشارك في الحياة السياسية كل المواطنون الأحرار الذكور البالغون بكل طبقاتهم ، و في هذا المجال يصنف المجتمع الى أحرار بإرادة كاملة، عبيد بدون إرادة ، نساء بإرادة برتبة أدنى و أطفال بإرادة ناقصة ، و يرى بان الوظائف السياسية يستحسن ألا يمارسها اللذين يعملون بأيديهم و التجار، لأنهم لم يطوروا فضيلة العقل لديهم .

العبودية : طبيعية ، لان العبد ناقص بطبعه، و ليس له الخاصية الطبيعية في القيادة و في الحقيقة يحتاج الى سيده لكي يقود حياته ويحقق ذاته.

الوظائف السياسية : لا يمارسها اللذين يعملون بأيديهم و التجار، لأنهم لم يطوروا فضيلة العقل لديهم.

العدالة هي احترام القانون و احترام المساواة أمام القانون و ليس المساواة في توزيع الثروة .

❖ **تصنيف النظم السياسية**

اولا : انواع الدساتير

صنف أرسطو النظم السياسية بناءا على معيارين : معيار عدد الحكام الذي قد يكون شخص أو أقلية أو أغلبية و معيار المصلحة الذي يعطينا دساتير صحيحة تهدف لضمان الصالح العام ، و دساتير خاطئة تعمل لفائدة الحاكم أو الحكام، هذه النظم حسب هذا التصنيف هي :

1- حكم الفرد الواحد

- الملكية (الملك الفاضل الذي يحكم لصالح الجماعة)
- الاستبداد(حكم الفرد الأناني الفاسد ، غالبا ما يكون امتداد لحكم ملكي صالح تحول الى حكم فاسد بفعل الوراثة)

2- حكم الأقلية

- الارستقراطية (الأقلية النخبوية الفاضلة والمتعلمة التي تبحث عن مصلحة الجماعة)
- الاوليغارشية (حكم الأقلية الانانية التي تخدم فقط مصالحها)

3- حكم الأغلبية

- الجمهورية او الحكومة الدستورية (هي حكومة اتفاقية تحكمها قوانين و اشخاص تختارهم الأغلبية ، من اجل الصالح العام)
- الديمقراطية (هي حكومة الاغلبية التي تقصي من هم الافضل الجماعة الفوضوية).

و يفضل ارسطو الحكومة الجمهورية (الدستورية) ، لانها تخضع للقوانين التي تختارها الاغلبية بالتالي فهي اكثر عدلا لانها تحقق المصلحة العامة و تحمي المدينة من الفساد ، كما يفضل أرسطو إن يكون الحكام من الطبقة الوسيطة لا غنية و لا فقيرة لإيجاد التوازن لأنها قريبة في نفس الوقت للأغنياء و للفقراء .

ثانيا : تنظيم السلطات

يلاحظ ارسطو في مقارنة الدساتير إن هناك سلطات ثلاث ، السلطة التشريعية ،السلطة التنفيذية و السلطة القضائية ، من الواجب إن تنظم حسب **مبدأ التمثيل** و **مبدأ التداول** لتحقيق العدالة و تفادي احتكار السلطة من قبل أشخاص او أقلية [19].

بعد وفاة أرسطو ، أهملت كتاباته خاصة في العصر الروماني و لاسيما في الجزء الغربي من الإمبراطورية ، و كان العالم الإسلامي هو من حافظ على تراث أرسطو عن طريق الترجمة التي نشطت في العصر العباسي ، و لم يتم اكتشافها و إعادة إحيائها كليا في الغرب إلا في القرن 12 م ، حيث أصبح يدرس في المؤسسات الجامعية التي بدأت تظهر في الغرب ، لكن منذ القرن 17 م و بعد اكتشافات قوانين الحركة الفيزيائية للأرض و الجاذبية مع "غاليني" و نيوتن ، تراجعت رتبة أفكار أرسطو المتعلقة بالعلوم نظرا للأخطاء التي وقع فيها و حتى أفكاره عن المنطق، و عاد الاهتمام بالفكر الأرسطي ابتداء من القرن 20 من قبل الفلاسفة .

ثانيا : الفكر السياسي الروماني

1- العوامل المؤثرة في الفكر السياسي الروماني

← انهيار نموذج دولة المدينة في ظل الإمبراطورية المقدونية

في 338 ق.م و في عصر "فيليب الثاني" ، استطاعت مملكة مقدونيا إن تتوسع في منطقة الإيجي و تسيطر على المدن اليونانية ، ثم واصل ابنه "لاسكندر المقدوني" الغزو ابتداء من 332 ق.م إلى إن

[19] Ibid p 157-189

تحولت مقدونية الى إمبراطورية امتدت الى غاية نهر الهندوس شرقا و الى مصر جنوبا ، مرورا ببلاد الرافدين ، بلاد الفرس و فينيقيا .

وحد الامبراطور المقدوني المدن اليونانية تحت فدرالية "الكورينت" الخاضعة له ، و سمح لها في مرحلة أولى بالاحتفاظ بدساتيرها و أنظمتها السياسية في مقابل الولاء إلى الامبراطورية المقدونية و دفع الضرائب لها ، لكن ذهاب "الاسكندر المقدوني" لغزو آسيا سنة 334 ق.م و وفاته في بلاد بابل في 323 ق.م ، سمح لنائبه "انتيباتروس" إلى إحكام قبضته على المدن اليونانية و دعم الاوليغارشيات فيها مما أدى إلى القضاء النهائي على نموذج دولة المدينة و إحلال الأنظمة الملكية ، المستبدة في الكثير من الأحيان في هذه المدن .

و هكذا فقدت أثينا، التي كانت تعتبر ارقي دولة مدينة في المنطقة ليس فقط بقوتها و إنما بنموذجها الديمقراطي و إشعاعها الفكري ، تقاليدها و مؤسساتها الديمقراطية ، بعد قرار" انتيباتروس"بتعديل الدستور الأثيني سنة 322 ق.م الذي حدد المشاركة السياسية فيها للارستقراطية العقارية فقط ، كما فرض تواجد قوات عسكرية مقدونية فيها لتفادي أي انتفاضة ضده .

بقيت المدن الأثينية تحت الحكم المقدوني تعيش في صراعات و حروب مستمرة مع بعضها البعض ومع ملوك مقدونية الى إن تحالفوا مع روما ضد الملك فيليب الخامس الذي هزم في المنطقة سنة 197 ق.م من قبل القوة الصاعدة روما التي انتهت بإلحاق باقي الممالك المقدونية لها و إقرار مقدونية كمدينة رومانية في 146 ق.م [20].

رغم إن العصر الهيليني قضى على النموذج السياسي لدولة المدينة الأثينية ، إلا انه نقل الإشعاع الحضاري و خاصة الفكري منه إلى المناطق التي توسع فيها ، كما قضى على الاعتقاد اليوناني الذي يعتبر الشعوب الأخرى برابرة .

← التحول في الفكر السياسي اليوناني وبروز المدارس التي أثرت على الفكر السياسي الروماني

إن العصر الهيليني الذي تميز بالتوسع الامبرطوري قلب التنظيم السياسي للمنطقة رأسا على عقب بالقضاء على نموذج دولة المدينة الذي كان سائدا و إلحاقها بنظام إمبراطوري يتميز بالقوة العسكرية، هذا التحول في الأنظمة السياسية في المدن اليونانية و خاصة أثينا صاحبه تحول في الأفكار الفلسفية و السياسية ،التي تعتبر مرآة للأوضاع السياسية السائدة .

[20] DAVID Jean-Michel « la république romaine »,ed seuil, 2000,P 75

تراجعت أفكار سقراط ، أفلاطون و أرسطو التي تمحورت حول مشروع أخلاقي يهتم بالإنسان ككائن اجتماعي و سياسي بطبعه ، يجد سعادته في تنظيم منسجم يشارك فيه كل المواطنون وحكامهم الفلاسفة أو الحكماء في تحقيق السعادة ضمن دولة المدينة التي اعتبروها النموذج الأمثل للعيش في سعادة ، عن طريق تنشئة المواطن اليوناني وتمييزه عن باقي فئات المجتمع و عن باقي الشعوب البرابرة ، و الحفاظ على عدده و حماية ثقافته من الاختلاط بالثقافات الأخرى .

تراجعت هذه الفلسفة بل أهملت و لمدة قرون لاحقة، لصالح أفكار تتماشى مع الأوضاع السياسية الجديدة ، تحرر المواطن الذي تعتبره فردا منفصلا عن المجتمع و المدينة السياسية ، و تحرر الحاكم من النماذج السياسية الأخلاقية الجاهزة ، و تقربه من شخصية القائد القوي الذي يستطيع السيطرة على العالم دون الحاجة إلى الانحصار في مدينة صغيرة و دون الحاجة الى نظريات فلسفية كبرى في السياسة.

فانهزام أثينا هو انهزام فكر أفلاطون و أرسطو و انهزام الفكرة أمام المادة ، و الانتقال من الأخلاق المثالية إلى الأخلاق الواقعية ، و من الروح الميتافيزيقية إلى الطبيعة الملموسة، و من القوة الفكرية إلى لقوة العسكرية.

هذا التحول الفلسفي جسدته مدارس جديدة نقلت اهتمامها من الإنسان كمصدر للمعرفة و الحقيقة إلى الطبيعة و ما تفرضه على الإنسان من حقائق ، تمثلت هذه المدارس في :

اولا: الرواقية " Stoïcisme "

مؤسسها "زينون" الأكيتومي " Zénon de Cittium " في 301 ق.م في أثينا ، و ترجع تسميتها إلى الرواق الذي كان يدرس فيه أفكاره. تتلمذ "زينون" على يد "الكلبيون" اللذين يدعون للعودة للطبيعة و الانعزال عن المجتمع ، و التي تظهر بعض آثارها في فلسفته الرواقية .

تطورت أفكار الرواقية و لاقت قبولا لدى الرومان اللذين كانوا يأخذون العلم و المعرفة من أثينا ، ثم انتشرت خارج أثينا بحيث اعتبرت المرجع الفلسفي للفكر السياسي الروماني فيما بعد ، فعاشت لقرون إلى إن ظهرت المسيحية التي اعتمدت على بعض أفكارها في طرق النشر و الإقناع .

تنطلق الرواقية من **الطبيعة** كمصدر للحقيقة ، و الفلسفة الحقيقية تكمن في استعمال **العقل** في فهم قوانين الطبيعة و ليس في تصور تفسيرات أخرى تخدم ما يجب إن يكون عليه الكون و الإنسان و المجتمع[21] ، بناء على هذه القناعات تقدم الرواقية مجموعة من الأفكار، هي :

[21] جورج سباين " تطور الفكر السياسي " ، مرجع سبق ذكره ، ص 32- 35

- **السعادة :** لبلوغ السعادة يجب الاعتراف بما تفرضه قوانين الطبيعة و إتباع ما يمكن السيطرة عليه و ترك ما لا يمكن السيطرة عليه .

- **الأخلاق** هي التحكم في العاطفة التي تشوش فهم الواقع و ما هو ممكن و غير ممكن ، فتسبب القلق و التعاسة للفرد وتعيق التسامح بين البشر .

- **الدولة العالمية و المواطن العالمي**: لا تعترف الرواقية بدولة المدينة كنموذج لتحقيق سعادة البشر ، و إنما **بالدولة العالمية التي** يتحول فيها الفرد إلى **مواطن عالمي ، فسعادته ليست مرتبطة بالمدينة** و إنما يمكن إن يجدها في اماكن اخرى في العالم.

- **التمييز الحضاري و العرقي و العبودية:** لا تؤمن الرواقية بالفروق العرقية و الحضارية بين البشر ، بين اليوناني و غير اليوناني ، المتحضر و البربري، العبد و السيد ، فالبشر متساوون بحكم الطبيعة و الفرق الوحيد بينهم هو في العقل و الغباء فقط ، فالعبيد ليسوا ناقصون في العقل كما قال أرسطو و إنما هم عمال مستأجرون مدى الحياة .

- **القانون :** هو القانون الطبيعي الذي يجب إن تصدر منه كل القوانين لأنه واقعي و عادل و أزلي ، وكل القوانين المخالفة له تنبع من خطأ الإنسان في فهم قوانين الطبيعة أو محاولته تجاوزها .

- **الفرد و السياسة** : تعتبر الرواقية السياسة شيء سيئ في حد ذاتها و تعيد النظر في أهميتها في حياة الفرد، فإذا لم يجد سعادته في السياسة كمواطن أو كحاكم فيجب إن يعتزلها و يبحث عن سعادته في أشياء أخرى .

- **الحكومات** : يرى الرواقيون بان الدستور المختلط ما بين الأرستقراطية والملكية هو أفضل نظام .

ثانيا : الأبيقورية (épicurisme)

سميت بالابيقورية نسبة الى أبيقور ، الذي أسس مدرسة الحديقة بأثينا سنة 306، و تنطلق الابيقورية من نظرة مادية للكون الذي تنظر إليه على انه مجموعة مادية لا اكثر تتكون من ذرات فيزيائية تتكتل لتشكل أشياء و مخلوقات لا تتحكم فيها أي قوة ميتافيزيقية ، لذلك فالابيقورية لا تؤمن بوحدة الكون و لا بالآلهة التي إن وجدت فهي مجرد كتلة ذرية لا سلطة لها على الكون و لا على البشر ، و بالتالي فلا يجب

الخوف منها و لا من الموت و لا من أي شيء ميتافيزيقي لأنه في الحقيقة غير موجود [22]، و طبقا لهذه الفلسفة قدمت الابيقورية الافكار التالية :

- **اللذة** : انطلاقا من هذه النظرة المادية للكون ترى الابيقورية بان الانسان يحقق سعادته من خلال اللذة ، لذلك سميت الابيقورية بفلسفة الرغبات ، لكن هذا لا يعني بأنها تدعو الى استهلاك الرغبات بشكل مكثف و لا متناهي ، فهي تدعو الى التفريق بين انواع التي يقسمها ابيقور الى ثلاثة هي اللذة الطبيعية الضرورية و هي التي تزيل الألم (مثال إن نأكل إذا جعنا) و اللذة الطبيعية غير الضرورية مثل إن نأكل و ننوع في الأكل بعد إن نشبع و أخيرا اللذة غير الضرورية .

- **السعادة** : ترى الابيقورية بان تحقيق السعادة يتم بالتمييز بين أنواع اللذة و الاعتدال في استهلاكها عن طريق البحث عن اللذة الضرورية منها من اجل إزالة الألم و الابتعاد عن الإفراط في الملذات التي يمكن الاستغناء عنها لأنها تنشئ توع من التبعية للذة التي تذهب اللذة و منها السعادة فتصبح مصدر للألم و للتعاسة.

- **العدل** : هو إعادة إنتاج قوانين الطبيعة من قوة و ضعف .

- **الإنسان** ليس حيوان سياسي بطبعه بل يصبح كذلك بعد اتفاقه مع الآخرين .

- **السياسة** ضرورية لأنها تضمن الأمن للمجتمع ، و القوة وسيلة لاستمرار الدولة، فيمكن قياس ذلك على فلسفة اللذة التي تبرر الذهاب للشيء عند الحاجة ، فالقوة و الغزو هي حاجة طبيعية لتامين الحياة .

- **الحكومة** : لا يهم شكلها المهم إن تكون قادرة على تحقيق الأمن و المصالحة .

← انتقال روما من الجمهورية إلى الإمبراطورية

أولا : الحكم الملكي:

تأسست روما عام 753 ق.م ، و تطورت في شكل دولة-مدينة حكمها الملوك بالوراثة و التصاهر ، وتميزت بالحكم الملكي شبه المطلق لوجود مجلس رجال الدين (comices curiates) الذي كان يلعب دور الاستشارة الدينية و مجلس العقال أو الشيوخ (sénat) الذي ينتمي أعضاؤه الى العائلات الأكثر غنى في روما و يلعب دور الاستشارة القانونية ، المالية و الإستراتيجية ، و أحيانا يؤثر في اختيار الملوك .

[22] NEMO Philippe « histoire des idées politiques dans l antiquité et au moyen âge »,op cité, p 316-322.

انتهى العصر الملكي في روما سنة 509 ق.م ، بسبب طغيان الملك «طاركان» واستبداده بالحكم عن الارستقراطية ، مما أدى الى الثورة عليه و إسقاطه[23] .

ثانيا : الحكم الجمهوري:509-27 ق.م

بعد إسقاط الملك «طاركان» انتقل الحكم في مرحلة أولى الى «مجلس العقال» الذي سيطرت عليه الارستقراطية الى ان بدأت هي الاخرى تستبد بالحكم ضد الطبقات الفقيرة من المجتمع الى أن قامت ثورة شعبية في 495 ق.م ، حيث توسع التمثيل السياسي لباقي المواطنين في المؤسسات السياسية في إطار نظام جمهوري هجين يخلط بين الارستقراطية و الديمقراطية :

- **المجالس الشعبية** (les comices) : تجمع المواطنين الرومان على أساس تصنيف يقوم على الغنى فالأغنياء يمثلون خمسة أقسام حسب درجة الغنى و العوام قسم واحد، تصوت هذه المجالس على القوانين و تنتخب أعضاء السلطة التنفيذية.
- **القنصلين** (consuls) : و هو المنصب الأعلى في الدولة الذي عوض منصب الملك ، يشغله قنصلين تنتخبهما المجالس الشعبية لمدة سنة ، و يمارسان صلاحيات تنفيذ القوانين ، يتحكمان في القوات العسكرية و يتخذان قرارات الحرب، و يتم اختيارهما عموما من قادة الحرب الأقوياء اللذين استطاعوا تحقيق الغزوات الكبرى مثل الأسطوري "جوليوس القيصر" .
- **حكام الضريبة** (censeurs): يشغله حاكمين ، تنتخبهما المجالس الشعبية لمدة سنة و نصف من بين اللذين شغلوا منصب قنصل من قبل ، يقومان بجرد الممتلكات و تصنيف المواطنين حسب ثروتهم و الضرائب المفروضة عليهم ، و منه يضعان قائمة أعضاء مجلس الشيوخ من جهة و يحضران للانتخابات حسب الثروة من جهة أخرى.

- **القضاة** (préteurs): تنتخبهما المجالس الشعبية لمدة سنة ، و عددهم متطور حسب التوسع الجغرافي الذي حققته روما ، و تعرف روما بتطور قوانينها ، و تطور مهنة المحاماة فيها .

- **كبار الموظفون** (questeur) : في الشؤون المالية و بنا المدينة و معمارها، و ينتخبون من قبل المجالس لمدة سنة كذلك لمساعدة القنصلين في الشؤون الإدارية .

- **مجلس العقال أو الشيوخ** (sénat) : و هو مؤسسة قديمة منذ العصر الملكي ، تتكون من الارستقراطية الغنية و من رجال الدين ، يختارهم حكام الضريبة ، يمارسون حق الفيتو حول القوانين و الوظيفة الاستشارية بالنسبة للقرارات التنفيذية[24].

[23] Ibid P 332-334

استطاعت روما ابتداء من القرن الثالث ق.م ، بفضل سياستها العسكرية في تقوية جيشها و تدريب مواطنيها ، أن تسيطر على كل ايطاليا بعد قرون من الحروب مع المدن المجاورة ، و بسبب شهوتها في السطو و نهب الثروات المجاورة ، وصلت جيوشها الى اسبانيا ، بلاد الغال و بريطانيا غربا ، الى مقدونيا ثم فينيقيا شرقا و الى قرطاج جنوبا ، حيث أصبح الغزو أداة سياسية للوصول الى السلطة ، ثم فتح الباب لتحولها من جمهورية الى إمبراطورية في 27 ق.م.

ثالثا : الامبراطورية ابتداء من 27 ق.م

ان شهوة التوسع و جلب الثروات الى روما أعطى أهمية قصوى للشخصيات العسكرية التي كانت غالبا تشغل منصب القنصل حيث تحول التوسع السياسي الى تحدي لدى هذه الشخصيات ، و بدأ مع « جوليوس قيصر » الذي استطاع أن يصل الى منصب قنصل روما في 59 ق.م .

بعد ان غزى أراضي غرب أوروبا ووصل الى بريطانيا، طمح "جوليوس قيصر" في الترشح مرة ثانية الى منصب قنصل لكنه لاقى رفض مجلس الشيوخ فقرر غزو روما ضد معارضيه ، و بعد استيلائه على السلطة واصل الغزو حيث أجرى تحالفا مع «كيلوباترا» في مصر ثم وصل الى آسيا الصغرى ، و من ثم تم انتخابه في منصب نادر هو منصب «الدكتاتور» و ذلك مدى الحياة ، مما عدل في النظام الجمهوري بتغول السلطة التنفيذية ذات الطابع العسكري و تحديها لمجلس الشيوخ.

أصبح جوليوس القيصر يمارس السلطة بطريقة مستبدة و يستعد الى تغيير دستورها رسميا من نظام جمهوري الى نظام قيصري يحكمه رجل واحد ، مما أدى الى اغتياله من قبل مجموعة من الشيوخ ، و العودة الى نظام القنصلين الذي مارسه ابنه بالتبني «اوكتفيوس» الى جانب القائد «انطونيو».

في 27 ق.م استطاع «اوكتفيوس» إبعاد «انطونيو» بعد أن تحالف هذا الأخير مع «كليوباترا» ، فاستطاع الانفراد بالقنصلية وتحقيق حلم أبيه بالتبني في تحويل الجمهورية الى نظام إمبراطوري يمارس فيه السلطة العليا رجل واحد مدى الحياة ، إذ منحه مجلس الشيوخ بعد تعديل الدستور لقب « أغسطس» مدى الحياة [25]، و رغم محافظته على باقي المؤسسات السياسية إلا أنها أصبحت مجرد مؤسسات شكلية.

2- مفكري العصر الروماني

بوليب (polybe)

[24] JERPHAGNON Lucien « histoire de la Rome Antique », ed Tallandier, 2002,P 23-31
[25] Ibid p 141-173

ولد في 201 ق.م في "أركاديا " في منطقة "البيلوبونيز" من عائلة ارستقراطية، و حيث كان والده رجلا سياسيا وسفيرا، فقد تولى مناصب سياسية و عسكرية هامة، و خلال مشاركته الى جانب الارستقراطية الحاكمة المتحالفة مع مقدونية ضد روما ، تم حجزه كرهينة من قبل روما ، حيث قضى 16 سنة في إقامة جبرية لدى القائد الروماني " باولوس اميليوس " ، الذي اعجب بثقافته الفلسفية و السياسية الواسعة ، فتحول الى صديق له و أستاذا لأبنائه «فابيوس» و «سبيان» اللذين اصبحا من اهم قادة روما فيما بعد.

بعد عتقه في 150 ق.م من قبل أصدقائه الرومان، بقي يتردد على روما و صاحب تلميذه «سيبيان» في غزواته الافريقية ، و الف ابتداءا من سن الستين كتبه الثلاث « رسالة في الفنون العسكرية» ، حياة فيلوبيمان» و كتاب « التواريخ» الذي يروي فيه تاريخ الامبراطورية الرومانية التي شهد صعودها الامبراطوري ، و اعجب بها الى درجة أن وصف بانه روماني من أصل يوناني ، و توفي في 120 ق.م[26].

أفكاره السياسية

تنبع أفكار بوليب السياسية من مقارنة الامبراطورية الرومانية التي اعجب بها بالإمبراطوريات الفارسية و المقدونية ، و اهم ما ورد في كتاباته :

- **الدورة الدموية للدساتير**: يحاكي بوليب نموذج ارسطو للدساتير، فيقول بان الانظمة السياسية تنقسم الى ثلاثة انظمة جيدة هي الملكية و الارستقراطية و الديمقراطية عندما يعمل الحكام للصالح العام ، و بحكم الدورة الدموية للدساتير ، فان هذه الانظمة الجيدة لا تبقى على حالها فالنظام الملكي يكون صالحا في الاول ، ثم ياتي خلف الملك فيحولوه الى حكم استبدادي يخدم مصلحة الملك ، و منه يتحول الى حكم ارستقراطي صالح يخدم المصلحة العامة الى ان يسوء و يتحول الى نظام اليغارشي تسيطر فيه اقلية غنية على السلطة و تخدم مصالحها على حساب الشعب الذي يثورعليها فيتحول النظام الى ديمقراطي يعبر فيه الجميع عن رأيه دون تمييز فيتحول الى اكلوقراطية (ochlocratie) تسود فيها الديماغوجية و الغوغاء ، فياتي شخص قوي حكيم يضبط الفوضى ، و منه يعود النظام الى الملكية ...الخ .
- **صعود و نزول الإمبراطوريات** : بحكم القانون الطبيعي تصعد و تسقط الامبراطوريات مهما كانت قوتها ، و بالتالي فروما رغم قوتها التي ستصعد بها الى القمة ، ستسقط لا محال في يوم من الايام.
- **الجيش القوي** : قوة الجيش الروماني تنبع من انسجام افكاره و قناعاته بقوته التي يغذيها تدينه ، و من روح الوعي و الدعاية السياسية التي يتلقاها من قادته .

[26] NEMO Philipe « histoire des idées politiques .....»,op cité, p 426

❖ **النظام السياسي المختلط** : يرى بوليب بان روما فاقت قوتها باقي الامبراطوريات ، بفضل نظامها السياسي المختلط ، لانه يجمع في نفس الوقت بين النظام الملكي و الارستقراطي و الديمقراطي ، فمنصب القنصل يمثل الملك ، و مجلس الشيوخ (senat) يمثل الارستقراطية ، و الجمعية الشعبية تمثل الديمقراطية ، و الحكمة تكمن في ان هذا النظام سيمنع وقوع الدورة الدموية للدساتير لانه يحمل كل المتناقضات التي تتتالى في الدورة ضمنه و لان وجود الفئات الثلاث في نفس الوقت يسمح لها بمراقبة بعضها البعض و يمنع استبداد طرف من الاطراف بالسلطة، و هذا ما اعطى الدولة الرومانية الكثير من الاستقرار[27].

شيشرون (*ciceron*)

ولد سنة 106 ق.م من عائلة ميسورة في «أربينوم» الايطالية ، عمل كمحاميا ، حيث تم اكتشاف ذكائه و بلاغته في الدفاع لدرجة انه استطاع أن ينتخب في مناصب سياسية عالية كمساعد القنصلي (questeur) في 76 ق.م ، كقاضي (preteur) في 66 ق.م و كقنصل (consul) في 63 ق.م .

دعى «شيشرون» الى دولة القانون و دافع عن مؤسسات الجمهورية التي ضرب بها «جوليوس قيصر» عرض الحائط ، والتي زادت ضعفا بسبب اللاستقرار و الصراع على السلطة الذي خلف اغتياله ، و من ثم ضعفت مواقف «شيشرون» الى ان تم اغتياله من قبل جنود القنصل " انطنيو" سنة 43 ق.م .

تأثر «شيشرون» بالفلسفة اليونانية الافلاطونية و بمبادئ المدرسة الرواقية ، و عرفت كتاباته بالدفاع عن البعد القانوني للسياسة و الرغبة في الحفاظ على المؤسسات الجمهورية ، و كتب في السياسة ضمن مؤلفين هما :

- "**الجمهورية**"الذي بدأه في 54 و أتمه في 51 ق.م
- **"في القوانين" الذي** بدأه سنة 52 ق.م [28].

أفكاره السياسية

تأثر «شيشرون» بمبادئ المدرسة الرواقية حيث عرفت كتاباته بالدفاع عن الحقوق الطبيعية و البعد القانوني للسياسة و الرغبة في الحفاظ على المؤسسات الجمهورية، و كان السؤال الذي تمحورت حوله

[27] Ibid p 428-434
[28] Ibid 436-438

حواراته في كتاب الجمهورية هو البحث عن النظام الأمثل و الرجل الأمثل في الحكم ، ثم يشرح في كتاب القوانين أهمية القانون الطبيعي ، و يمكن تقديم أفكاره السياسية في العناصر التالية :

❖ **المدينة**

يرى شيشرون بان تجمع البشر في المدينة ظاهرة طبيعية ليس بسبب خوف البشر و انما بسبب طبيعة البشر الاجتماعية التي لا تطيق الانعزال و الوحدة ، و بسبب المصلحة المتبادلة في العيش معا ، اما السلطة السياسية المنظمة فلم تنتج عن فعل رجل قوي و انما هي نتاج تطور اجتماعي تدريجي جعل منها أداة ضرورية لعيش البشر معا ، و قد صاحبت التجمع البشري بصورة طبيعية .

❖ **القانون الطبيعي و القانون الوضعي**

يرى شيشرون بان العدالة و الخير هي مبادئ طبيعية و هي موجودة في فطرة الإنسان ، لذلك يجب إن تقوم العدالة الوضعية على القوانين الطبيعية التي تفوق التصورات الأخلاقية و المعتقدات الدينية التي يضعها البشر ، لان هذه الأخيرة ناقصة و متغيرة بينما القوانين الطبيعية هي أزلية و منسجمة مع الطبيعة البشرية.

كذلك يقول بان قانون الجمهورية الرومانية لم يرقى الى المستوى المطلوب من العدالة الطبيعية لأنه ما زال يعتمد على المصادر الدينية و لان تصور القواعد القانونية ما زال ينبع من اتفاق الناس وليس بالعودة للطبيعة[29] .

❖ **الوظيفة السياسية و العقل**

يرى شيشرون بان الاعتماد على القوانين الطبيعية في تسيير الجمهورية يجب إن يصاحبه اختيار الحكام الذين يتمتعون ب:

- القدرات العقلية في التفكير و الرؤية و الفرز،
- التجربة و الحنكة السياسية ،
- التحكم في القوانين و الدساتير،
- التحكم في فنون الادارة و التسيير،
- التحكم في فنون الحرب،

[29] NAY Olivier « histoire des idées politiques ..... » , op cité , 2016, p 115

- العلم و المعرفة بتاريخ الامم و جغرافيتها،
- التمتع بموهبة البلاغة.

كما يدعو الحكام الى الابتعاد عن المعتقدات الدينية و تحكيم العقل في ممارسة الوظيفة السياسية

و يرى شيشرون بان عالم السياسة مليء بالصعوبات بسبب الافراد السيئون الذين يتصارعون عليه و يريدون الوصول الى المناصب بالقوة ، و اسوء ما يمكن ان يحدث للرجل الخير هو ان يعمل تحت إمرة الرجل السيئ ، لذلك يجب على الرجل الخير الذي يتمتع بالصفات المطلوبة للحكم الجيد الا يترك السياسة لهؤلاء بل عليه إن يتحمل مخاطرها، و ان يمنحها كل اهتمامه حتى على حساب حياته الخاصة و حتى لو مست سمعته ، لانها واجب اخلاقي .

❖ **الحكومة**

يرى شيشرون بان الحكم العادل هو الذي يخدم مصلحة المجتمع لان هذا الاخير يعبر عن اشخاص يتقاسمون نفس المصالح و تحكمهم نفس القوانين ، لذلك فان اشراك الشعب في السلطة يصبح ضروري للعيش معا و بان تفرد شخص او فئة بالسلطة يصبح وضع غير طبيعي .

هذا لا يعني بان شيشرون يفضل حكم الشعب ، فهو يدعو الى مشاركة كل الفئات في السلطة مع خضوع الجميع بما فيهم الحكام الى قوانين الجمهورية ، لذلك فهو يفضل مثل سابقه بوليب النظام المختلط الذي يجمع الاضداد (حكم الفرد و الاقلية و الاغلبية)، لكنه يختار بان يعود منصب الحاكم الاول لشخص واحد[30] و ليس اثنين او ثلاث مثل نظام روما الذي ساد فيه نظام القنصلين ثم نظام الثلاث قناصل .

سينيكا (Sénèque)

ولد بقرطبة في حوالي 04 ق.م من عائلة نبيلة ،لكنه لم يشغل اي منصب الى ان بلغ 54 سنة حيث **انتخب كقاضي** في روما ، ثم اشرف على تكوين الامبراطور نيرون في السنوات الاولى لتوليه الحكم و هو في سن 17 من عمره ، ثم مستشار له الى ان انتحر بامر منه سنة 65 م بسبب الاختلاف في الرؤى.

يعتبر سينيكا مثل شيشرون من المفكرين الرومان الذين تأثروا بالفلسفة الرواقية ، وكتب اهم افكاره السياسية في مؤلفه «الحوارات» من 47 الى 63 م ، كما الف كتب عديدة اخرى في الاخلاق ، و التراجيدية و الفيزياء .

[30] Ibid p 117

أفكاره السياسية

تنبع أفكار سينيكا من معايشة أوضاع روما التي انتقلت من الجمهورية إلى الإمبراطورية عبر سلسلة من الحروب و القتال الدموي بين المتنافسين على السلطة منذ عصر «جوليوس قيصر» ، فقد تفشى الفساد الأخلاقي ليس فقط في الأنظمة السياسية و انما في المجتمع كذلك ، فتحصر على الجمهورية التي كانت رمزا للقانون ثم وقعت فريسة للشهوة السياسية ، و بسبب تأثره كذلك بالمسيحية ، جاءت افكاره ذات نزعة اخلاقية[31] :

- **الحياة الطبيعية** : العصر الذهبي للإنسانية هو عصر ما قبل المدينة الذي كان فيه البشر على بساطتهم و سذاجتهم ، الى ان ظهرت الملكية (la propriété) التي ربت لديهم الطمع ، ثم ظهرت السلطة السياسية التي مارسها العقال و الحكماء في الأول من اجل تحقيق الوئام و العدل في المجتمع ، و عندما تحولت السياسة الى شهوة خطيرة يصبوا اليها الطغاة فسدت الأنظمة السياسية و الحياة الاجتماعية .
- **الحكومة شر لابد منه** : يرى بأنها شر لابد منه لانها الوحيدة التي يمكنها القضاء على الفوضى و الفساد بشرط إن يحكمها العقلاء ، كما انه لا يشجع حكم الأغلبية التي يصفها بالغوغاء.
- **أخلاق الحاكم** : يركز سينيكا على فضيلة رئيسية يجب إن يتحلى بها الحاكم و هي الرأفة في ممارسة السلطة لانها تعبرعن تحليه بالحكمة التي تغنيه عن استعمال القوة و العنف[32] .
- **الكرم الطبقي**: يدعو سينيكا الى تحلي الاغنياء بصفة الكرم و العطاء نحو الفقراء لكي تعم الاخوة و الانسانية بين الناس .
- **السعادة** : لتحقيق السعادة يدعو سينيكا الناس إلى القيام بواجبات المواطنة دون الشغف بالسياسة و إلى التحلي بالأخلاق و الابتعاد عن حب المصلحة .
- **الحروب و الامبريالية :** يصف سينيكا الطموح السياسي بالجنون المرضي و البحث عن التوسع الامبريالي بالشذوذ الأنثروبولوجي الذي يمنع التطور الطبيعي للمجتمعات البشرية ، و يفسد الأخلاق و الأنظمة .

[31]CITOT Vincent «Grandeur et décadence de la philosophie romaine », le philosophoire, , 2015 /1,n°43, PP 199-270 .
[32] Ibid p 246

المحور الثاني : الفكر السياسي المسيحي (القديم و الوسيط)

اولا:"القديس اغستين" « Saint Augustin »

1- الدعوة المسيحية و الامبراطورية الرومانية

- **اعتراف الامبراطورية بالمسيحية** :رغم إن أتباع المسيح لم يعارضوا النظام الإمبراطوري و دعوا منذ البداية إلى الخضوع إلى السلطة الإمبراطورية ،إلا إن المسيحية لاقت اضطهادا من قبل الرومان ساسة و مواطنون حيث استمروا في وثنيتهم لثلاثة قرون ميلادية ، و لم تلاقي المسيحية قبولا الا في عصر الامبراطور قسطنطين الذي اعترف بها في حوالي 313 م ، و منذ نهاية القرن ذاته تحولت الى الديانة الاولى في الامبراطورية ، رغم بقاء بعض الرومان على وثنيتهم .
- **اعتراف الكنيسة بالسلطة الامبراطورية** : هدف المسيحية كان انشاء المدينة العالمية و الأزلية، مدينة الله في الارض التي ترعى الاخلاق و الفضيلة و على راسها الكنيسة ، لذلك فلم تكن تهتم لمن يحكم ، المهم ان لا يتعرض للديانة المسيحية و لانتشارها ، فكان هناك تطور موازي للكنيسة مع السلطة الزمنية التي يمثلها القيصر ، فلا يمكن للامبراطور إن يحمل لقب البابا و لا هذا يحمل لقب الإمبراطور ، فقد اعترفت الكنيسة بالسلطة السياسية كما هي بمؤسساتها و قوانينها.

- **صلاحيات كل سلطة** : السلطة السياسية ميدانها زمني و هي في يد الإمبراطور الذي يحكم المصالح الدنيوية للناس و يفرض العقوبات المادية ، و السلطة الدينية ميدانها ازلي و مجالها روحي تهتم بالعلاقة بين الإنسان و الله التي تتميز بحوافز و عقوبات غير مادية و غير زمنية .

- **الاستمرارية :** نجدها في فكرة المدينة العالمية التي كانت تمثلها الامبراطورية الرومانية و التي تتوافق مع الدعوة المسيحية التي تستهدف كل البشر، كما نجدها في اعتماد المسيحية في دعوتها على الفلسفة اليونانية و الرومانية مثل :(استمرارية الحياة بعد الموت لافلاطون /المدينة العالمية و الحرية و المساواة طبقا للقانون الطبيعي للرواقية /أهمية العدالة عند شيشرون...)

- **القطيعة** : نجدها في تغير التصور الذي كان سائدا حول الالهة، فهي تضع الله فوق الطبيعة و ليس داخلها، فهو ليس شمسا و لا قمرا و لا موضوعا طبيعيا، ثانيا فهي رسالة حملها انسان طبيعي

يمشي بين الناس و له أتباع يقومون بالدعوة ، ثالثا فقد قدمت مشروعا اخلاقيا منسجما بالنسبة للمشاريع الفلسفية الاخرى التي قدمها المفكرون[33] .

2- افكار القديس اغستين

ولد القديس اغستين في 354 م في مدينة "تاغاست" اي "سوق اهراس" حاليا ، مارس مهنة تدريس البلاغة منذ العشرينات من عمره في قرطاجنة ، روما و ميلانو حيث التقى بملهمه الروحي القديس "امبرواز" و اعتنق المسيحية في سن 36 من عمره، ثم عين اسقفا لهيبون منذ 396 ، حيث توفي فيها سنة 430 بعد غزو الوندال لها.

تعدت كتابات القديس اغستان المئتا كتاب ، تستحوذ فيها الديانة المسيحية و تعاليمها على حصة الاسد، كما يتحدث عن شبابه و كيفية اعتناقه للمسيحية، اما الافكار السياسية التي قدمها فنجد معظمها في اهم مؤلف له **"مدينة الله"**[34] الذي انجزه بين 413 و 427 م في 22 كتابا [35].

❖ **الدفاع عن المسيحية (في الكتب العشر الاولى)**

كان الدافع الاول لمؤلف"مدينة الله" هو انهزام روما سنة 410 م على يد القوطيين (les Germaniques Goths :) ، بعد إن كانت مدينة لا تهزم لمدة قرون ، و هزمت روما لاول مرة و هي مسيحية ، مما جعل الرومان و خاصة الوثنيون منهم يشككون في مدى مصداقية هذه الديانة والإله الذي لم يحميها ، بناءا على ايمانهم القديم بان الآلهة هي التي تنصر او تهزم ، فدعى "اغستين" لوجوب التفريق بين الامور الدينية و الامور السياسية ، و بان المسيحي لا يجب أن يبكي على شيئ دنيوي، لانه في انتظار مملكة سماوية ازلية لا علاقة لها بالسياسة ، فالسلم الحقيقي لن يتم الا في الحياة الاخرة لان الحياه الدنيوية هي صراع مستمر، و بان المسيحية ليست السبب في انهزام روما، و انما انهيار اخلاق روما جعل الله يعاقبها بالهزيمة[36].

❖ **مدينة الله و مدينة الارض (ابتداء من الكتاب 11)**

[33] Ibid p 258-

[34] الى جانبه نذكر مؤلفات اخرى نالت الاهتمام مثل : حديث النفس (387) ، مكيال النفس (388) ،المعلم (389) ،الاعترافات (391-400) ، "المناجاة" (386)، ..

[35] DE PINVAL G . « La pensée de Saint Augustin, BORDAS, (année et lieu N.D), pp 10-14

[36] Ibid p 140-145

توسع اغستين في عرض العقيدة المسيحية ثم دعى للتفريق بين مدينتين مدينة الخير و مدينة الشر، الاولى هي مدينة الله و الثانية هي مدينة الارض ، لكنه اختار إن يسمي مؤلفه مدينة الله لتفضيلها ربما عن الثانية ، رغم انه يتحدث عن المدينتين و يقارن بينهما في نفس الوقت.

مدينة الله اسسها حب الله الى درجة تجاهل الذات، و اهلها هم جماعة اختارها الله من المؤمنين به، مبادئها هي خليط من التقاليد و من التعاليم الإنجيلية، فأهل مدينة الله هم الخيرون الذين رغم وجودهم في مدينة الأرض ، فإنهم يعيشون الحياة الدنيا للوصول الى الله ومدينتهم تبقى غريبة في الارض لان مكانها هو السماء الذي تنتظر الرجوع اليه .

مدينة الأرض اسسها حب الذات الى درجة تجاهل الله ، اهلها هم الاشرار اللذين يستخدمون الله للوصول الى الدنيا و مرجعهم للابالسة .

الفرق بين اهل مدينة الله و اهل مدينة الارض هو الفرق بين الملائكة و الشياطين ، ، و تعيش المدينتان جنبا إلى جنب لكن تظلان في صراع مستمر الى حين يفصل الله بين اهل المدينتين[37] .

- **الدولة و السلطة** : البشر متساوون فليست هناك سلطة طبيعية للإنسان على الإنسان و انما له سلطة على ما دونه (مثل الحيوان)، و الدولة عند اغستان تنتمي الى مدينة الأرض و لا ترقى لدرجة التقديس ، وهي نتاج الخطيئة التي اقترفها الإنسان ، فاصبح بحاجة الى وجود حكام للحد من الانانيات و اقامة العدل بين الناس، لذلك فان مشروعية وجودها لا يمكن إن يبرره سوى قدرتها على إحلال العدالة، فإن لم تثبت فعاليتها في ذلك تعتبر مجرد عصابة من الحكام [38] .
- **الكنيسة و الامبراطورية**: يدعو اغستين الى فصل السلطة الزمنية عن السلطة الدينية و استقلالية كل منها عن الاخرى، فالامبراطور لا يدين للكنيسة الا بحمايتها من الغزو الاجنبي، من اليهود و من المرتدين حتى و إن كان ذلك باستعمال القوة، و في المقابل فهي لا تتدخل في ادارته للشؤون السياسية لانها شؤون دنيويه لا تعنيها و انما تهتم بتهذيب المواطنين و تربيتهم على الأخلاق و الطاعة ، و هكذا لا يجوز للإمبراطور أن يكون بابا و لا للبابا إن يكون إمبراطور.
- **الطاعة و المواطنة** : يفرق هنا بين المواطن المسيحي الذي يحترم القوانين و النظام بفعل الإيمان و الاستقامة و النية الحسنة، والمواطن غير المسيحي الذي يطيع بسبب الخوف و القسر، و بناءا على هذا المنطق في طاعة المسيحي للنظام القائم ، فهو يحث على طاعة السلطة الزمنية، و يبرر ظلم السلطة للمواطنين بالعقاب الإلهي ، لذلك فلا نجد اثر للثورة على النظام القائم في فكر اغستين[39] .

[37] Ibid. p 146-153
[38] NEMO Philippe « histoire des idées politiques », op cité, p753.
[39] Ibid p 756

- **الإمبراطورية الرومانية** : يرى اغستان بان الامبراطورية اساءت لروما لانها بقيت تبحث عن جمع الثروات عبر التوسع الى إن افسد المال حكامها ، و بان شساعتها الجغرافية ساعدت على تفشي الفساد في ادارتها المترامية الاطراف و حتى في مجتمعاتها ، لذلك فهو يفضل العصر الجمهوري على الإمبراطوري .
- **أنواع الحكومات** : رغم نقده للنظام الإمبراطوري الذي يعتبره تعبيرا عن شهوة القوة و الشهرة و تفضيله للدول الصغيرة ، الا انه لا يعبر عن اي أفضلية بالنسبة لنوع الحكومة فالمهم إن تحترم حدود الله و تطبق العدالة بين الناس .
- **القانون و العدالة** : القانون العادل مصدره العدالة الإلهية [40]، لان هذه الأخيرة تعبر عن العدالة الكاملة ، التي لا يمكن إن تحققها القوانين الوضعية ، لذلك فلا يجب أن تتناقض مع القوانين الإلهية، فيقول "لا اله لا عدالة ، لا عدالة لا قانون" .
- **صفات القائد** : يجب إن يتمتع ببعد النظر المرتبط بالبحث عن المصلحة العامة، إن يكون ذو شخصية وإرادة قوية و يستطيع اتخاذ القرارات الحاسمة ، كما لا يجب إن يكون شخصا رديئا و لا وضيعا ، و لا يجب إن يضعف أمام شهوة العظمة لان العظمة لله وحده ، فالحاكم وظيفته هي خدمة الناس و ليس خدمة نفسه" gouverner c'est servir " ، فهو ضمنيا ، و دون التجرؤ عن الافصاح بسب هشاشة المسيحية آن ذاك ، يقصد بان يتحلى القائد بصفات المسيحي الصالح [41].
- **الفساد** : هو سبب انهيار الدول و يأتي من انغماس الحكام في الملذات و ابتعادهم عن الناس ، ويربط هذا الفساد بزيادة الثروة في الدولة او الإمبراطورية.
- **الحرب** : يجب إن تكون دفاعا عن الحق و ليس بحثا عن الاستيلاء على ثروات الشعوب الاخرى و لا عن الشهرة .
- **صعود و نزول الامبراطوريات** : ظاهرة حتمية و ما هي الا خطة الاهية و ليست بسبب قوة الجيوش او الاشخاص في ذاتهم ، و بناءا على هذا فسقوط روما ما هو إلا تعبير عن الإرادة الاهية[42] .

ثانيا:توماس الاكويني « Thomas d'Aquin »

1- المسيحية بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية

[40] NAY Olivier « histoire des idees politiques.. », op cité, p 134
[41] Ibid p 134.
[42] DE PINVAL G . « La pensée de SAINT AUGUSTIN, op cité , p 141.

منذ سقوط روما في يد "القوط" ، بدأت **الإمبراطورية الرومانية الغربية** تتفكك تدريجيا إلى ممالك صغيرة ، حيث دخلت أوروبا فيما يسمى بالقرون الوسطى التي امتدت من القرن 5 م إلى القرن 15 م ، أي لمدة عشر قرون ، تميزت ب :

- حروب دموية بين الممالك البربرية الجديدة وبقايا الإمبراطورية الرومانية الغربية و حروب فيما بين هذه الممالك ، أدت إلى استقرار قبائل "الفرنك" ، " الغول" و " الالامان" في الجزء الاوروبي من الامبراطورية ، و قبائل " الآنجل" و "الساكسون" و "الجيوت" في المنطقة البريطانية و قبائل "القوط" و "الوندال" في اسبانيا و شمال افريقيا[43]، و استمرت هذه الممالك في الصراع لمدة قرون الى إن بدأت تستقر حدودها في القرن 10 مكونة بذلك: المملكة الجرمانية و الفرنسية و الهولندية الى جانب ايطاليا و الجزء الكاثوليكي من اسبانيا و بريطانيا . اما الامبراطورية الرومانية الشرقية او (بيزنطة) فحافظت على وجودها وحاولت استرجاع الجزء الغربي من الامبراطورية الرومانية في القرن 6 و 7 م لكنها فشلت امام البرابرة في الغرب و القوة الاسلامية الصاعدة في الشرق و اسيا الصغرى و منطقة المتوسط ، و بدأت قوتها تضعف بعد الحروب الصليبية الى إن سقطت في القرن 15 م على يد محمد الفاتح العثماني.

- تميزت القبائل البربرية التي فككت الامبراطورية الرومانية بالجهل و التخلف ، لكن بعد اختلاطها بالشعوب الرومانية استوعبت ثقافتها حيث شكل الموروث الثقافي الروماني أرضية انطلقت منها الحضارة الأوروبية الغربية خاصة اللغة اللاتينية و الديانة المسيحية ، اما الفلسفة و العلوم التي كانت في الأصل موروثا يونانيا فقد تقهقرت و اهملت في هذه المرحلة التي سميت بعصر "الظلمات" ، مقابل ازدهار الفلسفة والعلوم في الحضارة الإسلامية التي أصبحت مركز الاشعاع منذ القرن 8 م .
  ابتداء من القرن 11 بدأت أوروبا الغربية تستعيد بقايا العلوم اليونانية و الرومانية بالإضافة للعلوم و الفلسفة الإسلامية، خاصة بعد إنشاء الجامعات التي كانت تدرس الفكر اليوناني القديم و الفكر الإسلامي، لكن الكل تحت رقابة الكنيسة المسيحية .
  هذه العوامل الثقافية و التاريخية هي التي انتهت ، بعد حروب و تحالفات طويلة بين الممالك الجديدة إلى تشكيل ما يسمى بالأمة الأوروبية .
- تقوت الكنيسة المسيحية رغم انهيار الامبراطورية الرومانية الغربية و دخول اجناس و حكام جدد على المنطقة ،حيث استطاعت إن تحافظ على انتشارها الممتد من بريطانيا غربا الى بيزنطا شرقا و من شمال المتوسط إلى جنوبه (قبل الفتح الاسلامي) ، و قد لعب سلوكها الحيادي تجاه السلطة السياسية آنذاك ، وطبقا للفلسفة الاغستينية ، دورا هاما في هذا التوازن ، حيث لم تكن تزعج الملوك

[43] *Francs/Alamans/Burgondes/Gaules/Angles/Saxons/Jutes/goths/Vandales*

و التنظيمات السياسية الجديدة ، بل بالعكس فكثيرا هم الملوك الجدد اللذين اعتنقوا المسيحية بسبب مسالمتها و مسايرتها للسلطة الزمنية ، لكن سرعان ما بدأت الكنيسة تتخلى عن حيادها بالنسبة للسلطة الزمنية ابتداءا من القرن 8 م حيث توج بابا روما الملك "شارلمان" ملك الفرنك، "كامبراطورا للغرب الكاثوليكي" سنة 800 م ، و منذ ذلك الحين بدا التداخل بين سلطة الملك و سلطة البابا الذي ظهر من خلال مرحلتين :

مرحلة اولى في القرنين 9 و 10 حيث خضعت فيها الكنيسة لحكم الملوك اللذين صاروا يختارون كبار الأساقفة .

مرحلة ثانية منذ بداية القرن 11 م حيث بدأ رجال الدين يتذمرون من الخضوع لسلطة الملوك ، الى إن استطاعت الكنيسة فرض نفسها تدريجيا خاصة و قد زاد ثراؤها و سلطانها على العقول ، بحيث أصبحت تتقاسم السلطة الزمنية مع الملوك بل و تتحكم فيهم أحيانا كثيرة ، مثل دفعهم إلى الحروب الصليبية التي امتدت من 1095 الى 1270 م ، كما أصبحت تصدر العقوبات الدنيوية كالحبس و الإعدام و تبارك و تمنع زواج الملوك و تصدر صكوك الغفران التي تحولت إلى تجارة في القرن 14 و 15 م ، و سيطرت حتى على الفكر العلمي في الجامعات، فقد تميزت القرون الوسطى بالخروج من الفكر التيولوجي للقديس أغستان الذي يفصل السلطة الزمنية عن الدينية، و الدخول في شكل جديد من السلطة الزمنية يتقاسمه الملك مع الكنيسة التي تستمد مشروعيتها من الدين و تنقل هذه المشروعية للملك في مصلحة متبادلة تتمثل في إخضاع المحكومين ، مقابل الحفاظ على مؤسسة الكنيسة و ثرائها و العمل على انتشار الديانة المسيحية[44] .

← **ازدواجية السلطة** : أصبح الناس منذ ذلك يخضعون لسلطتين : سلطة الحاكم من ناحية و سلطة الكنيسة من ناحية اخرى، و طرحت هذه الازدواجية اشكالية جديدة في تاريخ النظم السياسية هي العلاقة بين الكنيسة و الدولة التي حكمت مصير الشعوب لمدة قرون قادمة .

2- أفكار توماس الاكويني

ولد سنة 1224 في مدينة "روكا سيكا" بالقرب من نابولي في جنوب ايطاليا من عائلة ارستقراطية، انظم الى الرهبان "الدومينيكان" في سن العشرين رغم معارضة عائلته لذلك و درس التيولوجية و درّسها في جامعة نابولي و جامعة باريس.

---

[44] انظر :

NEMO Phillipe « histoire des idees politiques... », op cité, p 765-777

اهتم توماس الاكويني بالفلسفة الاسلامية ، و تاثر بابن رشد الذي اكتشف أرسطو من خلاله ، لكنه اختلف معه و رد عليه في كتابه " وحدة العقل ضد الرشديين".

مؤلفات توماس الاكويني تكتسي طابع ديني بالدرجة الاولى ثم طابع فلسفي و سياسي بدرجة اقل ، عدد كتبه سبعة، أهمها "خلاصة اللاهوت" (La somme Théologique) الذي ألّفه حوالي 1240م ، بالإضافة الى حوالي ثمانين كتيب متعددة المواضيع و رسائل مختلفة، اما فكره السياسي فنجده في الكتاب المذكور و احيانا بصفة موزعة في الكتيبات الصغيرة الأخرى ، توفي توماس الاكويني في 7 مارس 1277[45].

يعتبر توماس الاكويني من مؤسسي الفلسفة المدرسية (Scholastique)[46] ، التي تقوم على البرهنة المنطقية على النظرة الدينية و التي تاثرت بفكر ابن رشد الذي ادخل الارسطوتاليسية على الفلسفة الدينية، عبر دراسة إشكالية العلاقة بين العقل و الإيمان ، و الاهتمام بالإجابة عن هذه الإشكالية هو الذي ميز فكر الاكويني الذي يعتبر فلسفيا و دينيا بالدرجة الأولى، و سياسيا من حيث محاولته تكييف البعد التيولوجي مع الفلسفة السياسية .

حاول توماس الاكويني ، على غرار ابن رشد في الفكر الاسلامي ، اكساب المزيد من المصداقية للديانة المسيحية عن طريق ربط الإيمان بالعقل[47]، فيقول بانه لا يوجد تناقض بين الفلسفة و الايمان (يقصد بالفلسفة العقل او التفكير المنطقي) ، فالعقل هبة إلهية لا يمكن إن تتناقض مع الإيمان ، و هنا يختلف مع ابن رشد الذي يعتبر مفكر ارسطوطاليسي بامتياز و الذي درّس لمدة خمس و عشرون سنة في الجامعات الاوروبية قبل إن يمنع خوفا من عقلانيته، الذي يرى بان العقل قد يتناقض مع الايمان ، في حين إن الاكويني يحسم الامر بان الايمان عقلاني دون فتح الباب للبرهان ، حيث يقول بان العلماء لا يمكن إن يفهموا بدون ايمان و البسطاء لا يمكن إن يؤمنوا بدون فهم ، و رغم نقده لابن رشد الا انه استعمل براهينه العقلية عن وجود الله في (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال).

- **نظرية المجتمع** :الانسان حيوان اجتماعي لا يستطيع العيش بمفرده، و يكتسب صفته كانسان من حياته الاجتماعية، فهو يتكاثر و يعيش في الأسرة ، و يحتاج إلى الآخرين لتلبية حاجياته ، كما يحتاج إليهم من اجل الاستئناس و تبادل العواطف الطيبة و تحقيق الحياة البشرية الصالحة ، و قد أعطاه الله هبة العقل ليستعملها في العيش مع المجتمع و التعامل مع الآخرين.

[45] Ibid p 898
[46] JUGNET Louis « La pensee philosophique de Saint Thomas D' Aquin », BORDAS, 1949, p 10
[47] Ibid p 21.

- **الدولة** : الى جانب إن الانسان حيوان االجتماعي فيصبح بالطبيعة حيوانا سياسيا لان الجماعة تفرقها و تنازعها المصالح الذاتية خاصة منها الناتجة عن الفوارق الاجتماعية و الملكية الفردية فتصبح الدولة ضرورية لتحقيق الصالح العام، و هي –كما يقول شيشرون – اتفاق بين البشر حول مجموعة من القوانين توازن بين المصالح الفردية و المصلحة العامة ، كما تقوم بالسهر على تطبيق هذه القوانين ، و يحتاج الانسان الى الدولة كذلك لتحميه من الخطر الخارجي، فوجود الدولة يعبر عن مصلحة عقلانية و مشتركة للافراد و هي وضع القوانين و تطبيقها و الحماية الخارجية .
- **العلاقة بين السلطة الروحية و السلطة الزمنية** : للفرد نوعين من السعادة ، الاولى روحية تتحقق بالوصول الى رضى الله و تقوده اليها الكنيسة ، و الثانية مادية دنيوية يقوده اليها الحكام ، لذلك فقد فرق الاكويني بين سلطتين يخضع لهما الفرد سلطة زمنية يمثلها الحاكم و سلطة دينية تمثلها الكنيسة ، لكن **سلطة هذه الاخيرة تعلو على السلطة الزمنية** كما تعلو الروح على الجسد ، لان الحاكم كذلك يخضع الى السلطة الدينية ، فاذا خالف التعاليم الدينية فانه لا يصلح كحاكم و يجوز اسقاطه لانه لا يعقل إن يحكم الناس ملك مرتد.
- **انواع الحكومات** : يستعمل ذات الطرح لارسطو الذي يقسم الدساتير الى ثلاثة صالحة هي النظام الملكي و الارستقراطي و الديمقراطي و التي اذا فسدت تتحول على التوالي الى انظمة مستبدة اليغارشية او غوغائية ، ثم يقدم تفضيله للنظام الملكي لانه يرى بان الحكم بطبعه يجب إن يمارس من قبل **شخص واحد يكون مستقيما وعادلا طبقا للتعاليم الدينية**[48]، فالحاكم هو كالله في الارض ، يجب إن يمتاز بالحكمة و بعد النظر في رعاية الصالح العام لانه يخضع للعقاب الالهي اذا حاد عن العدالة، و واجباته هي احلال السلام و السكينة النفسية للمواطن و تحقيق العدالة و توجيه الناس اليها ، الى جانب هذا النظام يثني كذلك الاكويني على النظام الخليط لانه نظام يساعد على الاستقرار و قد يكون احسن من حكم الفرد الواحد اذا كان هذا الاخير فاسدا .
- **الديمقراطية** : اما الديمقراطية فليست حكم الاغلبية بقدر ما هي حق المقاومة ضد الحاكم الدكتاتور و إسقاطه بالقوة مع الحفاظ على الصالح العام .
- **الفرد بين الله و الدولة** : يطلب الاكويني من الفرد ان يخضع لله اولا ثم يخضع للدولة...
- **أنواع القوانين** : من اهم ما قدمه الاكويني في المجال السياسي افكاره حول القانون الذي يعرفه : " امر عقلاني ، يهدف تخقيق الصالح العام ، تصدره الجهة التي تحكم الجماعة "[49] ، و يصنف انواع القوانين الى اربعة مجموعات :

[48] Ibid p 172 .
[49] NEMO Phillipe « histoire des idées politiques... », op cité, p906

القانون االالهي : هو قانون الله في الكون الملموس و غير الملموس و الذي يتعذر على البشر ادراكه ، و يبقى القانون الإلهي أعلى من كل القوانين الأخرى لذلك وجب عليها إن تنسجم معه .

القانون الطبيعي : هو جزء من القانون الالهي الذي يمكن للعقل البشري ادراكه، و للقانون الطبيعي سمات ثابتة و سمات متغيرة تنبع من حالات و وضعيات معينة ، وعلى البشر و القوانين إن يحترموا قواعد الطبيعة التي وضعها الله.

القانون الإلهي الوضعي : هو الذي تتضمنه التعاليم المسيحية التي تسهر على نشرها و الحفاظ عليها الكنيسة الكاثوليكية وحدها ، و هي الاخرى جزء من القانون الالهي التي اختار الله إن يبصر البشر بها .

القانون الوضعي البشري : هو القانون البشري الذي يتاثر يالتغير في الاوضاع الاجتماعية و يتكيف معها بحيث يصبح قانون تطوري ، و القانون الوضعي البشري ضروري لتنظيم تفاصيل الحياة الاجتماعية لكنه يجب إن يراعي الصالح العام ، إن يكون توافقي وان يكون محترم من قبل الجميع[50] .

[50] Ibid pp 908-931.

المحور الثالث : الفكر السياسي عند المسلمين

مدخل حول عصر الحكم الإسلامي

ولد الرسول محمد (صلى الله عليه و سلم) في 571 م بمكة ، و نزل عليه الوحي في سن الأربعين من عمره بطريقة مرحلية إلى غاية وفاته في 632 م ، فيشكل القران الكريم المرجعية الدينية و الدنيوية عند المسلمين الذين تبنى عقيدتهم على الإيمان بان لا اله إلا الله و بان محمد رسول الله ، بان القران الكريم كتاب الله المنزل و المحفوظ من كل مس أو تحريف و الإيمان بالملائكة و برسل الله و باليوم الآخر.

انتشر الإسلام عبر الفتوحات الإسلامية التي أدت إلى ظهور دول إسلامية قوية و عديدة ، فبعد إن انتشر الاسلام في الجزيرة العربية امتد الى بلاد فارس و بلاد السند شرقا ، الى شمال افريقيا و الاندلس غربا و الى اسيا الوسطى الى غاية حدود القسطنطينية شمالا :

عهد الرسول (صلى الله عليه و سلم) 622 -632 م : انتشر فيه الإسلام في كل الجزيرة العربية ، و تميز بتطبيق الشورى و الحكم بمبادئ الشريعة الإسلامية .

عهد الخلفاء الراشدون 632-661 م : و هو العهد الذي تلي وفاة الرسول (صلى الله عليه و سلم) الذي خلفه أبو بكر الصديق (بالمبايعة) ثم عمر بن الخطاب (بالعهد) ثم عثمان بن عفان (بايعه ستة صحابة اختارهم عمر ليولوا احد من بينهم الخلافة) ثم علي بن أبي طالب (بالمبايعة) و الذي نقل الخلافة الى العراق هروبا من الفتنة التي حدثت في المدينة بسبب مقتل عثمان و عدم القصاص له، لكن رغم الاغتيالات و الفتن التي حدثت استطاع حكم الخلفاء الراشدون إن ينتشر و يمتد إلى العراق ، الشام، مصر ، بلاد فارس و وسط آسيا .

العهد الأموي 661 -750 : بعد وفاة عثمان بن عفان رفض معاوية بن ابي سفيان خلافة علي و بقي مستقلا بالشام و لقب فيها بأمير المؤمنين ، و حارب علي من اجل فرض خلافته على كل أراضي المسلمين الى إن توفي علي و اضطر ابنه و خليفته الحسن الى التخلي عن الخلافة في العراق لمعاوية ، و من هنا بدا العصر الاموي تحت خلافة معاوية بن ابي سفيان الذي استطاع إن يفرض ابنه اليزيد من بعده ، و من ثم تحول الحكم في العصر الاسلامي الى حكم وراثي ، و في المقابل امتد الإسلام في هذا العصر إلى ابعد حدوده فوصل إلى بلاد السند و تركستان شرقا ، إلى الأراضي البيزنطية في آسيا الوسطى حتى حدود القسطنطينية شمالا و إلى المغرب و الأندلس و قبرص و جنوب فرنسا غربا.

العهد العباسي 750-1258 : انتقلت الخلافة إلى بغداد بعد الثورة التي قام بها ابو العباس (بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي) ضد الحكم الاموي ، حيث بايعه اهل

العراق للخلافة و من ثم دخل الشام سنة 750 م و قضى على الحكم الأموي بعد إن اغتال كل العائلة الاموية فيما عدى عبد الرحمن بن معاوية (الملقب بعبد الرحمن الداخل) الذي استطاع الفرار الى الاندلس و حافظ على الحكم الاموي فيها مستقلا بذلك عن الخلافة العباسية الجديدة .

ابقت الدولة العباسية على النمط الوراثي في الحكم منذ إن عهد ابو العباس بالحكم لاخيه ابي جعفر المنصور الذي نقل الخلافة الى بغداد ، و منذ ذلك الحين زادت الدولة العباسية قوة و ازدهارا حيث كان القرن الثامن و بداية القرن التاسع ميلادي عصرا ذهبيا لها تميز بالقوة و التوسع و الثراء والعمران و العلم (طب، فلسفة ، رياضيات ، فلك ، ترجمة حيث اسست جامعة بيت الحكمة سنة 830 و ظهر الكثير من الفلاسفة و المفكرين و العلماء و الادباء)، لكن منذ النصف الثاني من القرن التاسع بدات الدولة العباسية في الضعف بسبب الاعتماد المتزايد على الفرس و الاتراك في الجيوش و في النسب من ناحية و بسبب الخلافات و الصراعات في الاقاليم من ناحية اخرى ففي مركز الخلافة تزايد التاثير التركي و الفارسي الذي اضعف سلطة الحكام مما ادى الى ظهور او تقوى أمراء في الاقاليم استطاعوا تاسيس امارات و خلافات مستقلة عن الخلافة العباسية ، حيث ظهرت عدة دول في المناطق التي فتحت و بصفة متتالية ، بحيث تحول الخليفة العباسي إلى حاكم رمزي للمسلمين إلى إن سقطت الدولة العباسية على يد التتار في 1258 فانتهى نظام الخلافة المركزي و تفتت الى دول مستقلة مارست غالبا انظمة الامراء و السلاطين ، أما الدولة الاموية في الاندلس فعادت الى نظام الخلافة منذ بداية القرن العاشر ميلادي الى إن سقطت سنة 1031 م و تفتت الى امارات اسلامية كانت اخرها غرناطة التي سقطت في 1492 [51] .

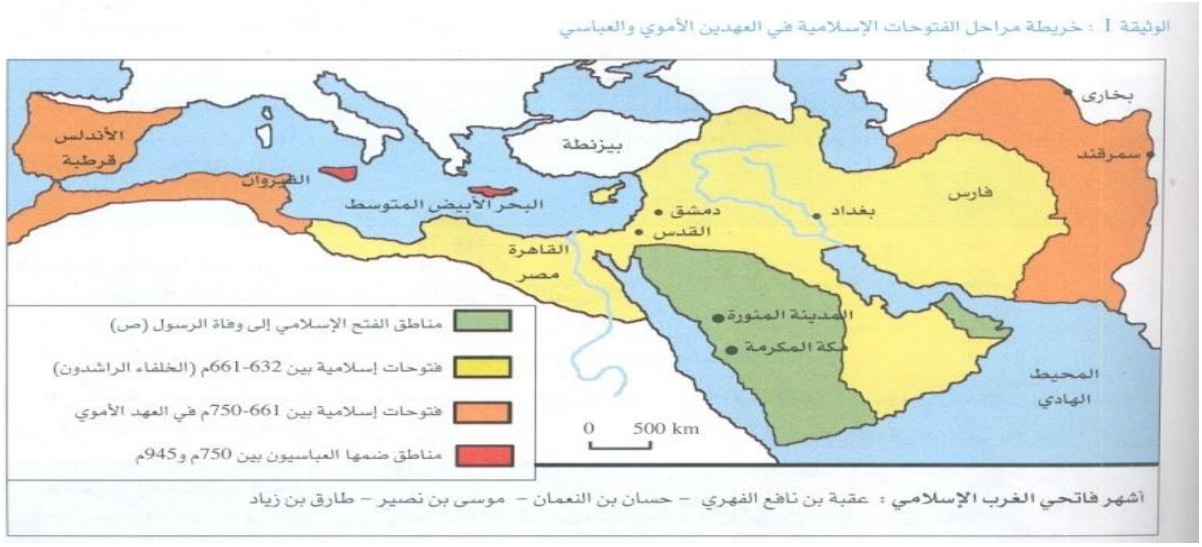

https://www.almrsal.com/post/838216

[51] انظر : مونتغمري وات وليام " في تاريخ اسبانيا الإسلامية" ، ترجمة محمد رضا المصري ، لبنان 1998 .

الأسس الأولى للنظام السياسي الإسلامي :

يتميز الإسلام بأنه أسس منذ ظهوره لمدينة دينية و دنيوية ، فقد أرسى الرسول محمد (صلى الله عليه و سلم) القواعد الاولى لنظام سياسي يستمد معالمه من القران الكريم و من سيرته (صلى الله عليه و سلم) فيما يتعلق ب:

- التشريع في مجال تنظيم الاسرة (الزواج ، الطلاق ، الميراث ....) ، النظام الجبائي ، العدالة الاجتماعية و اقامة الحدود ، التسامح مع أهل الكتاب و الحرب و الجهاد ضد الكفار.
- طرق الحكم و اتخاذ القرارات التنفيذية التي طبق فيها الرسول (صلى الله عليه و سلم) مبدا الشورى " أمرهم شورى بينهم " سورة الشورى.
- القضاء كان يمارسه الرسول (صلى الله عليه و سلم) و يساعده ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) .

أما الخلفاء الراشدون ، فواصلوا على نفس نهج الرسول (صلى الله عليه و سلم) حيث كان القرآن و السنة مرجعهم ، بالإضافة إلى إدخال مبدأي "المبايعة" و "العهد" في اختيار الخليفة ، كما أصبح القضاة يعينون من قبل الخليفة نظرا لاتساع أراضي المسلمين .

لكن منذ بداية العصر الأموي و بعده العباسي أصبحت الخلافة تؤخذ بالدم أو بالوراثة ، و اخذ الحكم طابعا شبه مطلقا و اختفى مبدأ الشورى ، مع التمييز بان التنظيم الإداري و المالي كان محكما نظرا لقوة الدولة و غناها ، فكانت حاصلاتها تأتيها عن طريق الزكاة و الجزية و الخراج و الغنائم العسكرية ، أما اختيار القضاة فكان يدخل في صلاحيات الحاكم مع خضوع الأحكام للشريعة الإسلامية[52] .

أولا : أبو الحسن الماوردي

ولد أبو الحسن الماوردي بالبصرة في 974 م ، و سافر إلى بغداد لتعلم الفقه و العلوم الشرعية ، ثم شغل منصب قاضي في عدة مدن و ارتقى إلى إن لقب بقاضي القضاة .

عاصر الماوردي مرحلة ضعف الحكم العباسي و سيطرة الفرس و الاتراك عليه ، لكنه نال احترام و تقدير الخلفاء اللذين عايشهم نظرا لحكمته ووقاره ، حيث كانوا يعتمدون عليه للعب دور الوساطة بينهم و بين الاطراف المتنازعة معهم [53].

كتب الماوردي في الفقه ، القضاء ، الادب و اللغة ، اما كتبه السياسية فهي :

---

[52] انظر : شمس الدين محمد مهدي " نظام الحكم و الاداره في الاسلام" ، المؤسسة الدولية للدراسات و النشر، ط2 1991.

[53] حاروش نور الدين " تاريخ الفكر السياسي" ، دار الامة ، ط3 ، 2012، ص 162-163

- الاحكام السلطانية الذي يعتبر اهم كتاب سياسي له ، و ترجم الى عدة لغات
- نصيحة الملوك
- تسهيل النظر و تعجيل الظفر
- قوانين الوزارة و سياسة الملك

أفكاره السياسية

- **نظرية المجتمع** : تقريبا يعيد الماوردي سياقة نفس الأفكار الفلسفية التي سبقته في إن الإنسان اجتماعي بطبعه يحتاج للأخر من اجل تحقيق حاجياته و من اجل الإحساس بالأمن، لكنه يرجع التفسير كله الى حكمة الله سبحانه و تعالى ، الذي جعل الضعف و الحاجة من صفات الإنسان لينفرد وحده بالقدرة و الوحدانية و الغنى عن كل شيء ، ثم الى حكمته سبحانه و تعالى في خلق البشر من ذكر و انثى و جعلهم شعوبا و قبائل ليتعارفوا كما جاء في سورة الحجرات ، ثم يقول بانه مقابل هذا الضعف منح الله عز و جل الإنسان العقل ليعرف كيف يحقق حاجياته وكيف يعيش بين الناس .
- **نظرية الدولة :** يعتبر الماوردي الدولة مؤسسة لابد منها بسبب حاجة البشر للتنظيم و يضع الشروط التي يجب إن تتوفر في الدولة و هي :

1. الدين كضرورة لوضع القواعد الصحيحة التي تبنى عليها الدولة ، فهو الاساس المتين الذي يعطيها القوة و الصلاح و الديمومة.
2. الحاكم القاهر لكي يتمكن من الحفاظ على دين الأمة و تطبيقه و حراسة الناس و حمايتهم ، و هو الإمام أو الخليفة .
3. العدالة التي تنتشر بها الطاعة بين الناس و يتحقق بها الاستقرار و الامان، و العدل يبدا بالنفس اولا بابعادها عن المعاصي ، ثم العدل نحو الاخرين سواء في موضع الحاكم او المحكوم او مع الانداد .
4. الامن الذي يزرع الطمأنينة في الناس .
5. الثروة التي يجب تنميتها من اجل ام تعم على الامة.
6. الامل الفسيح الذي ينقل الخير و السعادة من جيل الى جيل (مفهوم التنمية المستدامة حاليا).

- **نظام الحكم :**

أولا : الإمامة

يعرفها الماوردي انها خلافة النبوة في حراسة الدين و سياسة الدنيا ، بمعنى الحفاظ على الدين من التشويه و البدع و الجهاد من اجل انتشاره من ناحية و ادارة الشؤون الدنيوية للبلاد و العباد من ناحية اخرى .

و يقول بان الإمامة واجبة سواء اعتمدنا على الشرع " يا أيها اللذين امنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم " سورة النساء ، أو على العقل ، لان الناس يجب إن يخضعوا لحاكم ينظم أمور الناس تفاديا للفوضة .

عقد الإمامة : يقول الماوردي " إن لم يقم بها احد" أصبح السبيل هو عقد الامامة، يعني انه يتفادى اعطاء راي حول الاستيلاء على السلطة و يكتفي بحالة الشغور التي تستدعي عقد الإمامة الذي يعني اختيار الإمام الذي سيحكم شؤون الناس ، اما عن طريق اختيار أهل العقد و الحل او عن طريق العهد:

الإمامة عن طريق اختيار أهل العقد و الحل: هي إن يختار اهل الحل و العقد في الامة من يؤمهم ، مثل مبايعة الخلفاء الراشدون ، و هي ممارسة انقطعت منذ ذلك العهد و لم تكن جارية في عصر الماوردي ، لكن هذا لم يمنعه من التفصيل فيها كسبيل لاختيار الحكام ، او ربما كرغبة ضمنية في عودة هذه الطريقة في نظام الحكم الاسلامي :

1. **اهل الحل و العقد** : هم اللذين لديهم الاهلية لاختيار الامام ، فيشترط فيهم العلم و العدل و الحكمة ، لكنه لم يشدد في العدد الصحيح او الادنى في عقد الامامة و اكتفى بعرض اراء الفقهاء حول ذلك التي تراوحت من خمسة الى اثنين ، لكي لا يحرج الحكام ، و لا يحرج نفسه لان الامامة لم تعد تخضع للعقد و لا لاية شروط موضوعية اخرى ، خاصة و إن الشرع لم يقيد المسالة بشرط،
2. **اهل الإمامة** : هم المرشحون لها و يشترط فيهم العدالة ، العلم بالدين ، سلامة الحواس ، سلامة الأعضاء ، الراي السديد لإدارة الشؤون العامة، الشجاعة و النسب القرشي ("قدموا قريش و لا تقدموها" حديث شريف) ، و فيما يتعلق بتنافس مرشحين للإمامة فيقول بانه يجوز الاخذ بالاكبر سنا، او حسب الاوضاع و ما تتطلبه من صفات، او بالقرعة او إن يتم اختيار الافضل و لاباس بان يختار المفضول في وجود الافضل اذا اختاره اهل العقد.

3. **عقد الامامة لشخصين في بلدين مختلفين** : هنا يبدي الماوردي رأي ثابت و واضح بعدم جواز هذه الحالة ، لانه يرى بان الخلافة يجب إن تكون واحدة خاصة و قد تفككت في العصر العباسي الذي عايشه الماوردي .

الإمامة عن طريق العهد : هي إن يختار الإمام من يخلفه بعده دون العودة لأهل الحل و العقد ، يقول الماوردي في هذه الحالة يجب إن يختار الاجدر اذا لم يكن ولده او والده ، و اذا كان كذلك فاختلفت الاراء على جوازها ام لا ، كما يجوز العهد بالولاية على ثلاث خلافات في رايه .

واجبات الإمام : يمكن اعتبار هذه الواجبات بمثابة المهام بالمفهوم الحالي ، و هي :

- الحفاظ على أصول الدين،
- حل النزاعات و تنفيذ الاحكام،
- اقامة الحدود،
- ضمان الأمن وجهاد أعداء الإسلام ، تحصيل الجباية و الصدقات و توزيعها ،
- اختيار الامناء النصحاء فيما يفوض اليهم من الاعمال ،
- الرقابة على تسيير الامور العامة.

واجب طاعة الامام و اسباب سقوط الامامة : بعد اختيارالامام من اهل العقد و الحل وجبت طاعته من الناس ، لكن الامامة تسقط إذا ظهر عيب في عدالة الإمام في الحالات التالية :

- ارتكابه للمعاصي او الشبهات ،
- سيطرة المقربين منه على السلطة
- وقوع عيب في حواسه أو أعضائه
- إن يقع أسيرا [54].

ثانيا : الوزارة

وزارة التفويض : هي استوزار الإمام لوزير يقاسمه الرؤية و يحمل معه تسيير الشؤون العامة ، و الشروط هي ذاتها شروط الإمامة عدا النسب إضافة الى الخبرة في ادارة الشؤون الاقتصادية و العسكرية.

[54] الماوردي" الاحكام السلطانية و الولايات الدينية " ، ص : 4-29 ،https://www.noor-book.com ، 22اطلعنا عليه في جوان 2021.

وزارة التنفيذ: يعين الامام وزراء لتنفيذ قراراته ، فهم وسطاء بينه و بين اتباعه (رعايا ، الموظفون..) ، و اشترط إن يكون ذكرا و إن يتصف بالامانة و الصدق و القناعة ، و لا يهم ان كان مسلما[55] .

ثالثا: الإمارة و صلاحياتها

الإمارة العامة:

- إمارة استكفاء: هم الأمراء اللذين يعينهم الإمام الخليفة ليحكموا الأقاليم التابعة للدولة، و يباشرون الصلاحيات في الإمارة تحت وصاية الخليفة ، و هي النظر في الأحكام، تقليد القضاة و الحكام، جباية الخراج ، حماية الدين ، إقامة الحد ، النظر في المظالم ، تسيير الحجيج ، إمامة الصلاة .
- إمارة الاستيلاء: هي التي يمنحها الإمام للأمير الذي يستولي على أراضي جديدة ، أو الذي ينقلب على الحاكم الظالم.

الإمارة الخاصة : إن يعين الأمير فقط لتدبير الجيوش و حماية الرعية [56].

ثانيا : ابو النصر الفارابي

ولد أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ الفارابي في 870 م في فراب باقليم تركستان ، سافر إلى بغداد عاصمة العلم و المعرفة بعد إن تجاوز سن الأربعين ، لتوسيع معرفته بالفلسفة و اللغة ، حيث تأثر بالفلاسفة اليونان خاصة منهم أفلاطون الذي عقب على كتابيه "الجمهورية" و "القوانين" ، كما تعمق في دراسة فلسفة أرسطو و حذا حذوه في تنويع كتاباته و تعدد تخصصاته ، حيث لقب بالمعلم الثاني بعد ارسطو.

سافر الفارابي الى دمشق في اواخر عمره ، حيث أعجب به الحاكم سيف الدولة الحمداني و ضمه الى بلاطه العلمي و الثقافي ، بحيث كان الحكام المسلمون يشكلون فضاءات تجمع المفكرين حتى من ديانات مختلفة ، و كان الفارابي في دمشق هو إمام الفلاسفة و في نفس البلاط الذي وجد فيه المتنبي إمام الشعراء و الحلاج و آخرون .

[55] نفس المرجع ص 30-39
[56] نفس المرجع ص 40-73

عالج الفارابي موضوعات عديدة و الف العديد من الكتب التي فقد جزء كبير منها ، و بقيت منها مؤلفات فاقت الأربعين ، شرح و حلل فيها فلسفة افلاطون و ارسطو و تناول فيها مواضيع متعلقة بالفلسفة ، العلوم ، الفلك، الموسيقى و السياسة التي ألف فيها :

- آراء أهل المدينة الفاضلة
- تحصيل السعادة
- السياسات المدنية

توفي الفارابي في دمشق عام 950 م[57] و ترجمت الكثير من مؤلفاته الى العبرية و اللاتينية و هي محفوظة في شكل مخطوطات في الجامعات الاوروبية.

أفكاره السياسية

❖ **السياسة في نظرية العلوم**

يقسم الفارابي العلوم ، مثل أرسطو إلى :

علوم نظرية تتمثل في العلوم التي لا تحتاج إلى أفعال عملية أو منتجة ، فهي تقتصر على التفكير و الملاحظة مثل الرياضيات و الفيزياء و الوجوديات .

علوم عملية و هي العلوم التي تهتم بالأفعال ، و هي :

- ☜ **علم الفقه** الذي يختص بالأفعال كما تحددها الشريعة ،
- ☜ **علم الكلام** و هو الدفاع عن الآراء الدينية و بيان ما يزيفها ،
- ☜ **العلم المدني** الذي يقصد به علم السياسية و الذي يختص في الأخلاق بحيث يعرفه بأنه : " ...معرفة الأمور التي بها تحصل الأشياء الجميلة لأهل المدن والقدرة على تحصيلها و حفظها عليهم "

من هنا يعلن الفارابي عن توجهه لاعتبار السياسة فلسفة للأخلاق أكثر منها علم قائم بذاته بدليل انه صنفها مع الفقه في نفس العلوم ، كما انه يحاول التوفيق في طرحه بين المبادئ الإسلامية و الفلسفة الخلقية اليونانية التي نجدها عند أفلاطون و أرسطو ، كما سنرى .

[57] شاوش بلال " دراسات مختصرة في تاريخ الفكر السياسي" ، دار تيديكلت ، 2016، ص 64-66

❖ **نظرية المجتمع**

الإنسان اجتماعي بطبعه لأنه **"حيوان انسي"** يحتاج أن يأوي إلى ما هو في نوعه اي بقرب أناس مثله ، من ناحية ، و لأنه لا يستطيع **تحقيق حاجياته** بمفرده إلا بالتكامل مع الآخرين من ناحية أخرى ، كما ان البشر يحققون **سعادتهم** بالاقتراب و التعاون من بعضهم البعض ، و يقسم المجتمعات البشرية إلى :

مجتمعات كاملة :

- مجتمعات العالم أو المعمورة_و يسميها المجتمعات العظمى ،
- مجتمعات الدول الكبرى_أو الإمبراطوريات و يسميه بالمجتمعات المتوسطة،
- مجتمعات المدن_التي يسميها بالمجتمعات الصغرى و يفضلها عن الأولى لان الناس فيها متقاربون يمكنهم تحقيق اكبر قدر من التكامل و الخير (مثل آراء الفلاسفة اليونان و تأثره بهم في تفضيلهم لدولة المدينة).

مجتمعات غير كاملة : هي اجتماعات البشر في الأماكن و الطرقات و البيوت ، التي يعتبرها ناقصة لغياب السلطة السياسية فيها .

❖ **نظرية المناخات في اختلاف الأمم** :تختلف الأمم في شكلها، أخلاقها و لغتها بسبب الاختلاف في الظروف الطبيعية التي يعيشون فيها (المناخ ، المياه ،الأغذية ...).

❖ **أنواع المدن**

<u>المدينة الفاضلة</u>

المدينة الفاضلة عند الفرابي هي التي يتصف اهلها **بالعلم و الاخلاق** و **بالتعاون** من اجل بلوغ السعادة ، و يشبهها بجسم الانسان الذي تعمل اعضاؤه بانسجام لحفظ سلامة الجسم و توازنه و اين يشكل القلب العضو الرئيسي الذي يحفظ التوازن

يخضع نظام المدينة الفاضلة الى مبداين :

☜ تقسيم العمل الذي يقوم فيه كل فرد بوظيفته المحددة

☜ مبدا التراتب الهرمي الذي يكون على قمته الرئيس الذي يشبه القلب في الجسم ، ثم من هو مقرب من الرئيس و من هو بعيد عن الرئيس دون إن يشارك الكل في الحكم .

رئيس المدينة الفاضلة :هو الامام و هو من افضل سكان المدينة، فيجب إن يكون نبيا منذرا اوفيلسوفا حكيما لان كلاهما يحظى بالاتصال بالعقل الفعال الذي هو مصدر الشرائع و القوانين الضرورية للمجتمع ، و الفرق بينهما هو إن النبي يصل الى العقل الفعال عن طريق الوحي و الفيلسوف يصل اليه عن طريق العقل ، و يتصف امام المدينة الفاضلة بخصال مميزة ، هي :

- كامل الأعضاء
- جيد الفهم و التصور و الحفظ
- فطنا و ذكيا
- يجيد التعبير عن أفكاره
- يحب التعلم و المعرفة
- حافظ للسنن و الشرائع
- لا يضعف أمام الملذات
- يحب الصدق و أهل الصدق و يكره الكذب و أهله
- كريم النفس
- لا يضعف أمام المال
- إن يحب العدل و أهله و سهل الانقياد إليه و مبغضا للظلم و صعب الانقياد إليه
- قوي الإرادة و العزم

و عند غياب من يحمل هذه الصفات يمكن اللجوء الى :

- **رئيس يحاكي الرئيس الأمثل** : يجعل من نموذج الرئيس الامام قدوة له .
- **عدة رؤساء للمدينة الفاضلة**: إذا توفرت هذه الصفات في عدة رجال مجتمعين يمكنهم تولي رئاسة جماعية و يمكن ان يكونوا اثنين او اكثر .

المدن المغايرة للمدينة الفاضلة

اولا : المدينة الجاهلة : هي مدينة الفساد التي لا يهتم أهلها إلا بالأجساد و المال و الملذات (عصر الجاهلية) ، وقسمها إلى ستة أقسام :

- المدينة الضرورية: هي التي يهتم أهلها بالحد الأدنى من الضروريات المادية ، كالأكل و الشرب و المسكن و الزواج(العصر الأول للبشرية)
- المدينة البدالة : هي المدينة التي يبحث أهلها عن الثروة و جمعها كهدف أول
- مدينة الخسة و الشقوة : و هي المدينة التي يبحث أهلها عن الملذات
- مدينة الكرامة : هي المدينة التي يبحث أهلها عن المجد و العظمة
- مدينة التغلب : هي التي يبحث أهلها عن لذة التفوق و قهر الآخرين
- المدينة الجماعية : هي مدينة المشاع و الفوضى التي يتصرف فيها الناس كما يريدون ، و لا سلطان فيها لاحد على الجماعة
- مدينة النذالة : هي المدينة التي يجمع اهلها المال دون الانفاق .

ثانيا : المدينة الفاسقة : هي المدينة التي تعلم سبل الدين و السعادة لكنها لا تطبقها ، فأهلها يعرفون الفضيلة و يطبقون الرذيلة ، فتشبه أفعالهم أفعال المدن الجاهلة .

ثالثا : المدينة المتبدلة : هي المدينة الفاضلة حين تؤول الى الردة و الفساد

رابعا : المدينة الضالة : هي المدينة التي تبدل الدين بمذاهب و شيع المضللة

النوابت : و هي موجودة في كل المدن حتى الفاضلة منها ، و يقصد بهم فصيلة من البشر تعيش في المجتمع كالاعشاب الضارة او الحيوانات الضالة لا مبدا و لا عقل لها ، فيجب احتقارها و استعمالها استعمال الحيوانات إذا بقي فيها نفع و إن لم يبقى فيها نفع يجوز نفيها او قتلها[58] .

ثالثا : ابن سينا

ولد أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا من أب فارسي سنة 980 م في مدينة "افشينة" قرب "بخارة" في إقليم "خرسان" أو "أوزباكستان" حاليا ، و توفي سنة 1037 م .

[58] حاروش نوردين " تاريخ الفكر السياسي" ، مرجع سبق ذكره ، ص181-182

بن سينا هو طبيب و فيلسوف ، تعلم الرياضيات و قواعد اللغة و حفظ القران الكريم في سن العاشرة ، و ابتداء من سن الرابعة عشرة عكف على دراسة كتب الفلسفة و الطب الإسلامية منها و اليونانية ، و باشر تدريس و ممارسة الطب منذ سن السادسة عشرة .

عايش بن سينا الاضطرابات و التنافس على الملك بين أمراء و ملوك فارس في الرقعة الشرقية للدولة العباسية (خرسان و أصفهان و همذان) ، و قربه الكثير منهم كطبيب خاص و كوزير.

بدا بن سينا التأليف في سن الحادية و العشرون و فاقت كتاباته رغم الكم الذي ضاع منها المائتي مؤلف، و أهم مؤلفاته و أكثرها شيوعا هي كتبه في الطب خاصة كتاب "القانون في الطب"، الا انه كتب كذلك في الفلسفة التي ألف فيها موسوعة "الشفاء" وكتب في الطبيعة و ما بعد الطبيعة و في القران و التفسير ، كما كتب في المنطق ، الرياضيات ، الفيزياء و الكيمياء، و في اللغة والاقتصاد والموسيقى ، أما السياسة فكتب فيها دون إن يضع كل أفكاره في مؤلف حصري واحد ، فنجدها في كتيب "السياسة" ، في كتاب "ألاهيات الشفاء"[59] في"منطق المشرقيين" و في بضع من الرسائل المتعددة الأخرى.

أفكاره السياسية

❖ **موضع السياسة في نظرية العلوم**

يعرف بن سينا الحكمة (أو العلم) بأنها صناعة نظر يستفيد منها الإنسان لفهم الوجود و ما يجب عليه فعله لتحسين حياته و حياة البشرية من اجل بلوغ سعادة الدنيا و الآخرة ، و في رسالة "أقسام الحكمة" يقسم بن سينا على غرار أرسطو العلوم التي يدعوها بالحكمة إلى :

قسم نظري مجرد : لا يتعلق بالفعل و إنما يبحث عن حصول رأي و اعتقاد يقيني في الموجودات ، و **غايته هي الحق** ، و فروعه هي الطبيعة و الرياضيات و الإلهيات .

قسم عملي : ليس المقصود منه حصول رأي فقط و إنما حصول رأي من اجل القيام بعمل فعلي، **و غايته هي الخير** ، و تنقسم الحكمة العملية إلى :

1. حكمة تدبير النفس (او الأخلاق) : يعرف به الإنسان الأخلاق التي توصله إلى سعادة الدنيا و الآخرة.

[59] شاوش بلال " دراسات مختصرة في تاريخ الفكر السياسي"، المرجع السابق ، ص 67

2. حكمة تدبير المنزل (او الاقتصاد) : يعرف به الإنسان كيف يدير و يرشد شؤون أسرته لبلوغ سعادة الدنيا و الآخرة .

3. حكمة تدبير المدن (او السياسة) : و هي علوم تسيير شؤون الدولة التي يعرف بها الإنسان السياسات ، الرئاسات ، و الاجتماعات المدنية الفاضلة و الرديئة ، و يربط بن سينا علم السياسة بفرعين من علم المنطق (الذي يعتبره محرك كل العلوم) ، و هما الجدل و الخطابة[60].

❖ **نظرية المجتمع و الدولة**

يرى بن سينا بان الإنسان اجتماعي بطبعه ، لأنه يحتاج إلى غيرة لقضاء حاجاته ، فالاجتماع يحقق **التكامل بين البشر،** و بان الأفراد داخل المجتمعات البشرية **مختلفي و متضاربي الإرادة و المصالح ،** لذلك يحتاجون إلى إرادة عليا تمارس سلطتها عليهم و قانون يوفق بين الإرادات المتضاربة للأفراد ، لذلك تدخل الله عبر إرسال إنسان لديه إعجاز يميزه عن الناس من اجل تأسيس سلطة تقوم على الشريعة الإلهية التي تهذب الخلق و تساعد على تذليل التناقضات بينهم من اجل بلوغ السعادة في المدينة التي هي الأمة الإسلامية.

❖ **انواع المدن**

اولا : المدينة العادلة

هي المدينة السعيدة التي تقوم على تربية الإنسان السعيد الذي يتصف بالفضيلة و الشجاعة و العفة ، و هو بعيد عن الصفات السيئة كالكذب و الخيانة ، و على الحاكم العادل الذي تجتمع عنده الحكمة النظرية و العملية ، و إن فاز بالخواص النبوية كان سلطان العالم الأرضي و خليفة الله فيها .

<u>النظام السياسي للمدينة العادلة</u> : يحكمها نبي أو خليفة يوصى به أو خليفة حكيم :

← **النبي[61] :**

- هو اعرف الناس بسبل السعادة ،
- إنسان له معجزاته لاستحقاق التصديق و الطاعة،منها الفعلية لعوام الناس و القولية للخواص،
- يدعو لوجود الخالق الخبير القدير،

[60] أباظة إبراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ، "تاريخ الفكر السياسي" ، مرجع سبق ذكره ، ص156

[61] طه ياسين نوال " السياسة عند بن سينا"، مجلة دراسات تاريخية، العدد 4، اذار 2008، ص ص 199- 248، ص 209

- يخاطب الناس على قدر عقولهم ،
- ويدعو الى الطاعة الشرعية

← **الخليفة بالنص** : هو الذي يوصي به النبي فيصبح فيه قبول لان النبي اختاره ولتميزه عن باقي الناس .

← **الخلافة بغير نص** : إن يختاره اهل الحل و العقد ، و في هذه الحالة يستدعي الأمر:

- إجماع الأمة عليه
- إن لا يكون حكمه فرديا بل يصاحبه مجلس شورى يستشيره في اتخاذ القرارات
- يشترط فيه إن يكون عاقلا حكيما ،
- متخلقا
- يتقن تدبير المدن

و إن لم يتمتع بهذه الصفات جاز قتاله و إسقاطه عن الحكم

واجبات الحاكم : هي

- محاربة المحرمات و تشجيع الحلال
- فرض العبادات الجماعية
- إدارة الشؤون المالية من مداخل و خراج
- تطوير القوانين التي تحافظ على الأخلاق

<u>النظام الاقتصادي للمدينة العادلة</u>

← **بنية المدينة** : تتكون المدينة العادلة من

- المدبرون (الحكام) ،
- الحفظة (القوات النظامية) ،
- الصناع و الحرفيون ،
- العبيد

← **المبادئ الاقتصادية للمدينة** :

- محاربة البطالة حتى لو اضطرت المدينة الى نفي من لا يعمل
- محاربة السؤال
- تخصيص مكان للتكفل بالعاجزين عن العمل

← **مصادر تمويل المدينة :**

- حقوق تفرض على الأرباح
- الأموال المتحصل عليها من العقوبات و الغرامات
- الغنائم

← **النشاطات الاقتصادية الممنوعة** :

- القمار
- الربا[62]

العدالة في المدينة العادلة : يولي بن سينا أهمية قصوى للعدالة في مدينته فيرى بان العدالة تتحقق عن طريق :

أولا : الأخلاق

الاخلاق تاتي من المواظبة على الوظائف الشرعية و العبادات ، و هي في نفس الوقت قوة نظرية تيسر فهم المبادئ الأخلاقية و قوة عملية تسوق كل الأفعال إلى العدالة ، لكن التحكم في القوة البدنية لا يجب إن يؤدي الى إلغائها تماما ، لكي لا تتعطل الطبيعة ، فالغضب مثلا يساعد على الدفاع عن المدينة الفاضلة

ثانيا : القوانين

الشريعة هي المنظم الأول للمدينة ثم اجتهاد العقل، فكل ما نصت عليه الشريعة لا يحتاج الى اجتهاد و ما لم تنص عليه الشريعة يمكن للعقل إن يعالجه بما لا يتنافى مع الشرع ، فالاجتهاد يساعد على تطوير أمور الدنيا و التكيف مع متطلبات العصر.

ثالثا : الردع

[62] نفس المرجع ص 217

وجب وضع نظام عقوبات صارم بالإضافة إلى قوة مدنية تقوم بوظيفة تطبيق القوانين و تنفيذ العقوبات التي تنص عليها القوانين .

التنشئة و التعليم في المدينة العادلة

على غرار أفلاطون ، يوضح بن سينا مراحل التربية و التعليم :

مرحلة الحضانة : تبدأ منذ عمر السنتين حيث يجب البدا بتهذيب الصبي عن طريق الترغيب و الترهيب الموجع قليلا قبل إن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة ،

مرحلة التعليم البدائي : منذ اشتداد عظمه و استواء لسانه و وعى سمعه ، يبدأ في تعلم القران الكريم و اللغة وشعر الفضائل في بر الوالدين و مكارم الأخلاق ، و هذا مع صبية آخرون و تحت يد مؤدب عاقل ذا دين ، وقور و رزين ،

مرحلة التعليم العالي : بعد الانتهاء من حفظ القران و تعلم اللغة و قواعدها يوجه الشاب إلى ما يميل إليه و ما يستطيع عليه من علم أو من صنعة .

ثانيا : المدن الأخرى[63]

يذكر بن سينا ثلاث أنواع من المدن غير العادلة ، و كيفية التعامل الدولي معها من قبل المدينة العادلة :

- **دولة كافرة بأخلاق حميدة** : هذه يجب على المدينة العادلة ان توادعها ،
- **دار الحرب** : هي التي تعلن الحرب و على المدينة العادلة إن تعلن عليها الحرب ،
- **مدينة كافرة و فاسدة** : هذه يجب على المدينة العادلة إن تحاربها حتى و إن لم تبدأ الحرب عليها ، من اجل إن تصلح أمرها و تهديها إلى الدين و الأخلاق .

رابعا : أبو حامد الغزالي

ولد أبو حامد محمد بن أحمد الطوسي الغزالي في طوس في خرسان (بلاد فارس) سنة 1058 من أب فقير لكنه حرس على تعليم أبنائه حبا للعلم ، فتشبع الغزالي بعلوم الدين منذ صغره ، و تتلمذ على يد عدة ائمة خاصة منهم المتصوفين.

[63] نفس المرجع ، نفس الصفحة

سافر الغزالي في نهاية العشرينات من عمره الى بغداد حيث درس الفقه و الشريعة الإسلامية في المدارس النظامية ، و خلال ذلك زاد تعمقا في قراءة كتب الدين و الفقه و كتب الفلسفة لسابقيه ، لإزالة الشكوك التي كانت تدور في ذهنه بسبب المذاهب و العقائد الدينية المختلفة التي انتشرت آنذاك ، ثم غادر بغداد التي رأى فيها فسادا و ابتعادا عن الدين متجولا بين دمشق و القدس و مكة و المدينة، كما عايش الحروب الصليبية ، مما أيقض لديه الحماسة للدين الإسلامي و الرغبة في حمايته من الفساد الأخلاقي و الشيع التي أحاطت به ، بحيث لقب **بحجة الإسلام** .

تميز أبو حامد الغزالي بالميول إلى الانعزال و التصوف ، مما ساعده على الإنتاج الفكري الغني في مختلف علوم الدين و في الفلسفة ، و من بين كتبه : "إحياء علوم الدين" ، "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" ، "الاقتصاد في الاعتقاد" ، "فضائح الباطنية" ، "مقاصد الفلسفة" ، "تهافت الفلاسفة" ، "إحياء علوم الدين" ، "آداب الصوفية" ، "فيصل التفرقة بين الإسلام و الزندقة" ، "فاتحة العلوم" ، "إلجام العوام عن علم الكلام" ، "بداية الهداية" ، "كيمياء السعادة"...

أما أفكاره السياسية فنجدها في عدة كتب خاصة منها : " إحياء علوم الدين " ، "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" ، "فضائح الباطنية" ،، "تهافت الفلاسفة"، "الاقتصاد في الاعتقاد".

عاد الغزالي في أواخر الأربعينات من عمره إلى قريته "طوس" ، وبقي يدرس الفقه في مدرسة صغيرة أنشأها قرب بيته الى إن توفي سنة 1111م عن عمر يناهز الثالثة و الخمسون سنة[64] .

أفكاره السياسية

- **علم السياسة :** يتحدث الغزالي عن السياسة ضمن تحدثه عن أعمال الآدميين و صناعاتهم ، حيث يصنفها ضمن **المعرفة العملية** كسابقيه و التي يقسمها إلى أربعة أصلية و أخرى تصاحبها و تكملها ، فأعمال و صناعات الآدميين حسب نظرته هي :
  - **الزراعة** لتلبية حاجة الأكل و كل ما يصاحبها من حرف أخرى كالحدادة و الخبازة
  - **الحياكة** لتلبية حاجة الملبس و ما يصاحبها من حرف كالغزل
  - **البناء** لتلبية حاجة المسكن و ما يصاحبه من حرف كصناعة مواد البناء
  - **السياسة** لتأليف المعيشة الجماعية و ضبطها، و يعتبرها اشرف هذه الأعمال التطبيقية على الإطلاق لان الوظيفة السياسية وظيفة أخلاقية بالدرجة الأولى، فيقول عنها: "السياسة هي

[64] حاروش نوردين " تاريخ الفكر السياسي" ، مرجع سبق ذكره ، ص 197-198

استصلاح الخَلق، بإرشادهم الطريق المستقيم المنجي في الدنيا و الآخرة " ، و هي على أربعة مراتب :

1. **سياسة الأنبياء** و حكمهم على الخاصة و العامة في **ظاهرهم و باطنهم**
2. **سياسة الخلفاء** و الملوك و حكمهم على الخاصة و العامة لكن على **ظاهرهم دون باطنهم**
3. **سياسة العلماء** بالله و دينه ، فهم ورثة الأنبياء ، و حكمهم على **باطن الخاصة** فقط ، **فلا يستفيد منهم العامة** ، و لا يرقى سلطانهم إلى الإلزام والمنع .
4. **سياسة الوعاظ** ، و حكمهم على **بواطن العامة فقط** .

❖ **نشأة المدينة**

تناول الغزالي نظرية المجتمع و الدولة ضمن نظرة تطورية لنشأة المدينة يعالج فيها الحاجة للاجتماع و التكامل من جهة والحاجة الى الحاكم من جهة أخرى و ما نتج عنها من نشاطات بشرية و تنظيم لها ، كل ذلك في تسلسل مرتبط :

حاجة الإنسان إلى الاجتماع : يضطر الإنسان إلى الاجتماع مع غيره لسببين ، الأول هو **حاجته للنسل** و التكاثر الثاني **للتعاون و لتحقيق حاجياته** فكل المهن تحتاج إلى مهن أخرى .

ظهور الحرف : حاجة البشر الى التكامل ادت الى **التخصص** في الحرف التي تلبي الحاجيات الاولى للانسان و هي **المأكل ، الملبس و المسكن** ، لذلك كانت الأشغال الآدمية الأولى في المجتمعات هي **الزراعة ، الحياكة و البناء** و باقي الحرف التي نشأت من اجلها و صاحبتها .

حاجة الانسان الى الحاكم : يتميز البشر في **طبيعتهم بالمنافسة و الغيظ و الحسد** ، ما يؤدي بهم الى القتال و النزاع ، فلو تميز البشر بالقناعة لما احتاجوا الى حاكم يحكمهم ، لكن طبيعتهم التنافسية و التنازعية **تجعل من السلطة شيئا ضروريا لتنظيم مصالحهم و كبح غرائزهم ، عن طريق العدل و القوة القسرية .**

الحرف التي تحدثها السياسة :

- صناعة الحكم ، و هي التوصل الى فصل الخصومة
- صناعة المساحة ، و هي معرفة تقسيم الأراضي بالعدل

- صناعة الجندية ، و هي الدفاع عن البلاد
- صناعة الفقه ، و هي معرفة حدود الله في التعامل بين الناس

الحاجة إلى دفع أجور الحرف التي تحدثها السياسة عن طريق **الخراج** بالاقتطاع من أموال الأهالي و **غنائم** الحرب مع الكفار .

الحرف التي يحدثها الخراج : و هم الموظفون اللذين يشتغلون في جمع و تخزين و توزيع الخراج .

نشأة الأسواق و استخدام النقد فالأسواق وجدت لعرض البضائع أمام الطالبين ، أما النقود فتلعب دور ما لا يمكن مقايضته بين شخصين .

ظهور حرفتي اللصوصية و التسول : سببهما هو وجود طائفة من الناس **تغفل عن تعلم الحرف في الصبا** ، فيبقى الشخص عاجزا عن الكسب ، **فيسعى الى إن يأكل مما يسعى فيه غيره** ، فيصبح خسيسا إما لصا أو متسولا، و بما إن الناس يحذرونهم فأصبح هؤلاء يستعملون عقولهم في **الحيل و التدابير** ، فمن اللصوص الذين يتحولون إلى عصابات و قطاع طرق مثل الأكراد و الأعراب، إما الضعفاء منهم فيلجأون إلى **التمسكن و التسول** باستعمال التعامي او التجانن او استعمال الكلام المؤثر او الشعر الموزون حتى تحن القلوب او تعجب المسامع فتكون سببا لبسط المال.

❖ **طوائف الناس و مذاهبهم في تحصيل السعادة**

الطوائف الضالة (المنشغلة بالدنيا):

1. الطائفة الاولى: **تشتغل من اجل إن تأكل و تأكل من اجل إن تشتغل** ، فلا يتنعمون في الدنيا ، و هم الفلاحون و الحرفيون ،
2. الطائفة الثانية : تبحث عن السعادة في **الشهوات،** فانشغلوا عن الله و اليوم الاخر،
3. الطائفة الثالثة : تظن بان السعادة في **جمع المال و الشح عليه الى إن يدركهم الموت** (عبدة المال)،
4. الطائفة الرابعة : التي تظن بان **السعادة في المظاهر ، فتبخل على نفسها في المأكل و المشرب من اجل المركب و الملبس الفاخر حتى تقع عليها أنظار الناس و يقولون عنهم أثرياء،**
5. الطائفة الخامسة : التي تظن بان السعادة في **المنصب و السلطة .**

الطوائف المتطرفة (التي أعرضت عن الدنيا لكن اظلها الشيطان عن فهم العبادة) :

1. الطائفة الاولى : هي التي لا تؤمن بالسعادة الدنيوية ، فقتلت نفسها طمعا في الخلاص (مثل الطوائف الهندية التي تحرق نفسها من اجل الخلاص)
2. الطائفة الثانية : هي التي تقطع على نفسها كل ملذات الجسد
3. الطائفة الثالثة : هي التي تظن بأن العبادة هي المجاهدة الى بلوغ معرفة الله و الاستغناء عن العبادات .

الطائفة الناجية : هي التي لا تترك الدنيا و لا تقمع الشهوات كليا و تأخذ منها الذي لا يتعارض مع الشرع ، فتأخذ من الدنيا ما يكفيها ، و ترافق ذلك بالذكر و العبادات ، و الاقتداء بالرسول و صحابتة ، فلا تفريط و لا إفراط .

❖ **نظرية الإمامة**

تناول الغزالي نظرية الإمامة في كتبه "فضائح الباطنية" ، "الاقتصاد في الاعتقاد" و " التبر المسبوك في نصيحة الملوك" ، و تناول فيها المسائل التالية :

أولا : وجوب نصب الإمامة

- الإمامة واجب شرعي، لان الدين لا يتحقق إلا بسلامة الأبدان و المعيشة ، و هذه لا تتحقق إلا بالأمن على الأنفس و الأموال ، و هذه لا تتحقق إلا بوجود حاكم مطاع يجمع شتات الآراء، لان غياب الحاكم يؤدي إلى الهرج و هلاك الناس و وقف النشاط ، و غياب العدل ، و استفحال الرذائل على الفضائل و فساد الدين ، فالسلطان ضروري لنظام الدنيا و نظام الدنيا ضروري لنظام الدين و نظام الدين ضروري للفوز بالسعادة في الدنيا و الآخرة ، هذا من ناحية و من ناحية أخرى فإننا رأينا بان الصحابة اللذين يعتبرون قدوة ، قد سارعوا في تنصيب إمام دون تهاون .
- اختار الله من بني ادم طائفتين ، الرسل و الأنبياء ليبينوا للعباد الدليل و السبيل ، و الملوك لمنع العباد من الاعتداء على بعضهم البعض ، فمن أعطاه الله الملك قد جعله ظله في الأرض ، فوجبت محبته وطاعته ، و لا يجوز معصيته و لا الثورة عليه ، لان الفتنة اشد من الحاكم الفاسد .

ثانيا : كيف يتم اختيار الإمام

- عن طريق النص النبوي
- عن طريق العهد

- عن طريق التفويض او المبايعة من رجل ذي شوكة

ثالثا : صفات الإمام :

يقول الغزالي بان علماء الإسلام حصروا الإمامة في عشر صفات منها ستة خلقية و منها أربع مكتسبة :

الصفات الخلقية هي : البلوغ ، العقل ، الحرية ،الذكورية ،النسب القرشي و سلامة السمع و البصر.

الصفات المكتسبة:

- النجدة : و هي القوة و البطش
- الكفاية : و هي التميز عن الآخرين بالذكاء و حسن التدبير أولا ، ثم البحث عن مشورة الآخرين و عدم الاستبداد بالرأي
- الورع و التقوى (المواظبة على العبادات و ترك الشهوات)
- العلم : و هنا يقول بان العلم بمعنى علوم الشرع ليست بشرط أساسي لتولي الإمامة ، لان الإمام الورع سيستعين بأهل العلم في حكمه [65].

نصائح للسلطان

- إقامة العدل
- تقريب العلماء و الاستماع إليهم و تجنب المتملقين منهم
- تهذيب الطبقة الحاكمة للابتعاد عن ظلم الرعية
- التواضع و التريث
- الإشفاق على الرعية و مشاركتهم الأسى و الفرح
- العمل على قضاء حوائج الرعية و حل مشاكلها
- الزهد في الماديات و الابتعاد عن اللهو من شرب للخمر و لعب الشطرنج و النرد ، وتقسيم الوقت الى اربع : قسم للحكم و السياسة،قسم للعبادة، قسم للترفيه و قسم للأكل و الفرح و السرور
- تسبيق اللطف على الخشونة في معالجة الامور

[65] نفس المرجع ص 206

- السعي لرضا الرعية ليس بسبب الخوف و انما بسبب تطبيق الشرع
- الابتعاد عن طلب رضا الناس في مخالفة الشرع
- الهيبة بين الناس
- وزيرا صالحا يعينه و يذكره

خلاصة : السياسة عند الغزالي تأخذ بعدا أخلاقيا دينيا بحتا و واضح حيث تهدف إلى الهدايا الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا و في الآخرة ، فهي إذن تحاكي وظيفة الأنبياء اللذين أصلحوا الناس ، و إذا كانت الهدايا هي هدف السياسة فبطبيعة الحال تصبح الشريعة الإلهية هي قانونها ، فيقول بان الفقيه هو العالم بقانون الدين و هو معلم السلطان .

خامسا : ابن رشد

ولد ابو الوليد محمد بن رشد سنة 1126م بقرطبة من اسرة فقه و قضاء، درس علوم اللغة و الأدب و الفقه و الطب و الفلسفة ، و تاثر بالفكر اليوناني ، حيث كرس الكثير من جهوده في ترجمة و تفسير فكر ارسطو ، و اصبح من اهم المصادر التي يُعتمد عليها في فهم هذا الفكر الى درجة تسميته **بالشارح الأعظم** .

شغل بن رشد منصب قاضي في اشبيلية و قرطبة ، كما قربه الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن كقاضي و كطبيب خاص له في مراكش .

يعتبر بن رشد من فلاسفة الدين اللذين حاولوا التوفيق بين العقل و الدين و التعمق في ذلك الى درجة انتقال عدوة اشكالياته الفلسفية الى الفكر الغربي المسيحي ، حيث درس في الجامعات الأوروبية كأهم فكر و أهم مصدر لفهم الفلسفة اليونانية لمدة خمس و عشرين سنة قبل أن يتم منعه ابتداء من 1177 م ، كما اتهم بالزندقة و الكفر و حرم الخليفة الموحدي يعقوب المنصور قراءة كتاباته و نفاه بسببها الى بلدة معزولة و هو في سن السبعين ، و بعد اربع سنوات عفا عنه و عاد الى مراكش و الى منصبه لكنه توفي بعد ذلك بسنة واحدة فقط اي سنة 1198 م [66].

[66] شنشول ساهي مرتضى " دراسة في أبرز الأفكار السياسية عند ابن رشد" ، مجلة أبحاث ميسان ، المجلد العاشر ، العدد العشرون ، السنة ، 2014،ص 283- 312 .

يتميز فكر بن رشد بالإنتاج الوافر ، خصص جزء كبير منه لشرح الفلسفة اليونانية و التعقيب عليها خاصة كتب ارسطو و افلاطون و الفلاسفة المسلمون مثل بن سينا و الفرابي ، اما كتاباته الأصلية فكانت حول المنطق ، الفيزياء ،الطب، علم النفس ، و في الفقه و في الكلام و في الفلسفة و الجدل .

اما أفكاره السياسية فنجدها في مؤلفاته التي شرح فيها فكر أرسطو و افلاطون ثم قدم افكاره ضمن مناقشته لهذا الفكر ، و منها :

- تلخيص الخطابة
- مختصر كتاب السياسة لأفلاطون
- جوامع السياسة لأفلطون
- شروح حول الأخلاق النيخوماخوسية (Éthique à Nichomaque) لارسطو
- شروح وتلاخيص لأرسطو

افكاره السياسية

❖ **علم السياسة**

يصنف بن رشد علم السياسة مثل أرسطو ضمن العلوم العملية ، و يبرر ذلك بأنه علم الأفعال التي تصدر عن الإرادة و غرضه هو العمل ، بينما موضوع العلم الطبيعي هو الأشياء الطبيعية و مبادئه هي الطبع و غرضه هو الحقيقة ، و يقسم مبادئ علم السياسة الى قسمين :

أولا : الملكات و الأفعال الإرادية و علاقتها ببعضها

- الملكات هي اربعة اصناف : ملكة العقل ، ملكة العلم ، ملكة الاخلاق و ملكة السلوك.
- بلوغ كل الملكات في شخص واحد غير ممكن ، لذلك يجب توفر جماعة يتوفر فيها كل هذه الملكات و يؤازر كل واحد منهم الاخر في بلوغ هذا الكمال ، كذلك الدولة تتكون من كل هذه الصفات التي تميز ثلاث فئات من الاشخاص فئة تمثل الحكمة ، و اخرى الشجاعة و ثالثة الشهوة مثل النفس البشرية التي تنقسم الى عقل و قلب و بطن ، على إن يحكم الحكماء باقي فئات المجتمع كما يتحكم العقل في باقي اجزاء الجسم لكي تصلح الدولة .

ثانيا : ترسيخ الفضيلة في النفوس يتم بطريقتين ، الاولى عن طريق الاقناع الذي يتم بالخطابة بالنسبة للعامة ، و بالبراهين بالنسبة للخاصة ، و اذا تعذر الاقناع وجب اللجوء الى الاكراه الذي يجب اتباعه على المتمردين و الاعداء .

❖ **المجتمع و الدولة**

يتفق بن رشد مع سابقيه في أن الانسان لا يمكن إن يعيش لوحده لانه يحتاج الى الآخرين في تحقيق حاجياته ، ثم إن المجتمع البشري يحتاج الى تدبير عقلي ينظم و يحافظ على إنسانيته و إلا تحول إلى مجتمع ضال تسيطر عليه القوة الشهوانية او الغضبية على العقلية.

❖ **أنظمة الحكم**

أولا : الحكم الفاضل

يحكم المدينة الفاضلة التي يمكن أن تحقق السعادة للناس خمس أنواع من الحكام ، هم :

الحاكم الفيلسوف[67] : و هو الملك الحائز على العلمين النظري و العملي في نفس الوقت ، و تتوفر فيه الخصال التالية:

- ميالا لدراسة العلوم
- جيد الحفظ و لا ينسى
- محبا للصدق و اهله
- معرضا عن اللذات و الانا
- معرضا عن المال
- كبير النفس
- شجاعا
- ميال للخير
- فطنا و حسن العبارة
- قوي البنية الجسدية

الملك الحق: في غياب الملك الفيلسوف يجب إن تتوفر صفات الحق في الحاكم و هي :

[67] نفس المرجع ، ص 297

- الحكمة و التعقل
- جودة الاقناع
- جودة التخيل
- القدرة على الجهاد ببدنه
- سلامة البدن و الحواس

حكم الأخيار: هو الذي تتوزع فيه هذه الخصال على عدد من الأشخاص يكونون مجلسا سياسيا حاكما .

حكم الملك الفقيه و المجاهد : أن يكون فقيها بالشريعة ، و صفاته بالإضافة إلى الشروط البدنية أن تكون لديه القدرة في الاجتهاد مع الوقائع حسب الزمان و المكان و القدرة على خوض الحروب و الجهاد.

الحكم المشترك بين الفقيه و المجاهد : في غياب حاكم تجتمع فيع صفتي الفقه و القوة يمكن أن يشترك في الحكم شخصين ، احدهما فقيه و الثاني مجاهد .

ثانيا : الحكم الضال

- **سياسة الكرامة** (الحكم التيمقراطي) : و هي حكم اللذين يبحثون عن المجد و الخلود في التاريخ ، و يعتبره بن رشد أحسن النظم الضالة .
- **سياسة الخسة** (الحكم الاوليغارشي) : هي حكم القلة التي تبحث عن جمع الخراج و الثروة لينفقونها على انفسهم دون العامة التي تبقى في فقرها.
- **السياسة الجماعية** (الحكم الديمقراطي) : و هي الحكم الذي يعتبر كل فرد فيه نفسه حر، و المال فيه موزع على الأغلبية لذلك تصبح العامة تدفع ضريبة للجنود للدفاع عنها ، فينقسم المجتمع الى طبقة الجمهور و طبقة الأشداء.
- **سياسة التسلط** (الحكم الاستبدادي) : و هي حكم الفرد المستبد الذي يبحث عن أغراضه الخاصة سواء كانت المجد او الثروة او اللذة او كل هذه مجتمعة ، فهو حاكم لا يقدر على ضبط نفسه ، و شعبه يعيش في الفقر و القلق و الحزن.

- **سياسة الضرورة :** و هي المجتمعات الاولى التي يقوم فيها النشاط على ضرورة الأكل و لم ترقى الى مستوى سياسي راقي.

- **سياسة الشهوة :** هي المدينة التي يبحث اهلها عن الملذات و الماديات دون قيود و لا اخلاق[68] .

تحول أنظمة الحكم

نظام الحكم لا يثبت على حاله و يتغير باستمرار من شكل الى اخر :

- تتحول المدينة الفاضلة الى مضاداتها بسبب اهمال شؤون الحكم و الاهتمام بالتزاوج و خلط الانساب، فالحاكم الفيلسوف يطلب المجد في شبابه ، ثم يبتعد عن ذلك لطلب المال و كثيرا ما تلعب والدته دورا في ذلك ، فيترك البحث عن الشرف للجنود اللذين يحرسون المدينة ثم يصبح عبدا لهم فيأخذون الحكم الذي يتحول الى نظام تيمقراطي ،

- بعد إن تستولي التيمقراطية على الحكم تنجذب هي الاخرى الى الثروة بعد إن تفرغ من المجد ، و تتحول الى اوليغارشية،

- بعد إن تعث الاوليغارشية الغنية فسادا و ظلما و تفقيرا للعامة تنقلب عليها هذه الاخيرة و يتحول الحكم الى ديمقراطي،

- يتميز الحكم الديمقراطي بالحرية و نقص الضبط الذي يؤدي به الى الفوضى و الانحلال،

- الفوضى و الانحلال تؤدي الى ظهور رجل ذو شوكة يتحول الحكم معه الى الوضع الاول و هو حكم الفرد المستبد .

❖ **الحرية السياسية**

يميز بن رشد بين الحرية الزائفة التي يضن فيها الأشخاص في أنظمة الحكم الجماعي بانهم أحرار بلا قيود و لا ضوابط و التي من شانها إن تؤدي الى الفوضى ثم الى التسلط كما حدث في ارض المسلمين، و بين الحرية التي تعني رفض استبداد الحاكم و نهبه لأموال العامة، لكنه يقول بان الاستبداد مهما طال سيؤدي إلى الاصطدام و استرجاع الحرية السياسية في الأخير .

❖ **العدالة السياسية**

[68] نفس المرجع ص 303

العدالة السياسية تقاس بواقع الامور و ليس بالقول ، فاذا كان الناس متساوون في الحقوق و الواجبات نقول بان هناك عدالة، اما وقوع الظلم و الجور بين الناس فيعني إن العدالة غير موجودة في المدينة .

❖ **المساواة بين الجنسين**

يقول بان النساء و الرجال لا يختلفون في الطبع و إنما في الكم ، و الدليل انهن تقدرن على الحرب و الفلسفة ، فنحن لا نريد إن ننظر الى قدرتهن الكامنة ، و ننظر فيهن فقط دور الإنجاب الذي يشكل نوع من العبودية تحجب القدرة الكامنة لديهن ، كذلك منع النساء من العمل يؤدي الى الفقر، فعدد النساء اكبر من عدد الرجال اللذين يتولون إعالتهن [69].

سادسا : ابن خلدون

ولد أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون في تونس سنة 1332م ، و وفقا للسيرة الذاتية التي كتبها في مؤلفه "التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا" ، فهو ينحدر من أصول يمنية ، و من عائلة مسلمة جاءت إلى شبه الجزيرة الإيبيرية في القرن الثامن في بداية الفتح الإسلامي ثم هاجرت من الأندلس إلى تونس بعد سقوط إشبيلية عام 1248 م ، شغل أفراد أسرته مناصب عليا في الأندلس و تونس ، و قد خسر والديه و هو في سن السابعة عشر بسبب وباء الطاعون الذي ضرب تونس في 1349 م .

نشأ بن خلدون في بيت علم عريق فكان أبوه هو معلمه الأول ، حفظ القرآن و درس علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب في وقت مبكر من طفولته، كما درس على يد مشاهير علماء عصره، من علماء الأندلس الذين رحلوا إلى تونس، فدرس علوم التفسير والحديث والفقه المالكي، كما درس علوم المنطق والفلسفة والطبيعة والرياضيات .

اتجه بن خلدون إلى الوظائف العامة في بلاط بني مرين فعينه السلطان "أبو عنان" ـ ملك المغرب الأقصى ـ عضوًا في مجلسه العلمي بفاس، ثم شغل منصب كاتب سر السلطان "أبي سالم أبي الحسن" ، ثم اشتغل في دراسة التظلم، و أتيح له في هذه المرحلة أن يعمق معارفه على يد العلماء والأدباء الذين نزحوا إلى فاس من "تونس" و"الأندلس".

سافر بن خلدون في الثلاثينات من عمره إلى الأندلس حيث تقرب من سلطان غرناطة الذي أبعده بعد فترة ، فاتجه إلى إمارات المغرب الأوسط عام 1365 فاقترب من أمير بجاية ثم سلطان تلمسان ثم عاد الى فاس ، و بقي يتنقل من المغرب الى الاندلس ثم قرر ترك السياسة و اتجه الى قلعة ابن سلامة (

[69] نفس المرجع ص 309

فرندة حاليا) حيث استضافه أصدقاؤه "بني عريف " فتفرغ للكتابة حيث الف كتابه "العبر " الذي يتضمن "المقدمة" المشهورة .

عاد بن خلدون الى تونس في منتصف الأربعينات حيث أكمل تنقيح كتابه "العبر " ، ثم سافر إلى القاهرة و هو في الخمسين ، فولاه سلطان مصر " الظاهر برقوق" منصب قاضي بالاظافة إلى التدريس و الاجتماع بتلاميذه في الأزهر، و بقي يُعزل و يُعين في منصب قاضي في القاهرة إلى إن توفي هناك عام 1406.

يعد "ابن خلدون" مفكرا متعدد المعارف والعلوم ، فهو إمام وفقيه في علم الحديث ، ومجدد في مجال التاريخ و منهجه ، ويعتبر من قبل بعض الباحثين المؤسس الأول لعلم الاجتماع لاهتمامه بموضوع الظاهرة الاجتماعية التي سماها "المظاهر الاجتماعية " و الاعتماد على الملاحظة و الاستقراء كمنهج في فهمها ، حيث تأثر به علماء الاجتماع الغربيون ، فترجمت و نشرت مقدمته على نطاقٍ واسع في أوروبا ابتداء من 1858.

ألف ابن خلدون عدة كتب في الفقه و في المنطق و اعد شرحات لكتب الرازي و بن رشد ، لكن أشهر كتبه على الإطلاق و الذي استحق به مكانته العلمية هو كتاب "االعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، الذي يعد مصدرًا هامًا للتاريخ بشكل عام والتاريخ البربري بشكل خاص، ، و هو الذي قال فيه أ. توينبي في كتابه "دراسة التاريخ :" إن بن خلدون قد تصور و صاغ فلسفة هي بلا شك اعظم نتاج ابدعه اي ذهن في اي عصر و في اي بلد" [70]و ينقسم إلى سبعة كتب :

- "المقدمة"، و هو الكتاب الأول الذي يمكن اعتباره عملًا منفصلًا حيث تناول شؤون الاجتماع الإنساني وقوانينه.
- الكتب من الثاني إلى الخامس تناول فيها تاريخ البشرية إلى غاية العصر الذي عايشه .
- الكتابان السادس والسابع يغطيان تاريخ الشعوب البربرية ومنطقة المغرب .

افكاره السياسية

❖ **نظرية المجتمع و الدولة**

ضرورة الجماعة : تنشأ الجماعة لان الإنسان غير قادر على **تلبية حاجياته** لوحده فهو يحتاج لغيره و يعيش معهم لذلك ، و كذلك يحتاج إلى الاجتماع **للدفاع عن النفس** .

[70] انظر : ايف لاكوست "العلامة ابن خلدون " ، ترجمة ميشال سليمان ، دار الفرابي، ط 2 ، 2017 ، ص 10-68

ضرورة الدولة : الاجتماع لا يتم إلا بوجود سلطة سياسية **تدفع شر البشر عن بعضهم البعض** لما في طباعهم الحيوانية من عدوانية و ظلم، و لإكراه البعض منهم على التعاون ، فيظهر واحد منهم ذو غلبة يصبح ملك عليهم يرفع التعدي و يمنع التنازع ، فالحكومة هي نتيجة طبيعية للاجتماع ، و الاجتماع يستحيل أن يكون بدون حاكم ، فهناك تلازم بين الدولة و المجتمع فهما كالصورة و المادة، فالمجتمع هو المضمون و الدولة هي الشكل .

نشأة الدولة : يرجع بن خلدون نشوء الدولة الى مفهوم جوهري و مميز لديه هو **العصبية...**

❖ **العصبية**

العصبية هي النعرة و التناصر و التآزر بين الجماعة، و اقوى العصبيات هي عصبية الدم التي تعني النعرة على ذوي الارحام و ذوي القربة من إن تصيبهم تهلكة ، و منها العصبية الخاصة التي تكون اشد كلما كانت القرابة اكثر و العصبية العامة كلما تباعدت القرابة ، لكن قد تكون كذلك العصبية عن طريق الجيرة ، الحلف الجماعي ، الولاء او طلب الحماية من قوم الى قوم آخر .

العصبية هي اساس القوة و الغلبة و هي التي تدفع للحكم و الرئاسة " لا رئاسة الا بالغلب و لا غلب الا بالعصبية " و هي ضرورية كذلك لنشر الدين، و كلما كانت العصبية شديدة زادت الغلبة، ففي صراع العصبيات تنجح العصبية الأكثر شدة و تخضع لها باقي العصبيات ، فتتشكل بذلك الغلبة التي تؤسس للسلطة السياسية و المُلك، و عندما تضعف العصبية تنهار الدولة.

العصبية بين البداوة و التحضر :

البدو: يعيشون في القرى و الأرياف من الزراعة و تربية الانعام و هم يقتصرون على الضروري من الأكل و اللبس و هم عفويون و على فطرتهم و اقرب الى الخير و الى الشجاعة من أهل الحضر، فكلما كان الجيل وحشيا كان اشد شجاعة و كل ما كان متحضرا أصبح اقل شجاعة و اقل غلبة مثل بعض الحيوانات التي تفقد وحشيتها اذا تدجنت و تخالطت مع الآدميين ، و البدو يعيشون في تقارب من الأنساب ، و لهذه الأسباب مجتمعة يكون البدو أكثر عصبية من الحضر.

الحضر: هم في الأصل بدو ، لكن بعد الغلبة اقبلوا على الشهوات و اهتموا بالملبس و المأكل ، و من كثرة كسلهم فسدت انفسهم و تلوثت بالشر و ذهبت عنهم مذاهب الحشمة، فلم يعودوا قادرين على الدفاع عن انفسهم فوكلوا امرهم للحاكم ، ففسد عمرانهم و انحط شانهم .

العصبية و الدوران الخلدوني : عندما يصبح المجتمع حضارةً عظيمة و يبلغ ذروته تليه فترةً من التحلل إلى إن تغزو هذه الحضارة المتراجعة مجموعة من البرابرة ذووا عصبة، وبمجرد أن يعزز البرابرة سيطرتهم على المجتمع المحتل، فإنهم ينجذبون إلى جوانبه الأكثر رقة، مثل محو الأمية والفنون، واستيعابهم لممارساته الثقافية الى إن يبلغوا التحضر ، و بعد فترة يتم غزو البرابرة السابقين من قبل مجموعة جديدة من البرابرة ذووا عصبة، وهكذا تتكرر العملية.

عوامل قوة العصبية :

- العصبية تحتاج إلى **دعامة الدين** لتلطيف التنافس و التحاسد الذي في أهل العصبية ، فالدين يؤلف القلوب و يزيد التعاضد بين أهل العصبة و له اثر مضاعف على العصبية فيزيد من قوة الدولة و بأسها ، و إذا ضعف الدين تقوت العصبيات الأخرى داخل الأمة و تغلبت على الدولة.
- **العدد** مهم لقوة العصبية و تغلبها و مهم كذلك لحفظ و استمرار الرئاسة و الملك.
- **النسب الشريف** يزيد من قوة العصبية ، لكنه لا يدوم مع تداول الأجيال التي يقسمها بن خلدون الى أربعة :
  - **الاول** هو الذي يبني المجد ،
  - **الثاني** هو الابن الذي عايش أبيه و اجتهد في شبهه دون الرقي إلى مستواه ،
  - **الثالث** هو المقلد و المقلد اقل من المجتهد
  - **الرابع** ابتعد عن طريقهم و اعتمد فقط على النسب دون الخصال ، فينقرض معنى النسب في هذا الحين، و لا يصبح من مقومات قوة العصبة .

أسباب ضعف العصبية : الظلم و الذل يضعف العصبية و يفسد نية الناس، فيتهربوا من دفع الضرائب و يخونوا في الدفاع و قد يغتالوا الحاكم فتفسد الدولة، فالرعاية هي التي تنسج العلاقة الطيبة بين الحاكم و الرعية و تحافظ على أواصر العصبية .

❖ **أعمار الدولة**

الدولة تشبه الكائن الحي فهي تولد و تبلغ أشدها ثم تموت، وتمر بثلاث أجيال تنتقل فيها الدولة من نمط الإنتاج البدوي إلى نمط الإنتاج الحضري الذي ينتهي بفساد الحال ، و عمر كل جيل هو بعمر شخص في المتوسط و هو اربعين سنة، فيصير عمر الدولة 120 سنة :

الجيل الاول : يقيم دعائم السلطان لأنه ما زال على خلق البداوة و العصبية محفوظة فيه ، فتكون الدولة قوية مرهوبة.

الجيل الثاني : خليط بين قيم البداوة و الحضارة فتتحول فيه الدولة من حال البداوة الى حال التحضر الذي يصاحبه الترف ، فتكسر حدة العصبية ، فتبدأ الدولة باللين و الخضوع .

الجيل الثالث : تفقد شيم البداوة من شجاعة و أنافة و تضعف العصبية ، و يصبح الترف غاية بسبب النعيم الذي بلغته الدولة ، فتحتاج الدولة لمن يدافع عنها و تظل هكذا حتى تنهار.

❖ **أطوار الدولة**

تتغير أخلاق الحكام خلال دورة قوة و ضعف الدولة في خمسة أطوار:

1. **طور الاستيلاء على الملك،** تكون العصبية في أوجها، فيكون الحاكم قوي و قائم على شؤون الحكم بالمشورة و يكون قدوة لقومه.
2. **طور الانفراد بالسلطة و الاستبداد في الرأي** ، فيتنكر الحاكم لأهل عصبيته و يلجأ الى تكوين عصبية بديلة يشتريها بالأموال و الموالاة .
3. **طور الفراغ و الدعة** ، يحصل فيها الحاكم ثمرات الحكم ، فيتجه لرفع ثروته و مداخيله و خدمه ، و يظهر ذلك في ملبسه و مسكنه ، و يصرف على القصور و الفنون و العلوم و يبلغ الرخاء المادي ذروته ، و هذا آخر أطوار قوة الملوك و استبدادهم .
4. **طور المسالمة و القناعة** ، لا يبحث فيه الحاكم الا الحفاظ على ما هو موجود .
5. **طور الإسراف و التبذير** الذي تهرم فيه الدولة فتبدأ بالانهيار من اطرافها المترامية الى إن يبلغ التعفن و الضعف مركزها فتنهار كليا[71] .

❖ **أنواع السياسات:**

- **سياسة الملك الطبيعي**: و هي السياسة التي تتبع الغرائز و الميول و الشهوات ، وهذه لا يحبذها بن خلدون ،

[71] انظر : مقدمة العلامة ابن خلدون " ، دار الفكر ، بيروت ،لبنان ، ط 1، 2003 .

- **سياسة عقلانية** : و هي تسيير شؤون الدولة بطريقة عقلانية مبنية على القوانين الوضعية التي يضعها العقلاء و أكابر الدولة دون النظر الى الشرع ، و هدفهم جلب المصالح و دفع الضرر عن الناس ، لكنه يبقى حكما دنيويا يغفل الحياة الروحية فلا يحقق سعادة الآخرة للمحكومين ،

- **سياسة دينية** : مستمدة من الشرع المنزل من عند الله و تنفع الناس في الدنيا و الآخرة، و هي الخلافة في حراسة الدين و سياسة الدنيا التي تعتبر ملك سياسي و ديني في نفس الوقت ، و يعتبرها بن خلدون الحكم الأمثل لان هدفها هو الصالح العام و قانونها هو الشرع ، و يقول بن خلدون بان الخلافة سرعان ما تتحول إلى ملك بعد أن يضعف الوازع الديني و تخلفه العصبية ، لكن الملك ليس مذموما في ذاته إلا من ابتعد عن الدين بالطغيان [72].

❖ **الخلافة :**

وجوب نصب الخلافة : الخلافة هي السلطة التي تقوم نيابة عن الرسول في حراسة الدين و سياسة الدنيا و هي احسن و أرقى من الحكم الملكي الذي تنشا عنه المفاسد من ظلم و قهر و إتباع للشهوات ، اما الخلافة فوظيفتها دينية و دنيوية فهي تقيم الحكم وفقا للشرع و أحكامه من اجل سعادة الناس في الدنيا و الآخرة ، لذلك فنصب الإمامة واجب على الأمة المسلمة.

شروط الخلافة :

- إجماع أهل الحل و العقد
- العلم
- العدالة
- الكفاية ، اي الجرأة في إقامة الحدود
- سلامة الحواس و الأعضاء
- النسب القرشي بحكم تميز قريش بالعصبية و الشرف .

و الحاكم ليس ضروريا أن يكون كثير الذكاء و لا غبيا و لا فيلسوفا و لا عالما فقيها، حاله وسط في هذه ، لان الذكي لا يفهم الناس ذكاؤه و الفيلسوف يفسد الدين ،و الفقهاء يصعب عليهم مطابقة الواقع مع

[72] رسلان صلاح " النظرية السياسية عند ابن خلدون" ، مجلة الفكر العربي ، 1993 ، ص ص 150-164 .

أحكامهم ، كما يعارض فكرة ان النبوة ضرورية لإقامة الحكومة ، المهم أن تحكم الدولة قوانين عادلة تفرض على الجميع .

مهام الخليفة :

- **حفظ الدين** ، عن طريق إمامة الصلاة ،إعطاء الفتوة إلى أهل العلم و إعانتهم على ذلك و إبعاد من ليس أهل لها و مباشرة القضاء و تسيير المال العام .
- **سياسة الدنيا** : تتمثل في إدارة شؤون العامة عن طريق حسن اختيار من يعينه من وزراء و موظفين ، خاصة وزراء التفويض اللذين ينوبون عن الخليفة في معظم الأمور و قد يستبدون بالحكم ، أما وزارة التنفيذ فلا خوف من هذا المنصب لان الخليفة يقوم بنفسه على شؤون الحكم [73].

[73] نفس المرجع .

المحور الرابع : تطور فلسفة الدولة في أوروبا

أولا : الفصل بين الأخلاق و السياسية (نيكولاس مكيافيللي)

هو مفكر و سياسي و أديب ايطالي من ابرز وجوه عصر النهضة الأوروبية ، ولد سنة 1469م في فلورنسا من أسرة برجوازية متوسطة لا هي من البرجوازيات الغنية و لا من الطبقات الفقيرة ، لكنها أسرة فلورنسية عريقة ذات توجه سياسي جمهوري ، اشتغل العديد من أفرادها في مجال القضاء.

عاش مكيافيللي في فلورنسا التي تداولت عليها عدة أنماط من الحكومات ، منها الحكم الجمهوري و الحكم الثيوقراطي و خاصة حكم عائلة "ميديتشي " الارستقراطية التي هيمنت بشكل شبه مطلق على فلورنسا في اغلب المراحل التي عايشها مكيافيللي أي في بداية عمره و في نهايته .

اهتم مكيافيللي في تكوينه الذاتي بالفلسفة اليونانية و الرومانية القديمة و اشتغل في السلك الدبلوماسي الفلورنسي خلال الحكم الجمهوري ، حيث رافق سفراء فلورنسا إلى عدة ممالك أوروبية و مدن ايطالية ، و رغم أن المناصب التي شغلها كانت متواضعة بحكم انتمائه العائلي المتوسط * ، الا انها سمحت له بالاختلاط بالكثير من الملوك و الحكام و رجال الدين اللذين كانوا يصنعون الواقع السياسي في أوروبا انذاك ..

بعد سقوط الحكم الجمهوري سنة 1512 و استعادة عائلة "مديتشي " الحكم في فلورنسا ، اتهم ميكافيللي بالمؤامرة ، فسجن لفترة ثم نفي الى الريف ، حيث كتب أشهر مؤلفاته السياسية و الأدبية التي حاول بها مغازلة و استعطاف عائلة "مديتشي " التي عفت عنه دون إعطائه اي منصب ، فواصل انتاجه الفلسفي و الأدبي الى إن توفي عن عمر يناهز 58 سنة في فلورنسا سنة 1527[75].

<u>الظروف والعوامل التي أثرت في فكر مكيافللي</u>

اولا : الظروف السياسية التي نشأ فيها ميكافيلي

في أوروبا :

الصراع بين الممالك الأوروبية القوية من اجل كسب المزيد من الأراضي لتحقيق الوحدة الوطنية و بناء الدولة الأمة ، خاصة التاج الفرنسي و الاسباني و الإمبراطورية الجرمانية المقدسة .

*الحكم الجمهوري في ايطاليا و منها في فلورنسا يستمد جذوره من الحكم الجمهوري الروماني القديم ، حيث انه نظام هجين يخلط بين الارستقراطية و الديمقراطية ، أين يرجع تولي المناصب العليا إلى العائلات الارستقراطية او " الباتريسية " كما يسمونها في الأدبيات الرومانية، لذلك نجد بان المرتبة الاجتماعية لعائلة ميكافيلي لم تسمح له بالارتقاء في مناصب دبلوماسية عليا مثل منصب سفير رغم طول سنين اشتغاله في السلك الدبلوملسي الفلورانسي.

[75]NEMO Philippe « histoire des idées politiques aux temps modernes et contemporains », op cité , p 45

سيطرة بابا روما على ملوك أوروبا عن طريق تحكمه في سلطة العقاب الديني باسم حماية الكاثوليكية .

فساد الكنيسة الكاثوليكية (الاضطهاد الاجتماعي و التدخل في الحياة الشخصية للأفراد ، المتاجرة بالغفران الديني، الفاحشة في بيت البابا و في أوساط رجال الدين.....)

في ايطاليا :

إيطاليا ممزقة و ضعيفة بسبب الصراع بين المدن الايطالية و مطامع الجيران فيها والتي سميت بالحروب الايطالية .

هيمنة البابا على المدن الايطالية و متاجرته بها مع القوة المجاورة باعتبارها قوة كاثوليكية في نظره .

احتلال فرنسا و اسبانيا لبعض المدن الايطالية .

الصراع بين الأسر الدينية و الأسر الأرستقراطية حول الحكم في المدن الايطالية .

الصراع بين الأسر الدينية في روما.

في فلورنسا : رغم النهضة الأدبية و الفنية التي عرفت بها فلورنسا إلا أن الأوضاع السياسية فيها كانت مضطربة بسبب الحكم شبه المطلق لعائلة "ميديتشي " الذي كان يسبب انتفاضات دورية ضدها خاصة من قبل الجمهوريين[76].

ثانيا : العوامل الذاتية

حصرته على ضعف ايطاليا وتمزقها بعد إن كانت امبراطورية مهيمنة

سيرته المهنية التي منحته فرصة فهم الواقع السياسي و الصراع على السلطة داخل و خارج فلورنسا و رغبته في ظهور دولة قوية فيها .

أهم مؤلفاته

ألف مكيافيللي عدة كتب في الفلسفة و تاريخ الفلسفة القديمة و في الأدب و الفنون ، لكن أشهر مؤلفاته كانت في السياسة خاصة منها :

[76] BEC, Christian , Machiavel, éditions Balland, Poitiers, 1985, p 12-24

- "الأمير" (1513) الذي ألفه ليهديه إلى حاكم فلورنسا "جوليان ميديتشي" راجيا منه أن يصفح عنه وآملا في العودة إلى منصبه ، لكن هذا الأخير توفي فقرر ميكافيللي إهداء الكتاب إلى خليفته "لوران ميديتشي" الذي سمح له بالعودة إلى فلورنسا لكن دون إعطائه أي منصب .
- "خطابات تيتيوس ليفيوس" (بين 1512 و 1520) يوضح فيه أفكاره السياسية و ميوله للجمهورية و قد بدأ في كتابته قبل كتاب الأمير ، و تركه ليكتب هذا الأخير .
- "فنون الحرب" (1521).
- "حكايات فلورنسا" (1525) و هي استجابة الى طلب الحاكم "جوليوس مديتشي" لكتابة تاريخ فلورنسا[77].

<u>افكاره السياسية</u>

❖ **النظرة الواقعية** : يرفض ميكيافيللي الاقترابات التقليدية التي تخضع السياسة للنظرة الاخلاقية ، فهو لا يبحث مثل سابقيه عن الحكومة المثلى ، بل عن المبادئ التي تبني دولة قوية و مستقرة معتمدا في ذلك على ملاحظة الواقع السياسي الذي عايشه ، و من ثما بنا فلسفته على قناعات جدا مميزة بالنسبة لعصره هي :

اولا : الطبيعة البشرية السيئة

← يعكس الواقع الطبيعة السيئة للسلوك البشري" فهم يبدون سوءهم و شذوذهم كل ما سمحت لهم الفرصة بذلك "

← الصفات الشريرة للبشر عديدة جدا و هي : الأنانية ، الحسد، الخبث،عدم الرضا، الطمع،الجحود،العنف، الفساد، الضعف ، الشغف بالسلطة

← السياسة تظهر حقيقة النفس البشرية فهي مسرح لصراع المصالح الذي يعكس شغف الامراء بالسلطة و ممارساتهم الخبيثة و الماكرة للوصول اليها او الاحتفاظ بها.

ثانيا : فن الحكم هو فن الواقع

← السياسة هي ممارسة واقعية تهدف الى الوصول الى السلطة والبقاء فيها عبر استعمال الوسائل المشروعة و غير المشروعة ، فهي ممارسة الممكن و ليس ما يجب أن يكون ، و إبعادها عن

[77] NEMO Philippe, op.cit , p 46

الواقع وإلحاقها بالمثاليات يؤدي لا محال إلى فقدان السلطة، فعالم السياسة تحكمه المصالح و القوة و لا تحكمه الأخلاق.

← مشروعية السلطة السياسية هي مسألة بعدية و ليست قبلية لأنها في الحقيقة مرتبطة بالنتائج و الأداء الفعلي الذي يؤدي إلى قوة الدولة او ضعفها في الأخير.

ثالثا : الدين

← الديانة المسيحية حتى و إن كانت ليست سيئة فهي تدعو إلى الضعف و الاضمحلال بسبب التواضع و الضعف الذي تنادي به و الذي يسبب انهيار المدينة .

← التقارب بين الدين و السياسة سيؤدي لا محال إلى فساد الاثنين[78] .

❖ **صفات الأمير**

الأمير عند ميكافيللي يسعى الى الوصول إلى السلطة و الى الحفاظ عليها من اجل بناء دولة قوية لا تهزم ، و يتمتع هذا الأمير بصفات تميزه عن غيره هي:

الحنكة و البراعة السياسية " la virtù"

و هي الصفة المحورية التي تدور حولها شخصية الأمير عند ميكافللي بحيث تعني حسب الصفات التي يضعها مكافيللي في الأمير : "الرجل" الذي يتميز بالقوة و الحنكة السياسية في اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب لمواجهة ما يسميه ب " la fortuna " التي يعني بها سرعة التغير في الاحداث و التي يجب على الأمير إن يتكيف معها و يحولها إلى فرصة تخدم أهدافه هو[79].

القوة و المكر

الأمير يجمع بين صفة القوة كالأسد و صفة المكر كالثعلب ، فهو مبدئيا قوي لكنه قد يواجه حالات سياسية في الداخل و الخارج لا يمكن أن تحل بالقوة مثل التوفيق بين مصالح الطبقة الارستقراطية و الطبقة الشعبية او مواجهة عدو اقوى منه ، فيضطر حينها الى اللجوء الى مكر الثعلب للتوفيق بين الأطراف المتضاربة او لمغازلة عدوه[80].

[78] NAY Olivier « histoire des idées politiques : la pensée politique occidentale de l antiquité a nos jours » , op cité , 2016

[79] BEC Christian op cité, p 217

[80] Ibid. p 110-114

❖ **أساليب حكم الامير**

← **يميز بين الأخلاق الشخصية و الأخلاق السياسية**

- يتجاوز ميزان الخير و يتخلص من الأخلاق و التقاليد و القيم الدينية عند ممارسة السياسة .
- الامير ليس له مبادئ سياسية مسبقة، فهو يستنتج من كل ظرف المبدأ الملائم الذي يتماشى مع مصالحه في مواجهة التغير السريع في الأوضاع .
- لا يجب أن يحكم ضميره لأنه قد يشوش عليه اتخاذ القرار السياسي المناسب .
- يمكن للأمير القيام بأي أعمال مشينة إن اقتضت المصلحة السياسية ذلك.
- إذا لم يستطع الأمير قتال عدوه فيجعل منه صديق .
- الأمير عند مكافيللي يستخدم كل الوسائل ليصل إلى أهدافه لان شعاره هو : **الغاية تبرر الوسيلة**

← **السياسة الداخلية**

- يجب أن يكون الامير قوي و مرهوب الجانب ، و يسعى في نفس الوقت الى كسب حب الناس ، لكن إن تعذر بلوغ هذا الوضع المثالي أصبح الخوف أولى من الحب ، لان الخوف ينقص من جرأة التآمر، وهنا يمكن استعمال أساليب معلنه مثل الإعدام في الأماكن العمومية من اجل إخافة المعارضين و إجهاض نواياهم [81]
- يستعمل الاميرالقوة ان اقتضت الضرورة ، لكن دون الإفراط فيها لكي تحدث العقاب و الردع دون إن تحدث الثورة ،
- يجب على الأمير أن يتظاهر بالتدين و الاخلاق من اجل جلب مساندة الناس لانهم يحكمون بظاهر الأشياء ، و في هذا الشان عليه باستعمال أشخاص آخرون للقيام بالافعال القذرة و إن اكتشف الامر فعليه بتضحيتهم امام الناس لتبرئة صورته ، فعليه باتقان فن التلاعب بالراي العام.

---

[81] **PRELOT Marcel « histoire des idées politiques »,op cité, p 204-205**

- يمكن للامير ان ينقض العهود إن استدعت المصلحة ذلك مثل أن تشكل عبئا عليه او على الدولة ، و يبرر ذلك بأية خدعة او يشغل الشعب عن الأمر بموضوع آخر[82].

- يجب على الامير إن يحارب الفقر لانه قد يكون سبب في الثورة ، و البحث في ذلك عن مصادر خارجية في التمويل لكي لا يفقر الشعب .

- يجب إن يحارب الفساد عن طريق تالجديد المستمر للنظام لكي لا يتكرس الفساد فيه .

← **السياسة الخارجية**

- على الأمير حساب الحرب حتى في حالة السلم الحرب لان الحرب هي التي تحدد طبيعة العلاقات بين الدول ، اما السلم فهو مفهوم غامض .

- الابتعاد عن استخدام المرتزقة لان هؤلاء لا ولاء لهم الا للمال ، و لان الأهالي يتحولون الى ضعفاء لا يستطيعون الدفاع عن انفسهم،

- إسناد وظيفة الدفاع لأبناء الشعب و تشكيل جيش وطني قوي يموت من اجل الوطن و يبعث الثقة و القوة في اوساط الشعب و الصمود امام الطغيان.

❖ **أنظمة الحكم**

تحايل مكيافيللي في توضيح رأيه حول الحكم الأمثل بين الجمهوري و الملكي ، و لأسباب "مكيافيللية" تأرجح بين الاثنين ، ففي كتاب الأمير الموجه لعائلة "مديتشي" أثنى على الحكم الملكي و الأمير القوي، اما في كتاب الخطابات فدعم بشدة النظام الجمهوري ، لكن بشكل عام يمكن القول بان مكيافيللي لا يولي اهمية كبرى لمسألة نوع النظام الأمثل بقدر ما يهمه الأمير القوي الذي يستطيع تشكيل دولة قوية و مستقرة بغض النظر عن نظامها[83].

[82] HALLEPE Didier « MACHIAVEL : le prince » collection stratégie , version numérique , p 90-73

[83] انظر

« MACHIAVEL : Œuvres »,trad. par BEC Christian , éd. Robert LAFFON, Paris 1996.

ثانيا : الإصلاح الديني و الفصل بين السلطة السياسية و السلطة الدينية (مارتن لوثر / جون كالفين)

تمهيد : وضعية الكنيسة الكاثوليكية في نهاية القرون الوسطى

بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية التي اعترفت بالديانة المسيحية منذ بداية القرن الرابع ميلادي ، زادت المسيحية انتشارا في أوروبا حيث لعبت دور العامل المقرب بين الشعوب المختلفة التي تنافست على أراضي الإمبراطورية الرومانية ، فأصبحت ديانة الملوك و الأمراء و الأهالي خاصة منذ بداية القرن التاسع ميلادي الذي أعلن فيه بابا روما تتويج "شارلمان " ملك الفرنك إمبراطورا على الغرب عبر تحالف استراتيجي ادخل الكنيسة في عصر جديد اختلط فيه المجال الديني بالسياسي و تحولت فيه الكنيسة تدريجيا الى مؤسسة قوية تهيمن على العقول و تهدد سلطة الملوك ، بحيث :

- بلغت الكنيسة درجة كبيرة من الغنى الذي موله الملوك عن طريق الضريبة الدينية و كذلك المخلصون الفقراء، و الذي وجهته لبناء الكنائس المزخرفة التي تنافس جمال القصور ، و لتمويل حياة الرفاه و البذخ لباباوات روما .
- بلغت من التنظيم درجة من التعقيد إلى إن تحولت إلى نظام محكم من الرتب و السلمية ،
- أسست نظاما مركزيا لاتينيا للسيطرة على النصوص الدينية و تفسيرها ، يصاحبه نظاما قانونيا للحساب و العقاب يتحكم فيه بابا روما ،
- هددت الملوك بالتكفير و الطرد الكنسي ، حيث أصبحت مباركة الكنيسة أشرطا رسميا من شروط تنصيب الملوك و دليل على تدينهم ،
- قامت على ترهيب الأهالي المبني على صعوبة الخلاص و لازمت حياتهم من الولادة إلى يوم يدفنون ،
- تعفنت الكنيسة و انتشر فيها الفساد الديني و الأخلاقي في الأوساط الدينية و في بيت البابا ،
- المتاجرة بالرتب الكنسية و بصكوك الغفران[84].

[84] للتعمق انظر :

LANGLOIS Charles Victor , « histoire du moyen âge : 395-1270 »,éd hachette ,paris 2012 , p 129-156
LE GOFF Jaques « l Europe est-elle nait au moyen âge » , éd. seuil 2003 .

سيطرت كنيسة روما بهذا النظام الممركز الغني على ملوك أوروبا الذين وجهت سياساتهم كما تريد و على عقول الناس بشكل جمد التطور السياسي و الاجتماعي و حتى العلمي في أوروبا ، فتدهورت صورة الكنيسة في أعين الملوك و الأهالي و حتى في الأوساط الدينية .

اولا : مارتن لوثر

مارتن لوثر هو مصلح ديني ومؤسس المذهب البروتستانتي ، ولد في مدينة ايزلبن الألمانية سنة 1483 م ، و توفي فيها سنة 1546 م .

ينحدر مارتن لوثر من عائلة برجوازية حديثة الغنى ، حرصت على تعليمه حيث واصل دراسته الجامعية من اجل التخصص في الحقوق مثل ما رغب في ذلك والده ، لكنه قرر التخلي عن هذا المسار لأنه أحس بانجذاب اكبر للفلسفة و العلوم الدينية ، فترك دراسة الحقوق من اجل دراسة الفلسفة و علوم الدين ، ثم انظم إلى اخوية اغستينية و هو في عمر 22 سنة ، ثم عين قسا في 1507 و هو في عمر 24 سنة.

واصل مارتن لوثر دراسته إلى إن بلغ درجة الدكتوراه في علوم الدين سنة 1512، حيث مارس التدريس في جامعة "ويتنبرغ" بألمانيا ، كما عين سنة 1514 واعظا في كنيسة نفس المدينة و هو في عمر 31 سنة [85] .

منذ 1517 بدأ رفض مارتن لوثر لسلطة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية و لطقوسها ، حيث دخل في مواجهة مع البابا أدت به إلى الطرد الكنسي ، لكنه أسر على مواقفه التي أدت إلى انشقاق ثاني في المسيحية و ظهور المذهب البروتستانتي.

مؤلفاته: الف مارتن لوثر كتب دينية يشرح فيها نظرته المبسطة للدين و كتب جدلية أهمها الأطروحات 95 (1517) ، أراء حول الوعود الرهبانية، الخطاب ضد البابوية (1545)، اما المؤلفات التي نجد فيها اراؤه السياسية فهي "نداء إلى نبلاء المسيحية في الأمة الألمانية"(1520) ، "السلطة الزمنية و الطاعة"(1523) و "واجب السلطات المدنية " (1536) ، كما الف كتابا "عن اليهود و أكاذيبهم " سنة (1543) حول عدم اعترافهم بالمسيح كنبي و عن سلوكاتهم الاجتماعية [86] .

دوافع الفكر اللوثري

[85] MATTHIEU Arnold « LUTHER », ed fayard 2017 p 69

[86] انظر :

LIENHARD Marc et MATTHIEU Arnold « Luther, œuvres »,paris 1999.

- طبيعته الإنسانية : نشأ مرتن لوثر شديد التعلق بفكرة الخلاص، التي ولدت لديه الإحساس بالذنب و الخوف من العقاب الإلهي.

- انتمائه إلى الأخوية الاغستينية التي تؤمن بالبساطة و الزهد في المعيشة و تعيش من الإكراميات[87].

- سفره إلى روما : بين سنة 1510 و 1511 سافر مارتن لوثر إلى روما في مهمة كنسية ، ففوجئ بفخامة الكنيسة الكاثوليكية و زخرفاتها الباهظة و في الرفاه الذي كان يعيش فيه البابا و من معه من رجال الدين ، كل هذا في تناقض مع ما يطرحه الدين من أفكار عن الزهد في حب الدنيا [88].

- انتشار ظاهرة بيع صكوك الغفران التي قررتها كنيسة روما في 1517 ، في كل الأقطار الأوروبية المسيحية الكاثوليكية ، و التي صاحبتها تلاعبات و تزوير من قبل بعض أباء المسيحية ، فقرر مرتن لوثر الذي كان أستاذا و واعظا التصدي لهذه الظاهرة التي تتاجر بتقوى و خوف الناس البسطاء و الفقراء و تستغل جهلهم و سذاجتهم من اجل تمويل البذخ الذي تعيش فيه كنيسة روما ، فقام بإلصاق وثيقة ضخمة على جدران كنيسة "ويتنبرغ" ، تحتوي على 95 أطروحة يستنكر فيها هذه الممارسة و يدين فيها كل النظام و السلطة البابوية على أقطار أوروبا .

- طبعا قامت الكنيسة الكاثوليكية بتطبيق الطرد الكنسي على لوثر ابتداء من 1521 بعد إن حرق علنا التهديد المكتوب الذي أرسل إليه بالتراجع عن موقفه، ثم حاولت الكنيسة استمالة الإمبراطور الجرماني لتطبيق أقصى العقوبات عل لوثر ، إلا انه لاقى دعما كبيرا من قبل العديد من النبلاء و الأمراء الجرمان ، فأحدثت وثيقته التي سميت ب"اطاريح ويتنبرغ" أثرا كبيرا في الأوساط الشعبية و ادت إلى ظهور البروتستانتية التي انتشرت بسرعة منذ القرن 16 ، خاصة في الأقطار الجرمانية و الانجلوسكسونية ، و ذلك بفضل اكتشاف الطباعة الميكانيكية في هذه السنوات[89].

أهم المسائل (95) التي نشرها فيما يخص صكوك الغفران

- لا يوجد وسيط بين الإنسان و ربه

[87] Ibid. p 46
[88] Ibid. p 57
[89] SIBUE Annick « Luther et la réforme protestante » ,ed eyrolles,paris 2011, p 65.

- لا يمكن للبابا إن يحدد خطايا الإنسان و لا يمكنه رؤية كل الخطايا
- الله وحده يغفر الخطايا و ليس البابا
- الله لا يذل عباده أمام بشر مثلهم
- رفض غرفة الغفران لأنها بدعة رجال الدين
- لا يمكن للخطايا إن تزول بالمال و صكوك الغفران
- الإيمان وحده يمكن إن يخلص المخطئ
- التصدق على الفقراء أحسن من شراء صكوك الغفران لان الأولى تقربه من الله و الثانية من البابا
- صكوك الغفران هي وسيلة لاستغناء الكنيسة
- لماذا لا يبني البابا الكنيسة من ماله الخاص بدلا إن يفعل ذلك بمال الفقراء[90] (1)

<u>الإصلاح اللوثري</u>

رفض هيمنة مؤسسة الكنيسة الكاثوليكية و بابا روما على أوروبا

- القداسة لله وحده
- لا يمكن للبابا إن يتوسط بين الفرد و ربه في الأخطاء و لا في الغفران
- الايمان وحده هو السبيل للخلاص
- لا يمكن للبابا إن يحل محل المسيح في طلب الرحمة
- لا يمكن تقدير الأخطاء من قبل البابا و بيع الغفران بالأموال
- الدعوة لانتخاب رجال الدين من قبل الأهالي المحليين

رفض انفراد اللغة اللاتينية بالنص الديني ، لأنها وسيلة لتسهيل السيطرة على العقول

- قام لوثر في هذا المجال بترجمة الإنجيل إلى اللغة الألمانية

[90] COTTRET Bernard« histoire de la reforme protestante »,ed perrin ,paris 2010, p 39.

- انشأ أدوات بيداغوجية لتبسيط تعليم الدين و تقريبه للناس ، فأسس التعليم للكبار و التعليم للصغار

الرجوع إلى النص في تحديد تعاليم الدين و الابتعاد عن البدع و تأويلات الكنيسة الكاثوليكية

- الدعوة لزواج رجال الدين و انسنة حياتهم ، حيث تزوج مارتن و أسس أسرة من ستة أطفال كقدوة
- النهي عن شراء الغفران
- النهي عن الإدلاء بالخطايا في غرف الغفران
- النهي عن زخرفة أماكن العبادة و عن التماثيل و تقديس الأشخاص [91]

افكاره السياسية

- يؤمن مارتن لوثر بعدم تدخل السلطة الدينية في السلطة الزمنية و دعا مثل سابقيه من المسيحيين إلى طاعة الحاكم [92]،
- رغم إن مارتن لوثر ثار ضد الكنيسة إلا إن المفارقة في أرائه انه لم يؤيد ثورة الفلاحين في ألمانيا التي صاحبت حركته بين 1524 و 1526 خاصة و قد تشجعت بآرائه و أملت في مساندته لها ،
- عارض الحروب الدينية لأنه يعتبر الدين مسالة شخصية
- يؤيد استعمال القوة في مواجهة الاضطرابات الداخلية
- لا يعتبر الإمبراطور حاميا للمسيحية لان الإيمان مسالة شخصية
- يفضل مارتن لوثر الحكم الارستقراطي على الحكم الملكي و الحكم الديمقراطي ، و لا يؤمن بإمكانية تحقق مدينة الله في الأرض[93]
- يفضل النظام الإقطاعي و لا يؤمن بالتعاملات الربوية ، لأنه لا يؤمن بان المال ينتج المال بنفسه.

[91] MATTHIEU Arnold, »LUTHER », op cite, p 124-165
[92] PRELOT Marcel et LESCUYER Georges « histoire des idées politiques » , op cité,p 228-230
[93] Ibid. p 233-234

الآثار السياسية لفكر مارتن لوثر

- انتشار سريع للبروتستانتية و دعمها من قبل الأمراء الجرمان لأنها ترفض هيمنة روما ، خاصة أمام الصراع الشديد آنذاك بين الأمراء و الملوك حول التوسع ، فقد فكت اللوثرية أيدي هؤلاء من هيمنة البابا عليهم.
- خلفت البروتستانتية حروب دينية في أوروبا لم تنتهي إلا في منتصف القرن 17 مع سلام وستفاليا.
- انتشرت البروتستانتية في وسط و شمال أوروبا و انجلترا منذ نهاية القرن 16 .
- أهم نتيجة صنعتها اللوثرية هي فك نظام الكنيسة الذي أصبح أكثر من ملكيا بالرتب الدينية و بالطبقية و ثراء البابوية ،و فك النظام المسيحي الكاثوليكي الذي سيطر على الملوك و جمد العقول .

ثانيا : جون كالفن

ولد جون كالفين سنة 1509 بفرنسا من عائلة برجوازية متوسطة ،تابع دراسته الجامعية في الحقوق و علوم الدين ، بالإضافة إلى تعلم علوم اللغة الفرنسية و اللاتينية و اللغة العبرية.

ابتداء من 1532 بدأ يختلط باللوثريين و يتأثر بالإصلاح الديني البروتستنتي، و في نهاية 1533 انظم إلى جماعة الإصلاحيين في باريس الذي كلفه الهروب من فرنسا بعد الاضطهاد الديني الذي تعرض له الاصلاحيون هناك .

في 1536 سافر إلى جنيف التي تبنت الإصلاح البروتستانتي ، حيث ألف كتابه المشهور " مؤسسة الديانة المسيحية " و بدأ في إعادة تنظيم كنيسة جنيف طبقا للتوجه الإصلاحي ، لكنه من شدة التشدد طرده الأهالي بعد سنتين فقط ، فهرب إلى مدينة بال السويسرية ، ثم سافر إلى"ستراسبورغ " أين اشتغل كواعظ بالكنيسة و تعمق في تفصيل تصوره للشعائر و الطقوس الدينية الجديدة.

في 1541 عاد مرة أخرى إلى جنيف حيث عين كحاكم تيولوجي فطبق على المدينة نموذجه الديني الذي عرف بالتشدد و الدكتاتورية إلى إن توفي سنة 1564[94].

[94] للتعمق أنظر :

COTTRET Bernard « CALVIN :biographie »,éd. JC Lattes , paris ,1995.

مؤلفاته : ألف جون كالفن كتب في العقيدة المسيحية حسب المذهب البروتستانتي و طرق تعليمها، لكن أهم مؤلف يعرف به هو "مؤسسة الديانة المسيحية " الذي طبعه لأول مرة في 1536و الذي يعيد فيه تقييم كل هذه المؤسسة [95]

الإصلاح الكالفيني

ينتمي كالفن للتيار الإصلاحي البروتستانتي ، حيث انه انطلق من المبادئ اللوثرية لتطوير نظرته للكنيسة و لتفسير النص الديني ، و المتمثلة في :

← رفض هيمنة الكنيسة الكاثوليكية و تنظيمها المركزي و الدعوة لانتخاب رجال الدين من قبل الأهالي المحليين ،

← رفض سلطة البابا و اعتبر بأن النص هو أساس التعاليم الدينية ، و دعا الى الابتعاد عن البدع مثل : غرف الغفران ، زخرفة أماكن العبادة و تقديس الأشخاص ، و عزوبية رجال الدين...

← رفض إن يكون هناك وسيط بين الله و عباده و بان الإيمان وحده هو السبيل للخلاص،

← رفض تفرد اللغة اللاتينية بالنص الديني و ساهم في ترجمة الإنجيل باللغة الفرنسية[96].

لكنه اختلف مع لوثر في بعض القضايا العقائدية [97] ، كما انه يعتبر أكثر تشددا من لوثر في طلب تطبيق التعاليم الدينية من ناحية و اشد عداء للكنيسة الكاثوليكية من ناحية أخرى إذ انه يذهب إلى استعمال مفردات مسيئة وشاتمة في وصف الكنيسة التقليدية و البابا الذي اعتبره عدوا للمسيح...

آراؤه السياسية و الاقتصادية

تتوافق آراء كالفن السياسية مع آراء لوثر بشكل عام ، إلا أن أفكاره ، و بحكم نشأته من ناحية و تكوينه القانوني من ناحية أخرى ، اتسمت بالمزيد من التعمق في التحليل و التوسع في القضايا الدينية ، السياسية و حتى الاقتصادية :

---

[95] COTTRET Bernard »CALVIN », op cite, P 126

[96] COTTRET Bernard« histoire de la reforme protestante », op cite, p 140

[97] حارب كالفن معاداة السامية ، وطور في كتابه " المؤسسة المسيحية " نظريته عن عدم التناقض بين الديانة اليهودية و الديانة المسيحية ، و بان هذه الأخيرة ا جاءت لإزالة الشوائب التي أصابت الديانة اليهودية ... انظر : نفس المرجع ص 218 .

- يشدد كالفن أكثر من سابقه على ضرورة توضيح الحدود بين السلطة الزمنية و السلطة الدينية، حيث تهتم السلطة الزمنية بإقامة النظام العام و الاستقرار و لا تتدخل في شؤون السلطة الدينية ، و تهتم هذه الأخيرة بتفسير و نشر النص الديني و لا تتدخل في شؤون السلطة الزمنية .

- يعترف كالفن بالعقيدة السياسية و فلسفتها الوضعية في طرق الحكم و عدم خلطها مع العقيدة الدينية، و بضرورة وجود قوانين وضعية تكمل القوانين الإلهية [98] .

- يعترف كذلك بتنظيم الحياة المدنية طبقا للضرورة الوضعية التي لا تتعارض مع التعاليم الدينية ، و يقول بان المدينة تقوم على التوازن بين ثلاث سلطات هي الحاكم و القانون و الشعب ، و بان القانون هو مصدر سلطة الحاكم [99]

يدعو كالفن مثل لوثر إلى طاعة الحاكم و احترام القوانين لانها تعبير عن سلطته في فرض النظام العام [100].

ثم يبدأ تميُّز كالفن و اختلافه عن لوثر في الآراء التالية :

- رغم انه دعا إلى طاعة الحاكم إلا انه أجاز للمحكومين تعبير عن سخطهم على الحاكم الظالم و لممثليهم في مواجهته بأخطائه [101] .

- لا يهتم كالفن بقضية النظام السياسي المفضل، لانه يرى بان الأنظمة تصبح متشابهة حينما لا تتعارض مع القيم الدينية [102] .

- يعتبر كالفن النشاط الدنيوي نشاط ايجابي فهو لا يحتقره مثل لوثر ، و يتميز كمفكر ديني في إعطاء أهمية ملموسة **للملكية الخاصة** و للنشاط الاقتصادي [103] إلى درجة انه أعطى شرعية **للمعاملات الربوية** في الاستثمار و تراكم الثروة فيبرر ذلك بان البنوك رغم انها تستغني من عرق الفلاحين و التجار إلا أنها بالقروض تسمح لهؤلاء بالاستمرار في نشاطهم ، كما يعتبر بان الثراء تعبير عن مباركة الله لعباده .

المدينة الكنيسة في جنيف

[98] ibid. p 219
[99] Ibid. p 149
[100] NAY Olivier « histoire des idées politiques ... » op cité , 2016, p 292
[101] Ibid p293
[102] L.ARENILLA « le calvinisme et le droit de résistance a l état », , in annales histoire, sciences sociales, n°2 mars-avril 1967, pp 350-369
[103] PRELOT Marcel et LESCUYER Georges, « histoire des idées politiques », op cite, p 238

خلال حكمه لمدينة جنيف ابتداء من سنة 1541 الى 1564 ، طبق كالفن النموذج التيوقراطي الذي نظر له و الذي عرف بالتشدد و نعت من قبل الكثير من المعاصرين بأنه يشبه النظم الشمولية و الدكتاتورية [104] ، فقد تميز ب :

- التطبيق النصي للإنجيل كما يفهمه كالفين على كل الحياة المدنية في جنيف
- إنشاء هيئة من رجال الدين العلماء يحرصون على:
- كتابة و نشر القوانين الدينية طبقا للنص الكالفيني
- تنظيم العبادات
- تقرير الصيام الجماعي في المدينة
- مراقبة مدى تطبيق القوانين الدينية و حتى أدق السلوك لسكان المدينة مثل طريقة اللباس، قصة الشعر ، الكلام و التعليقات خلال الدرس الديني...، حيث وصلت الرقابة إلى درجة تفتيش المنازل
- تقرير العقاب لمن يخالف التعاليم، و الذي يبدأ من الطرد الديني و الطرد من المدينة إلى العقاب الجسدي مثل الجلد و الحرق [105]
- مركزية الرؤية و دكتاتورية التسيير فكل من كان يجرؤ على خلاف رؤية كالفن كان يحرق[106]

اثار الكالفينية و تقييمها

- واصلت الكالفينية نفس التأثيرات التي أحدثتها اللوثرية فيما يتعلق بتعميق القطيعة مع الكنيسة المسيحية،
- لم يترك كلفن كما كبيرا من الكتب مثل لوثر إلا أن أثره كان اكبر لأنه اعتمد على نموذج عملي في كيفية تأسيس و تنظيم الكنائس البروتستانتية ، فقد انتقلت الكالفينية من سويسرا إلى اسكتلاند و بقوة أكثر إلى أمريكا الشمالية ،
- أما تقييم الكالفينية فنجد فيه آراء متضاربة حول مدى ايجابيتها أو سلبيتها ، فبعد أن اتهمها البعض بالتعصب و التشدد الديني و بتأجيج الفرقات و الحروب الدينية[107]، اعتبر الكثير بأنها

[104] COTTRET Bernard « CALVIN » op cite,p222
[105] CARBONNIER BURKARD Marianne « Jean CALVIN » ,ed DDB, paris 2009,pp 75-79 .
[106] PRELOT Marcel et LESCUYER Georges, « histoire des idées politiques », op cité, p 237-240

تدعو إلى تحرير الإبداع الفردي و الحرية الاقتصادية الجالبة للتقدم و الثراء بسبب إباحة التعاملات الربوية و الحرية الاقتصادية .

ثالثا : نظرية السيادة عند "جون بودان"

هو رجل قانون و اقتصاد و مفكر فرنسي ولد من عائلة برجوازية متوسطة سنة 1530 بمدينة "أنجير" الفرنسية ، تلقى تكوينه الأول في المؤسسات الدينية في مدينته ثم في باريس حيث درس السكولاستيكية ، و في "تولوز" أين درَس و درّس القانون ، كما اشتغل هناك كقاضي .

سافر بودان إلى باريس و هو في عمر 32 سنة حيث مارس مهنة المحاماة، ثم بدأ يختلط بالأوساط الفكرية و السياسية الباريسية و المشاركة في نقاشاتها ، و بالموازاة ألف كتابه الأول حول "الطريقة لتسهيل فهم التاريخ " في 1566 و كتابه حول النقود و الثروة سنة 1568 ، حيث جذب انتباه أمراء و ملوك فرنسا اللذين قربوه في مهام إدارية و استشارية ، لدى "شارل التاسع " ، ثم " "هنري الثالث" الذي ضمه لأكاديمية قصره في 1576 السنة التي نشر فيها مؤلفه المشهور " الجمهورية "، كما كان مقربا و مستشارا لدى الأخ الأصغر للملك الذي كان يدعو للتسامح الديني و الكف عن اضطهاد البروتستانت ، و أخيرا عينه الملك "هنري الرابع " نائب عنه في مدينة "لاوون" سنة 1589، التي توفي فيها في 1596 اثر وباء الطاعون الذي ضربها[108].

الظروف التي أثرت في الفكر السياسي عند جون بودان

- عايش بودان فترة التعصب الديني بين الكاثوليك و البروتستنت، الذي تسبب في فرنسا بحرب أهلية خلفت 30 ألف قتيل ، و بحالة من الفوضى الاجتماعية و السياسية ، احتاجت إلى دولة قوية تستطيع تحقيق الاستقرار و الوحدة الوطنية،
- مخالطته و مصادقته لملوك فرنسا ، و الخبرة السياسية التي اكتسبها من المهام التي أسندت إليه ،
- ضعف و تدهور الكنيسة الكاثوليكية ،
- التأثر بالإصلاح الديني البروتستانتي[109] ،
- النزاع في أوروبا على الحدود بين مختلف الممالك[110].

---

[107] CARBONNIER BURKARD Marianne,op cite p 8.

[108] Nemo Philippe « histoire des idées politiques aux temps modernes et contemporains » op cité, pp 79-80

[109] أباظة إبراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ، "تاريخ الفكر السياسي" ، مرجع سبق ذكره، ص 186

أهم مؤلفاته السياسية :

أولا :"الطريقة لتسهيل فهم التاريخ " (1566) ، الذي يمكن اعتباره تمهيدا لفهم مؤلف "الجمهورية".

ثانيا : " ستة كتب عن الجمهورية" (1576) ، و هو المؤلف الذي اشتهر به و يتكون من ستة أجزاء هي :[111]

- الكتاب 1 : يتناول فيه مفهوم السيادة التي تبنى عليها الجمهورية ،
- الكتاب 2 : أشكال ممارسة السيادة
- الكتاب 3 : بنية الأمة
- الكتاب 4 و 5 : سوسيولوجية الجمهورية (أعمارها، شروط توازنها و تماسكها ، وظائفها ، شروط سير الأنظمة، الطغيان و الثورة، ....)
- الكتاب 6 : الحياة الاجتماعية ، الملكية المثالية، بعض القضايا الإضافية مثل المالية و النقود، الضرائب[112] ..

افكاره السياسية

❖ الجمهورية

يدور الفكر السياسي ل "جون بودان " حول إشكالية بناء جمهورية قوية تستطيع أن تصمد أمام تأثيرات ثلاثة هي : سلطة الكنيسة ، الاضطرابات الداخلية و النظام الإقطاعي الإمبراطوري الهش الذي كان سائدا في اوروبا و القائم على العلاقات الأسرية العابرة لحدود المملكات و التي تحول دون بناء دولة قوية و مستقلة في كل مملكة ، لذلك قدم تصورا للجمهورية قائم على مفهوم جوهري هو مفهوم "السيادة" الذي نظّر له لتدعيم الحكم الملكي المطلق.

الجمهورية عند جون بودان هي : " الحكم العادل ، لأسر تربطها أشياء مشتركة ، و يتمتع هذا الحكم بالقوة ذات السيادة "[113]، إذن عناصر الجمهورية هي :

---

[110] NAY Olivier « histoire des idées politiques : la pensée politique occidentale de l antiquité à nos jours » , op cité , 2016, p 246

[111] Nemo Philippe , « histoire des idées politiques »,op cite, pp 79-80

[112] BODIN Jean « les six livres de la république » , édition et présentation de Gérard MAIRET, librairie générale française 1993 .

[113] NAY Olivier « histoire des idées politiques », op cite, p 252

- الأسر: الأسرة هي النواة الرئيسية و الوحدة السياسية الأولى للجمهورية عند بودان لأنها تجمع بين البعد الاقتصادي و السياسي في نفس الوقت ، فهو هنا ينقل المواطنة إلى الأسرة التي يمثلها الأب ، هذا الأخير يشكل مع باقي الآباء مجموع المواطنين ، فالجمهورية تحفظ الحقوق للأسر و ليس للأفراد، و خاصة منها حق الملكية الخاصة[114].

- الأشياء المشتركة التي تربط الاسر : و هي المصير الأمني المشترك والمصلحة المتبادلة التي تربط هذه الأسر من أموال، عقارات و قواعد عرفية ، .....

- الحكم العادل : تحكم الجمهورية سلطة سياسية تتميز بالعدالة التي يجعل منها بودان شرطا رئيسيا للحكم الملكي الصالح .

- السيادة المطلقة و المستمرة على اتخاذ القرار و وضع القوانين إلى إن تنتهي الدولة أو تستعمر مثلا .

❖ **السيادة**

السيادة هي المفهوم المركزي الذي تدور حوله نظرية بودان في كتابه "الجمهورية"، حيث يعتبر أول من كتب عن هذا المفهوم الذي أصبح يشكل مبدأ جوهري في النظرية السياسية و الدستورية[115]، و اعتبر بودان بان السيادة هي العنصر الرئيسي الذي تبنى عليه قوة الدولة سواء في الداخل او في الخارج ، و تعني السيادة عنده : **"صفة التفرد المطلق و المستمر بسلطة اتخاذ القرار"** ، لذلك فهي :

- غير قابلة للتجزئة ،

- دائمة و مستمرة و تنتقل بالوراثة من اجل حفظ الاستمرارية ،

- تنبع من الإرادة المطلقة لصاحبها ، فهي أصلية لا تستمد من احد و لا تخضع لأحد، ليست مسئولة أمام احد ،

- تفصل في كل القضايا ،

- تشمل كل أفراد الجماعة السياسية ،

[114] سباين جورج " تطور الفكر السياسي " الجزء الثالث ، ترجمة راشد البراوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.م.ن) ، (د.س.ن) ، ص115
[115] نفس المرجع ، ص 111 .

- غير تعاقدية مع الرعية ، لان التعاقد يقضي على السيادة [116] .

❖ **السيادة للملك**

- اهتم بودان بتطوير مفهوم السيادة بهدف تقوية مركز الملك ، فهو يؤمن بان النظام الملَكي هو الشكل الأمثل للتعبير عن مبدأ السيادة ، لذلك فقد قرَن السيادة في "الجمهورية" بسلطة الملك لأنه ممثل الله في الأرض ، و لأنه يمارس الإرادة السياسية بطريقة عادلة.

- لا يحتاج الملك في ممارسة سيادته إلى اعتراف الشعوب أو الجيران ، و سيادته ليست سيادة الدولة لأنه هو الدولة .

- يمارس الملك سيادته عمليا عبر وضع القوانين ، و يعني ذلك انه يتمتع ب:

☜ حق وضع القوانين، الإبقاء عليها، نقضها ، تغييرها او إلغائها ، مع الاحتفاظ بحق الفوقية عليها،

☜ حق اتخاذ قرار الحرب و السلم ،

☜ حق تعيين أعوان الدولة ،

☜ حق الحكم النهائي في القرارات المصيرية،

☜ حق العفو .

رغم أن بودان طور أفكاره في اتجاه منح السيادة المطلقة للملك إلا انه في الأخير وضع بعض الاستثناءات التي تحد من سلطة الملك ، وهي :

- احترام القوانين الإلهية ،

- احترام القوانين الطبيعية (الحريات الفردية و الملكية الخاصة) [117]،

- الاستعانة بمجلس العقال من اجل الاستشارة و ليس لاقتسام السيادة ،

- عدم التفرد بقرار الضرائب ،

- عدم التلاعب بالعملة النقدية للمملكة ،

- عدم التلاعب بممتلكات التاج الملكي [118] .

[116] Nemo Philippe « histoire des idees politiques... », op cite, p 85-87

[117] سباين ، المرجع السابق ، ص 100 .

❖ **تصنيف نظم الحكم**

← **السيادة كمعيار لتصنيف الأنظمة:**

يرى بودان بان المعيار الأنسب لتصنيف أنظمة الحكم هو معيار السيادة على اتخاذ القرار السياسي ، لأنه المعيار الأوضح و الأبسط للفهم ، فإذا كانت السيادة في يد شخص واحد فهي ملكية ، و اذا كانت في يد اقليه فهي ارستقراطية ، و إذا كانت في يد الشعب فهي ديمقراطية، و يقدم في كتاب الجمهورية رأي مفصل حول الأنظمة الثلاثة :

النظام الديمقراطي : يرى بأنه من المفروض إن يكون الأحسن لانه يهدف الى العدالة ، لكنه في الحقيقة نظام تسوده الفوضى بسبب كثرة الآراء و تفتت السيادة فيه ، و يقول بان الشعب في الحقيقة هو "حيوان متوحش " ،" طفل " و "مريض"[119] ، لذلك فلا يمكن أن يحافظ على الاستقرار في النظام الديمقراطي .

النظام الارستقراطي : يقول بودان بان الشرف هو احد مقومات الحكم الجيد ، لكنه لا يكفي لان الارستقراطية مثلها مثل الديمقراطية تجزئ السيادة لتقتسمها مجموعة من الأشخاص و إن كانت قلة ، و تعدد الآراء يؤدي إلى الاختلاف و النزاعات .

النظام الملكي : و يعتبره أحسن الأنظمة ، فرغم أن النظام الملكي قد يتحول حسب شخصية الملك و طباعه ، الا إنه النظام الوحيد الذي يضمن تطبيق السيادة و التي تشترط أن تمارس من قبل شخص واحد يقرر مثل الأب في الأسرة و مثل الرأس في الجسم ، و هذا الوضع لا نجده الا في النظام الملكي الذي يجب إن تنتقل السلطة فيه عن طريق الوراثة الذكورية من اجل حفظ مبدأ الاستمرارية في السيادة .

و في الاخير ينتقد بودان الأنظمة المختلطة التي أثنى عليها سابقيه من فلاسفة ، فيقول بان تقاسم السلطة بين الفئات الاجتماعية يعني تفتت السيادة الذي يؤدي إلى كثرة الصراعات و إضعاف الدولة، فينعت النظام المختلط بالنظام السخيف .

← **القانون كمعيار لتصنيف الأنظمة :**

بالإضافة إلى السيادة التي يعتمدها بودان كمعيار رئيسي لتصنيف الأنظمة و كذلك لاختيار النظام الأفضل ، يقدم تصنيفا آخر يقوم على القانون كمبدأ في الحكم ، فيقول بان هناك ثلاث أنواع من القوانين يؤدي احترامها من عدمه إلى تصنيف أنظمة الحكم ، هي القوانين الإلهية ، القوانين الطبيعية و قوانين الجمهورية التي يصدرها صاحب السيادة ، و التي تعطي صنفين من الأنظمة :

---

[118] Nemo Philippe « histoire des idees politiques... »,op cite pp 82-90

[119] Ibid p 95

الأنظمة الطاغية : التي لا توجد فيها قوانين و لا تحترم فيها القوانين الإلهية و لا الطبيعية ، هنا تنتفي السيادة عن الحاكم و يجوز محاربته ، كما يمكن عزله أو قلبه بواسطة حاكم ذو سيادة من دولة أخرى .

الأنظمة الصالحة : التي تحترم القوانين الإلهية و الطبيعية و التي يكون فيها الحاكم عادل سواء وضع قوانين تكرس حكمه ام حكم بدون قوانين و لكن بعدالة[120].

❖ **التغير في نظم الحكم**

لم يتعمق بودان في مسألة تغير الأنظمة و دورانها بالشكل الذي قدمه سابقيه لأنه لا يؤمن بوجود منطق واضح لذلك ، باستثناء تركيزه على النظام الملكي الذي يرى بأنه قد يتغير إلى الارستقراطية في حالة التطور الطبيعي و إلى الديمقراطية في حالة الثورة ، و في المقابل قدم مجموعة من العوامل التي قد تتسبب في تغير أنظمة الحكم ، هي :

- التغير في السيادة
- التغير في العادات و التقاليد
- الديناميكية التي تحدثها الفئة السياسية
- الظلم الاجتماعي
- الحروب الأهلية
- صراع الطبقة الحاكمة .

يشدد بودان على أهمية الاستقرار السياسي في الحفاظ على قوة الدولة ، و لا يحبذ التغيير لأنه ضار ، كما يؤكد على أهمية ذكاء الحاكم و حنكته في إدارة الاضطرابات بواسطة الإصلاح و تغيير أساليب حكمه[121].

رابعا : العقد الاجتماعي عند "توماس هوبز " و فلسفة الحكم الفردي المطلق

[120] ibid. p 99

[121] أباظة إبراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ، "تاريخ الفكر السياسي" ، مرجع سبق ذكره ، ص 194.

هوبز فيلسوف انجليزي ولد في "ملمسبري" الانجليزية سنة 1588 في اليوم الذي حاولت فيه اسبانيا الكاثوليكية غزو انجلترا البروتستانتية ، حيث ولدته أمه في حالة من الذعر إلى درجة انه ذكر في احد كتبه بأنه ولد مع أخ توأم له هو الخوف .

ينتمي هوبز إلى عائلة متوسطة الحال ، أبوه كان رجل دين ، حرص على تعليمه إلى إن التحق بجامعة أكسفورد ليتخصص في الفلسفة .

بدأ حياته المهنية كمدرس لأبناء بعض العائلات النبيلة في مدينته، و من ثم قضى جل شبابه كأستاذ مرافق لهؤلاء في أسفارهم حول أوروبا ما بين سنة 1610 إلى 1637 ، أي من عشرينات عمره إلى نهاية الأربعينات ، حيث كانت أوروبا تعيش حالة مختلطة من الصراعات و من النهضة الفكرية و الثقافية في نفس الوقت ، فالتقى و اختلط هناك بعدة مفكرين و علماء مثل غاليليو الذي أكد نظرية مركزية الشمس ، و أثرت هذه الرحلات في تعميق معلوماته و معارفه الفلسفية لاسيما في الرياضيات و المنطق و ساعدته على توسيع افقه و نظرته للواقع السياسي بعد عودته إلى انجلترا .

- عاد هوبز إلى انجلترا عام 1639 ، لكن عودته هذه كانت قصيرة جدا ، حيث واكبت تدهور الأوضاع السياسية في انجلترا من جراء الصراع على السلطة السياسية بين البرلمان و الملك الشيء الذي أدى به إلى العودة إلى باريس مرة أخرى سنة 1640 ، ليراقب الأوضاع من هناك و هو في صحبه أصدقائه المفكرين.

- بدأت الحرب الأهلية في انجلترا سنة 1642 او ما يسمى كذلك بالثورة الكبرى و انتهت سنة 1649 بإعدام الملك شارل الأول و إحلال جمهورية كراموبل . في نفس السنة هربت العائلة الملكية إلى فرنسا ، حيث كان متواجدا هوبز و وظفته أستاذا للأمير شارل الثاني ابن شارل الأول المعدوم.

- ألف هوبز معظم و أهم كتبه السياسية بعد سن الخمسين في الفترة التي كان متواجدا فيها في باريس أي بين 1640 و 1651 ، حيث عاد إلى انجلترا و نشر كتابه المشهور "التنين" الذي أثار السخط حوله و اتهم بسببه بالكفر ، فانعزل عند احد أصدقائه إلى أن سقطت جمهورية كراموبل سنة 1660 بسبب الفوضى التي سادت انجلترا ، و عادت الملكية بتنصيب شارل الثاني على العرش و الذي استقبل أستاذه هوبز في بلاطه و خصص له راتبا

و سانده ضد أعدائه، فلم يكتب شيئا هاما في السياسة بعد ذلك إلى أن توفي سنة 1679عن عمر 91 سنة[122] .

الظروف التي أثرت في فكره

- انتشار البروتستانتية منذ إن اعتبرها الملك "هنري الثامن " الدين الرسمي للمملكة في 1534،
- محاولة اسبانيا غزو بريطانيا في السنة التي ولد فيها هوبز،
- الحروب الدينية و الفوضى التي سادت أوروبا،
- الحرب الأهلية في انجلترا و إعدام الملك شارل الأول ،
- اللقاءات مع المفكرين خلال أسفاره إلى أوروبا (غاليلي و ديكارت..)،
- اختلاطه بالنبلاء و الملوك ،
- الخوف الذي ميز شخصيته.

مؤلفاته

ألف هوبز جل و أهم كتبه بعد سن الخمسين و هو في باريس ، فقد كتب في الفلسفة و الدين و السياسة و الرياضيات و الأخلاق و الهندسة ، لكن يمكننا عرض اهم كتبه السياسية في هذه العناوين المتسلسلة :

- عناصر الحق و القانون 1640
- الطبيعة البشرية 1640
- المواطن 1642
- التنين 1651
- حول الحرية و الضرورة و الحظ 1654
- الجسم السياسي 1655[123]

[122] نفس المرجع ، ص 198

[123]Nemo Philippe « histoire des idées politiques..» op cité, p 138

و يعتبر مؤلفه "التنين " " Léviathan " ، أهم مؤلف سياسي له على الإطلاق لتضمنه لنظريته حول الحكم المطلق و حول العقد الاجتماعي ، هذا إلى جانب كتابه "المواطن" الذي يعتبر تمهيدا لأفكاره السياسية في "التنين" ، هذان الكتابان اللذان تم حرقهما في جامعة أكسفورد بعد وفاته بأربعة سنوات .

كتاب التنين أو "الليفيتان"

التنين مخلوق أسطوري ، ذكر في الإنجيل يشبه فرس النهر و يمثل في الأسطورة القوة و الشر، واستعمله هوبز كصورة غلاف لكتابه "الليفيتان" ، ليعبر مجازا عن قوة و سلطة الملك المطلقة.

تظهر الصورة الجزء الأعلى من جسمه الذي يتكون من عدد كبير من الأفراد الصغيرة التي يحتويها هذا الملك القوي .

يرفع بيده اليمنى السيف و بيده اليسرى الصليب أو رمز سلطة الدين ، بمعنى انه يجمع السلطتين الدنيوية و الدينية بدون منازع[124].

افكاره السياسية

❖ نظرية العقد الاجتماعي

اولا : الحالة قبل الاجتماعية أو الطبيعية : هي الحالة ما قبل بداية اجتماع البشر ، و يحكمها سلوك الإنسان الأناني الذي يبحث عن مصلحته القصوى بحيث يصبح الإنسان ذئبا للإنسان ، وتصبح القوة و الدهاء هي التي تحدد العلاقة بين البشر، و تدفعهم للقتال و الموت[125].

ثانيا : أسباب الاجتماع : هي العاطفة و العقل ، سبب العاطفة هو الذي يمثل الخوف من الآخر و من الموت ، و سبب العقل البشري هو القدرة على حساب المصلحة الشخصية و إيجاد الحلول اللازمة ، و مادام البقاء هو المصلحة هنا، فقد اهتدى عقل الإنسان إلى فكرة التفاهم مع الأخر لتجنب مخاوفه منه[126].

ثالثا : العقد الاجتماعي أو الحالة المدنية : طبقا لما سبق فالبشر بسبب خوفهم من ناحية و قدرتهم على حساب مصلحتهم من ناحية أخرى ، اهتدوا للاتفاق على العيش معا بدون خوف بشرط التخلي عن حقوقهم الطبيعية و حرياتهم و أنانياتهم ، ثم اتفقوا على الخضوع لشخص يعلو على الآخرين و تُنقل إليه الحقوق و الإرادة الطبيعية التي تنازلت عنها الجماعة لتتحول إلى إرادة واحدة و حرية واحدة غير

[124] أباظة إبراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ، المرجع السابق ص 197
[125] CAMPAGNA Norbert « Thomas HOBBES : l'ordre et la liberté », ed MICHALON, paris 2016, p30
[126] Ibid p 34

متعارضة و لا متضاربة تعلو فوق المصالح الفردية و الأنانية التي كانت تحكم الحالة الطبيعية للجماعة لتنقلها بفعل العقد الاجتماعي إلى حالة تحكمها قوانين مدنية [127]

نستخلص من فلسفة هوبز بان المصلحة من العقد الاجتماعي هي مصلحة الجماعة و ليست مصلحة الحاكم ، فقد اتفقت هذه الجماعة على العيش معا بدون خوف شرط التخلي عن الحقوق و الحريات الطبيعية و الخضوع إلى حاكم يمارس عليها السلطة المطلقة ، فبذلك يتميز العقد الاجتماعي عند هوبز بما يلي :

- لا يلتزم الحاكم بأي شيء للجماعة لان العقد قد قام بينها و ليس بينها و بين الحاكم ، فقد قررت الجماعة التنازل عن حقوقها الطبيعية مسبقا،
- لا تملك الجماعة إرادة مشتركة لأنها في الحقيقة عبارة عن مجموع إرادات فردية متعارضة غير قابلة للجمع ، لذلك فلا يستمد الحاكم إرادته منها و له إرادته الخاصة و المستقلة،
- تتنازل الجماعة طبقا للعقد الاجتماعي عن حق مقاومة الحاكم،
- التنازل عن الحقوق للحاكم المطلق هو تنازل نهائي لا رجعة فيه و لا مفاوضات فيه ، لان هوامش التصرف الحر و إبداء الرأي ستؤدي طبيعيا إلى التضارب و من ثم العودة إلى الحالة الطبيعية،
- وظيفة الحاكم ليست تحقيق السعادة و إنما الحد من مخاطر الأنانية و حفظ السلام للجماعة.

❖ **القوانين الطبيعية** : طبقا لما سبق يعطي هوبز نظرة جديدة للقوانين الطبيعية التي يرى بأنها تنبع من التوفيق بين عاطفة الخوف و البحث عن المصلحة ، فتتحول القوانين نتيجة للانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية من قوانين حرية إلى قوانين خضوع ارادي [128] من اجل تحقيق مصلحة طبيعية هي معالجة معضلة الخوف .

❖ **الحاكم التنين**

سيادة الحاكم : الحاكم في نظر هوبز هو الإله البشري الذي يختزل كل الأشخاص في شخصه و كل الإرادات و الحريات في إرادته و حريته ، و يمارس السيادة المطلقة ، فإذا كان بودان صاحب مفهوم

[127] PRELOT Marcel et LESCUYER Georges « histoire des idées politiques » , op cité,p 335

[128] NAY Olivier « histoire des idées politiques .....» op cité, p 272-271

السيادة و المدافع عن السيادة المطلقة للحاكم ، حددها بضرورة تقيد الحاكم بالقوانين الطبيعية و الإلهية ، فان هوبز :

- شدد مثل بودان على سيادة الحاكم في وضع القوانين و نقضها ، فما يضعه من قوانين يعتبر عادل و يفرض على الجميع حتى و إن لم يبدو عادلا،
- حتى العادات و التقاليد فان الحاكم المطلق هو الذي يحدد التي تنفع الناس و التي لا تنفعها ،
- لكن هوبز ذهب إلى ابعد من ذلك فجعله فوق القوانين الطبيعية لان الأشخاص تخلوا عنها لصالحه ، فالملكية مثلا لم تعد حقا طبيعيا بعد التنازل الذي قدمه الأشخاص للحاكم المطلق الذي يصبح في هذه الحالة المالك الوحيد أما الآخرون فيتمتعون بحق الاستغلال فقط الذي قد يفقدوه في أي لحظة إذا رغب الحاكم المطلق في ذلك ،
- و كذلك القوانين الدينية ، لا توجد اي جهة تمليها على الحاكم المطلق ، فهو الذي يفهمها و يفسرها و يملي كيفية تنفيذها ، إذ يجب إن تتفق مع الصالح المدني و الوضعي قبل كل شيء ،
- يتمتع الحاكم المطلق بحق الرقابة عن طريق إقامة شرطة ثقافية تقضي على كل فكر معارض له لتجنب الثورة و الاضطراب،
- عليه نشر الفكر الموحد للآراء و التأثير على مضمونه بما يخدم الوفاق .

واجبات الحاكم :

- على الحاكم المطلق إن يمارس كل سيادته و لا يترك منها شبرا لأحد لأنه بذلك يضعف سلطته و منه الدولة،
- عليه المحافظة على الأمن و السلام لأنه جوهر العقد الاجتماعي،
- عليه الامتناع عن إصدار القوانين غير الضرورية.

ضعف الحاكم : اذا أصيب الحاكم بالضعف لأي سبب فيصبح غير قادر على احتواء كل الإرادات المتضاربة ، و في هذه الحالة ينحل العقد الاجتماعي و يعود المجتمع إلى حالته الطبيعية الأولى إلى إن يجد تنينا آخر[129] .

❖ **أشكال الحكومات**

[129] HOBBES Thomas « LEVIATHAN » trad. .Gérard MAIRET, éd Gallimard , paris 2014, pp 322-337

يقول "هوبز" بان التصنيف الوحيد لأنظمة الحكم هو التصنيف القائم على معيار عدد الحكام ، و بالتالي فالأنظمة هي ثلاث : نظام الفرد الواحد و هو الملكية ، نظام القلة و هو الارستقراطية و نظام الجميع و هو الديمقراطية ، و يقاسم "هوبز" "بودان" في رفض الأنظمة المختلطة لأنها تجزئ السيادة غير القابلة لذلك ، فحتى لو كانت الأنظمة أنظمة قلة أو أنظمة أغلبية يجب إن تكون في يد جهة واحدة ، لذلك فهو يفضل النظام الملكي مبررا ذلك بان :

- التضارب الطبيعي بين الإرادات البشرية و ضرورة تخطيها لا يحتمل أكثر من شخص واحد مطلق في السلطة، لا تتضارب مصلحته و لا آراؤه مع احد .
- المصلحة العامة للأشخاص هي في وجود مصلحة واحدة بعيدة عن مصالح الأفراد و هي مصلحة الحاكم المطلق القوي ، الذي يجعل من قوة و رفاه رعاياه جزء من قوته[130].

❖ **العلاقات بين الدول**

بقيت تحكمها شريعة الغاب لان لكل منها سيادة لا يمكن إن تتنازل عنها لغيرها، و بالتالي تصبح كل دولة ذئب بالنسبة لغيرها.

❖ **الخلاصة**

- أعطى نوع جديد من المشروعية لا تقوم على الحق الإلهي ، و إنما على تبرير عقلي يستند إلى المصلحة العامة في السلطة السياسية ، لكنه يفتقر إلى تبرير مشروعية التنازل لحاكم دون آخر.
- رفع سقف السيادة إلى مستوى أعلى من الذي وضعه بودان بتحريره الحاكم المطلق من القوانين الطبيعية و الدينية ، فاقترب بذلك أكثر من واقعية مكيافيللي.
- نظر عبر مبدأ توحيد فكر المجتمع و الرقابة عليه للنظام الشمولي ، إلى درجة انه نعت بأب الشمولية المعاصرة.

خامسا : العقد الاجتماعي عند" جون لوك "و بروز الفلسفة الليبرالية

جون لوك هو طبيب و فيلسوف انجليزي ولد ببلدة "رينجتن" بجنوب غرب انجلترا سنة 1632، أبوه كان يعمل في سلك القضاء (كمسهل إجراءات) و شارك في الحرب الأهلية مع المؤيدين للبرلمان ضد السلطة الملكية .

[130] ibid. p 197-200

عايش لوك الحرب الاهلية الاولى في انجلترا من سن العاشرة الى سن السابعة عشرة و شهد اعدام الملك شارل الاول سنة 1649.

تعلم في اول شبابه اللغة اللاتينية و اليونانية ، و اهتم بقراءة كتب الفلسفة اليونانية ، ثم التحق بجامعة اكسفورد و هو في سن العشرين ، و انجذب في هذه المرحلة الى دراسة الطب و العلوم الطبيعية اكثر من اهتمامه بالفلسفة ، و نظرا لتفوقه ، بقي في اكسفورد كموجه للطلبة الجدد ، خاصة و قد توفيت كل اسرته في تلك المرحلة .

سنة 1665 شغل و لمدة قصيرة منصب سكرتير دبلوماسي ، ثم وظفه احد كبار البرجوازية الانجليزية سكرتيرا خاص له و أستاذ لابنه و طبيب لعائلته ، حيث كان هذا الرجل من مؤسسي ما سيسمى فيما بعد الحزب الليبرالي.

لما بلغ الاربعين من عمره ، سافر لوك الى فرنسا و بقي فيها ثلاث سنوات حيث مارس وظيفة تدريس ابن احد النبلاء الانجليز الموجودين هناك ، و احتك بالأوساط الفكرية الفرنسية مما ادى به الى العودة للاهتمام بالفلسفة و القضايا السياسية و التمعن في الاشكاليات السياسية المطروحة في اوروبا بشكل عام و في انجلترا بشكل خاص[131].

بعد عودته الى انجلترا في 1675 ، كان قد بلغ مستوى من النضج السياسي و بدأت تتجذر قناعاته السياسية الرافضة للحكم الملكي المطلق ، لكنه لم يكتب شيئا في هذه المرحلة لان الملكية التي كانت تتلفظ آخر أنفاسها مازالت متمسكة بالسلطة ، فاكتفى بتأليف كتاب عن أسفاره في فرنسا ، و خلال اضطراب 1685 لمحاولة الإطاحة بالملك جاك الثاني، سافر إلى هولندا ، و لم يعد إلا بعد السقوط النهائي للحكم الملكي المطلق و قيام الملكية البرلمانية اثر ما يسمى بالثورة المجيدة سنة 1688 ، حيث استطاع إصدار كتبه التي الفها حول الحكم المدني و التي تحتوي على اهم افكاره السياسية.

شغل لوك مناصب حكومية عرضت عليه في النظام الجديد ، لكن ابتداء من 1691 انسحب ليعيش عند صديقة له من الطبقة النبيلة بسبب ضعفه الصحي و تفرغ للنشاط الفكري إلى إن توفي سنة 1704 عن عمر يناهز 72 سنة[132].

<u>الظروف التي أثرت في أفكاره</u>

[131] أباظة إبراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ،"تاريخ الفكر السياسي " ، مرجع سبق ذكره، ص 210
[132] نفس المرجع ص 211

- نشأ في بيئة من الأزمات السياسية بسبب الصراع بين سلطة الملك و البرلمان ، حيث عايش الحربين الأهليتين في انجلترا ، الأولى و الثانية و التي تدور حول إشكالية مشروعية سلطة الملك على المجتمع ، فإذا كان هوبز قد جاء في صف الملوك من شدة خوفه من الاضطرابات، فان لوك سيتخذ موقفا مغايرا يحطم به المشروعية التي منحها هوبز للسلطة المطلقة .
- نشأ في بيت معارض لسلطة الملك ، حيث شارك والده في الحرب الأهلية الأولى سنة 1942 و كان في صف البرلمان.
- تقاربه و صداقته مع الليبرالي "اللورد أشلي " الذي يعتبر من مؤسسي الحزب الليبرالي العتيق في انجلترا .
- الخبرة السياسية التي اكتسبها من خلال منصبه كسكرتير سفارة .
- أسفاره إلى فرنسا و اختلاطه مع مثقفيها .

تكوينه العلمي الذي منحه تفكيرا منطقيا و واقعيا في رؤية الأمور .

مؤلفاته

كتب جون لوك في التسامح متأثرا بالصراعات الدينية بين البروتستانت و الكاثوليك ، و كتب في العلاقة بين السلطتين الدينية و المدنية و في الحكم المدني ، كما كتب في الفلسفة و الطرق البيداغوجية في التعليم ، فكانت أهم مؤلفاته حسب الإصدار، (مع التحفظ على بعض السنوات نظرا لاختلاف المراجع فيها) ، و هي :

- محاولة حول التسامح 1667
- حول الفرق بين السلطة الدينية و السلطة الزمنية 1674
- كتاب السفر إلى مونبلييه و جنوب فرنسا 1676-1679
- رسالة في التسامح 1686
- محاولة حول الفهم البشري 1690
- الكتاب الاول و الثاني حول الحكم المدني 1690

- كتابات حول النقود 1692[133].

و يعتبر الكتابين الأول و الثاني حول الحكم المدني هما المرجعين لافكاره السياسية و خاصة الكتاب الثاني .

أفكاره السياسية

❖ العقد الاجتماعي أو نظرية الدولة المحدودة

اعتمد لوك على فكرة العقد الاجتماعي مثل هوبز، فتحدث عن الحالة الطبيعية و انتقال البشر عبر العقد الاجتماعي الى الحالة الاجتماعية اوالمدنية ، لكنه قدم تحليلا مختلفا للحالة الطبيعية ، لدوافع الانتقال الى الحالة الاجتماعية ، و لوظيفة العقد الاجتماعي ، فكانت نظرته لنمط الحكم تختلف عن نظرة هوبز:

أولا : الحالة الطبيعية

- الحالة الطبيعية هي حالة يتصرف فيها الأشخاص بحرية و يتمتعون فيها بالمساواة التامة في ممارسة هذه الحرية التي تشمل حرية الحياة ، حرية الملكية ، حرية السلوك بشكل عام ، .....، فهي حالة من الفردانية لا يلتزم فيها احد بأي قانون اجتماعي و لا يقع تحت سلطة شخص آخر.
- هذه الحالة الطبيعية ليست حالة من الخوف و الذعر، يتعدى فيها الاقوياء على الضعفاء مثل الحيوانات الغابية كما يقول هوبز، و انما هي حالة من السلم و التعاون و الانسجام ، فالإنسان ليس شرير بطبعه لأنه يتميز بالعقل الذي يمكنه من حساب حدود حرياته بنفسه ليحقق السلم و الانسجام مع الآخرين ، فهو يدرك بان الحفاظ على حياته و ممتلكاته يفرض عليه احترام حياة الآخرين و ممتلكاتهم[134].
- بالإضافة إلى ذلك فان الاحترام و الالتزام شعور موجود قبل وجود العقد الاجتماعي ، نظرا لارتباطه بالأسرة و خاصة السلطة الأبوية، فقد تعود الإنسان على احترام والديه دون إن يفقد حريته الطبيعية التس لا تتناقض مع هذا الاحترام [135] .

[133] Nemo Philippe « histoire des idées politiques ..... » , op cité, p307

[134] FONBAUSTIER Laurent ,« LOCKE John : le droit avant l'etat », ed. Michalon, paris ,2004, P 15

[135] LOCKE « Traité du gouvernement civil » , trad. par MAZEL David, éd électronique, coll. classiques des sciences sociales, P 60

إذن إذا كانت الحالة الطبيعية حالة من السعادة تعمها الحرية و حقوق الملكية و الاحترام و السلام ، فلماذا اذن ذهب البشر الى العقد الاجتماعي لتفرض عليهم القيود او السلطة السياسية ؟

ثانيا : دوافع العقد الاجتماعي

- غياب سلطة الردع و العقاب: يقول "لوك" بانه لا يمكن لإنسان عاقل إن يقبل التخلي عن الحالة الطبيعية من اجل الحالة التعاقدية ، غير إن الحالة الطبيعية تفتقد لعنصر هام و هو تنظيم العقاب و تنفيذه على من يخرق القوانين الطبيعية (فهو يعترف اذن بوجود اشخاص يمكنهم التعدي عن الحقوق الطبيعية لاشخاص آخرون) ، و في هذه الحالة الطبيعية يقول بان العقاب ينفذ بطريقة فوضوية لان الضحية ذاتها او اهلها هم من يقومون بتصور و تنفيذ القصاص [136] .

- ظهور النقود : يقول "لوك" بان النقود اصبحت تساعد الانسان في تخزين الفائض الذي لا يمكنه استهلاكه فبدل تخزين مواد استهلاكية اصبح يخزن النقود فتزداد ثروته و ملكيته ، لكن هذه الوضعية تزيد من توسيع الفوارق الاجتماعية ، الشيئ الذي يدفع الى ارتفاع التهديدات على السلم الاجتماعي ، و يرفع في نفس الوقت الحاجة الى سلطة تنظم العقاب ضد التعدي على الآخر و ملكيته [137] .

ثالثا : العقد الاجتماعي و الحياة المدنية

اذن بناءا على نظرة لوك الخاصة للحالة الطبيعية و النقائص القليلة التي تشوبها لكي تكون مكمولة السعادة ، يصبح هدف العقد الذي ينقل الناس من الحالة الطبيعية الى الحالة الاجتماعية او المدنية هو اعادة انتاج نفس هذه الحياة الطبيعية السعيدة مع تنظيم العقاب فيها و ليست إعادة نظر في القوانين الطبيعية ، بالتالي فالعقد الاجتماعي عند لوك هو :

- التاكيد على احتفاظ الافراد بحرياتهم و حقوقهم الطبيعية (حق الحياة ، الحريات الفردية ، حق الملكية ...) التي لا يتنازلون عنها اثر هذا العقد كما قال هوبز .

- تنازل الاشخاص عن حقهم في القصاص لمعالجة مشكلة الفوضى التي كانت سائدة في العقاب،

[136] Nemo Philippe , "histoire des idées politiques ...", op cite, p 318
[137] Ibid . p 314

- تنصيب سلطة سياسية محدودة الصلاحيات ، و ليست مطلقة مثلنا ذهب إليه هوبز، وظيفتها هي تكريس الحريات و الحقوق الفردية و تنظيم سلطة العقاب و تنفيذه على كل من يفسد هذا النظام المستمد من النظام الطبيعي [138] ،

- الحاكم طرف في العقد و ليس خارجه او فوقه عكس ما ذهب اليه هوبز ، فهو ليس فقط لا يصنع القوانين بل و يخضع لها مثل باقي افراد المجتمع،

- السلطة السياسية تكتسب مشروعية الفوقية و الاستقلالية على الافراد الذين يلتزمون بها فقط في حالة احترامها لصلاحياتها في تنظيم القصاص و الحفاظ على الحريات و الملكيات و الصالح العام ، و تعديها لهذه الحدود بالعكس يعطي مشروعية للثورة عليها [139]،

- العقد الاجتماعي هو تنازل إرادي جزئي ، مشروط و ظرفي،

- قبول العقد الاجتماعي لا يشترط الاغلبية لكي تقوم الدولة ،

- لما يدخل فرد جديد للمجتمع السياسي يقبل بشرط عدم تنفيذ القصاص بنفسه و يعترف بالسلطة التي خول لها العقد القيام بذلك بدل الأشخاص .

❖ **نظرية الفصل بين السلطات**

يعتبر لوك وظيفة الدولة وظيفة محدودة و مكملة لسعادة الحياة الطبيعية ، اذ المطلوب منها فقط حماية الحريات و الملكيات الخاصة و تنظيم العدالة ، و اي تجاوز في هذه الصلاحيات يجعل العودة الى الحالة الطبيعية وضع افضل ، لذلك احاط لوك هذا النموذج للدولة المحدودة بضمانات تمنع السلطة السياسية من التضخم و هي ضمان الفصل التام بين السلطات ، فيقول :

- هناك سلطات ثلاث هي : اولا سلطة التشريع ، ثانيا سلطة تنفيذ القوانين من قبل الادارة و العدالة و ثالثا سلطة العلاقات مع الدول او ما سماها بالسلطة الفدرالية، و يعتبر لوك السلطة التشريعية اهم سلطة و اصل السلطات الاخرى ، لذلك فهو يفضل النظام البرلماني الذي اصبح ساريا في بريطانيا منذ ذلك الحين .

[138] PRELOT Marcel et LESCUYER Georges « histoire des idées politiques » , op cité,p 380

[139] NAY Olivier « histoire des idées politiques : la pensée politique occidentale de l antiquité à nos jours » , ed op cité , paris, 2016, P 317

- ضرورة الفصل بين السلطة التي تضع القوانين و السلطة التي تنفذها لكي لا تكون سلطة التشريع و التنفيذ بيد جهة واحدة، و ضرورة إن تكون السلطة التشريعية متغيرة لكي لا يسيطر عليها نفس الاشخاص .

سلطة العلاقات الدولية هي التي تعنى بالحرب و السلم، و لا مانع ان تجمع مع السلطة التنفيذية و بالتالي يصبح هناك سلطتين مهمتان في النظام السياسي [140] .

آثار فكره

- تعتبر نظرية العقد الاجتماعي عند لوك بمثابة المرجعية العلمية للثورة الكبرى في انجلترا التي اطاحت بالحكم المطلق و اقامت الملكية البرلمانية
- اثرت افكار لوك في تغذية الثورات الفرنسية و الامريكية التي اتت بعد الثورة الانجليزية
- اعتبر لوك من مهندسي الليبرالية السياسية
- ساهم لوك في وضع مفهوم الدولة المعاصرة التي يعرفها المنظرون بانها : " جهاز الهيمنة على القوة القسرية المنظمة " ، بحيث يقول فيه المفكر السياسي هارولد لاسكي بان الدولة عند لوك هي "شركة ذات مسؤولية محدودة".

سادسا : العقد الاجتماعي عند "جان جاك روسو" و فلسفة سيادة الشعب

ولد جان جاك روسو سنة 1712 بجنيف من عائلة متواضعة ، توفيت والدته بعد إن وضعته بتسعة أيام ، فرباه والده إلى سن العاشرة ثم ترك سويسرا و لم يعد ابدآ ، فبقي روسو يتيم الوالدين عند عمه الذي حاول تعليمه عدة مهن دون جدوى .

تميز روسو بسلوك المغامرة و الأخلاق المتلونة ، فخرج من مدينة جنيف و هو في سن 16، و قضى سنوات شبابه الأولى حتى بداية الثلاثينات تائها في رحلة طويلة يبحث فيها عن لقمة العيش و يبحث فيها عن نفسه ، فتنقل من شخص إلى آخر بين سويسرا و فرنسا عاش فيها تجارب متنوعة أعطت شخصيته طابعا مستقلا و غير ملتزم .

اعتمد روسو على ذكائه و تكوينه الذاتي لنفسه في ميادين متفرقة من فلسفة و أدب و لغات و موسيقى و بعض العلوم الطبيعية للتمكن من اختراق المجتمع و إيجاد مكانة فيه ، و اختار إن يطور موهبته في

[140] أباظة إبراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ،" تاريخ الفكر السياسي "، مرجع سبق ذكره ، ص 219 .

الموسيقى حيث حاول التميز بكتابتها بالأرقام و الدخول بذلك إلى أكاديمية العلوم في باريس لكن دون جدوى ، و في 1743 استطاع بفضل إتقانه للغة الايطالية إن يجد وظيفة لدى سفير فرنسا في البندقية ، حيث انجذب إلى دراسة المؤسسات السياسية إلى جانب الاهتمام بالموسيقى الايطالية .

بعد سنة واحدة عاد إلى باريس بعد أن طرده السفير ، و اشتغل مهن متفرقة عند بعض نبلاء باريس من التدريس إلى السكرتارية ، كما اهتم بتأليف المسرحيات الموسيقية و شارك في مسابقتين علميتين لأكاديمية "ديجون" بين 1750 و 1755 من خلال مؤلفي " خطاب حول العلوم و الفنون" و " خطاب حول عدم المساواة بين الناس " اللذين اكسباه شهرة في الأوساط الباريسية الفكرية منها و النبيلة ، فتحسنت وضعيته الاجتماعية ، بحيث استأجر سنة 1756 إقامة مريحة بالقرب من باريس مكنته من تكثيف كتاباته ، حيث ألف سنة 1762 أشهر كتبه السياسية التي غذت فيما بعد فكر الثورة الفرنسية ، لكنها جلبت له عداء رجال الدين والسياسة ، فهرب مطاردا إلى النمسا ، ثم طرد، فهرب مرة أخرى إلى سويسرا ثم إلى انجلترا سنة 1766 .

عاد روسو إلى باريس تحت اسم مستعار حيث عاش من الكتابات الموسيقية إلى إن استضافه احد أصدقائه النبلاء في شمال فرنسا ، أين واصل باقي كتاباته و توفي معزولا سنة 1778 عن عمر 66 سنة إلى إن قامت الثورة الفرنسية فأعادت اعتباره و نقلت جثته إلى جانب الشخصيات التي خلدت تاريخ فرنسا[141] .

لم يُعرف روسو بالإلحاد لذي بدأ يتفشى لدى بعض المفكرين في فرنسا ، إلا انه عرف بالتذبذب الديني حيث انتقل من البروتستانتية إلى الكاثوليكية ثم عاد إلى البروتستانتية التي تركها في الأخير ، و عرف كذلك بالتذبذب في أخلاقه حيث تخلى عن أولاده الخمسة ، اللذين وضعهم في ملجأ عمومي منذ صغرهم.

مؤلفاته

ألف روسو كما هائلا من الكتب و الروايات و المسرحيات ، فكتب في الأدب و الموسيقى و العلوم الطبيعية و الفلسفة السياسية ، لكن أهم مؤلفاته في المجال السياسي هي :

- خطاب حول العلوم و الفنون (1750)
- خطاب حول أصول عدم المساواة بين البشر (1755)
- إميل أو حول تربية الأولاد (1762)

[141] Nemo Philippe « histoire des idées politiques ..... » op cité, p 802 .

- العقد الاجتماعي (1762)
- روسو يقاضي جان جاك (1776)[142].

و يبقى مؤلف العقد الاجتماعي أهم مؤلف سياسي لروسو حيث يتناول فيه نظريته السياسية حول الاجتماع المدني للبشر و الأصل الطبيعي للسلطة السياسية و دور القانون في الحفاظ على الإرادة العامة للشعب و النظم السياسية بشكل عام ، ويقدمه في أربعة أبواب:

- الأول : نظرية العقد الاجتماعي
- الثاني : حول السيادة و القانون
- الثالث و الرابع : حول أنظمة الحكم و ما يتصل بها من موضوعات.

افكاره السياسية

❖ نظرية العقد الاجتماعي

أولا : الحالة الطبيعية

ينطلق روسو من سؤال يقول فيه : "ولد الإنسان حرا ، فكيف حدث و أن أصبح مقيدا في كل مكان؟ " ثم يجيب : " لا اعرف " [143]، هذا انه لا يريد التعمق كثيرا في أسباب خضوع البشر للبشر ، و إنما التأكيد على إن البشر لا يجب إن يخضعوا للبشر بدون رضا ينبع من عقد اجتماعي عادل .

فيقول بان الإنسان قبل إن يعيش داخل المجتمع كان يتمتع بالسعادة القائمة على الحرية المطلقة ، على حب الذات و على القوة الجسدية ، حيث يلبي حاجياته بطريقة حرة و فردية دون الحاجة إلى الآخرين ، و بان الجميع متساوون في ممارسة حريتهم ، فالحرية و المساواة يشكلان أصل الحقوق الطبيعية للبشر و سبب سعادتهم في الحالة الطبيعية[144].

ثانيا : أسباب الانتقال إلى الحالة الاجتماعية

[142] Loc cité.

[143] ROUSSEAU J.Jaques « du contrat social ou principes du droit politique »,Mozambook, lieu N.D, 2001, p 9

[144] Ibid p 10

يقول روسو بان اكتشاف الملكية الخاصة و تطور النشاط الاقتصادي للبشر أدى إلى الصراع و التنافس بينهم ورفع من عقبات العيش في الحالة الطبيعية ، و طرح ضرورة ملحة أمام البشر للاتفاق من اجل الحفاظ على حياتهم و ممتلكاتهم[145].

ثالثا :طبيعة العقد الاجتماعي

انتقل البشر من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية عبر عقد اختياري يعبر عن اتفاق حر و ليس إجباري ، و يوافق فيه الفرد موافقة مطلقة على بنود العقد الاجتماعي دون إن تفرض عليه أي جزئية ، كما يمكن فك العقد إذا لم يعد يوفي بأهدافه.

فالعقد الاجتماعي هو المشروعية الوحيدة التي يمكن أن تبرر خضوع الجميع للدولة ، لذلك لا يمكن تصور مشروعيات أخرى مثل التي تبنى على الأبوية القائمة على النسب أو الشرف آو التفسيرات الدينية ، كما لا يمكن أن تبنى على القوة ، لان هذه الأخيرة تتغير و تنتقل من شخص إلى آخر و لأنها تشبه علاقة العبد بالسيد .

رابعا : الآثار المترتبة عن العقد الاجتماعي

- **يتنازل الفرد عن حقوقه السياسية للجماعة** ، فهو كانسان يبحث عن إرادته الخاصة و كمواطن يرضى بإرادة الجماعة و العقد الاجتماعي يحدث ذلك التوازن بين الاثنين ، بحيث تختفي إرادة الأفراد لتترك المكان **للإرادة العامة** التي تتحول إلى جسم سياسي هو الشعب الذي يعلو على الافراد فتصبح السيادة للشعب و ليست لشخص أو لأقلية .
- تتجسد هذه السيادة في **القوانين** التي تعبر عن الإرادة العامة (و ليس إرادة شخص أو أقلية) فتخضع لها الأفراد لصالح الجماعة .
- يتمتع فيها الأشخاص **بحرية** من نوع جديد تتماشى مع الحالة الاجتماعية التي تنازل فيها الأفراد عن الإرادة الخاصة القائمة على حب الذات والتصرف الحر المطلق ليتمتعوا بحرية ذات طابع اجتماعي تتمثل في المشاركة في صنع الارادة العامة ، ثم يخضعون لهذه الارادة العامة فقط التي لا مجال فيها للمصالح و الميول الشخصية ، و لا يخضعون فيها إلى الأشخاص .
- يتمتع فيها الأشخاص **بمساواة** اجتماعية تعوض المساواة الطبيعية و التي تعني المساواة في التنازل عن الحقوق الفردية فلا يحتفظ أي فرد بهذا الامتياز الطبيعي على حساب الأفراد الأخرى ، المساواة في صنع الارادة العامة ، و المساواة في الخضوع الي الإرادة الجماعية التي

[145] PRELOT Marcel et LESCUYER Georges « histoire des idées politiques » , op cité, p 408 .

تعطي لكل فرد نفس القوة أمام الآخرين ، و من ثم لا يمكن لأي شخص إن يكتسب مشروعية في التميز على الآخرين تؤهله في العلو عليهم ، فيصبح العلو الوحيد هو علو الإرادة الجماعية ،

- يتمتع فيها كل مواطن بصفة الحاكم و المحكوم ، **الحاكم** لان الإرادة العامة التي تعلو فوق الاشخاص تمثل الجميع و لا تمثل الأفراد ، **و المحكوم** لأنه يخضع للإرادة العامة التي تترجمها القوانين [146]

❖ **خصائص السيادة**

بناءا على فلسفة العقد الاجتماعي التي يقيمها روسو تعود **السيادة للشعب** الذي يمارسها عن طريق الإرادة العامة في المجال السياسي ، و يمنح روسو السيادة أربعة خصائص هي :

- **سيادة الشعب مطلقة** فهي سيادة على كل الفضاء لذي يخص الصالح العام .

- **سيادة الشعب غير قابلة للتنازل** ، لان التنازل عنها يفقد الشعب إرادته ، و النواب البرلمانيون ما هم إلا ممثلون للشعب و لا يمكنهم اخذ قرارات مصيرية مكان الشعب ، و كل قرار لا يقبله الشعب فهو باطل [147] .

- **سيادة الشعب غير قابلة للتقسيم** ، لان تقسيمها يفقد الإرادة العامة معناها فتصبح إرادة خاصة ، و الفصل بين السلطات ليس تقسيما للسيادة و إنما توزيعا للوظائف ، فالسيادة لا تجزأ [148]

- **سيادة الشعب لا تخطئ** لأنها تصدر القوانين من اجل الصالح العام التي لا تقبل النقاش من قبل الآراء الفردية ، فإذا اتخذ قرار باسم السيادة العامة يخضع له الأفراد[149] .

❖ **القانون**

يقدم روسو الخصائص التالية للقانون :

- الصيغة أو الأداة التي تترجم الإرادة العامة أو إرادة الشعب لتجعل منها إرادة مجسدة في الواقع ،

- الوسيلة التي تحفظ حرية المواطن بعد العقد الاجتماعي

- الوسيلة التي تحفظ العدالة بين الناس لأنه ينبع من الإرادة العامة التي تخدم المصلحة العامة و لا تخدم المصالح الخاصة و لأنه يطبق على الجميع و بنفس الصيغة .

[146] ROUSSEAU , op cite , p. 22-24
[147] Ibid . P 34
[148] Ibid. p 36
[149] Ibid. P 39

- الوسيلة التي تضع حد لسلطة الحاكم لأنه حاكم مكلف من قبل الإرادة العامة لتطبيق القانون فيصبح هو كذلك مقيد بالقانون

- الشعب هو صاحب السيادة و هو من يصنع القانون لكنه يحتاج إلى مشرع في ذلك بشرط إن يشرع هذا الأخير وفقا لما يريده الشعب[150].

❖ **نظم الحكم**

قبل تقديم تصنيف روسو لأنظمة الحكم التي يراها مناسبة لتصوره يجب توضيح نظرته للنظام السياسي ، حيث يعطي الأهمية الأولى للسلطة التشريعية لان القوانين هي التي تعبر عن سيادة الشعب ، أما السلطة التنفيذية أو كما يسميها "الحكومة" فلا تمارس السيادة و القائمين عليها ما هم إلا موظفين في خدمة الإرادة العامة التي تعينهم و تعزلهم كما تريد ، فلا خطر في إن يكونوا ملوك أو أقلية بناءا على هذا يمكن إن نفهم التصنيف الذي قدمه للنظم السياسية و التي قسمها إلى ثلاث :

الديمقراطية : بالنسبة لروسو هي وضع مثالي لا يمكن تحقيقه عمليا ، لأنه نظام يفترض إن يمارس فيه الشعب سيادته بطريقة مباشرة فيضع بنفسه القوانين و ينفذها كذلك بنفسه ، و هكذا يصبح التصور الذي بناه من قبل في خانة المثاليات[151].

الملكية : وهي التي تكون فيها السلطة في يد شخص واحد ، لكنها في رأي روسو لا تكتسب المشروعية إلا إذا مارس الملك فقط السلطة التنفيذية و إن يخضع للقوانين التي تصنعها الأغلبية و يسميها بالملكية الجمهورية[152].

الارستقراطية : و هي إن تتشكل الحكومة من أقلية تمارس السلطة التنفيذية إما بالانتخاب إما بالوراثة و هذه الأخيرة هي الأسوأ، أما المنتخبة فهي في نظر روسو أحسن نظام لأنها تحسن تنفيذ القوانين نظرا لتمتعها بالحكمة[153].

إذن أحسن نظام هو الذي يحترم الإرادة العامة التي تتجسد في وضع القوانين و لا يهم شكل الحكومة لأنها مجرد منفذ للقوانين ، و على الشعب الوقوف على سيادته لكي لا تفكر الحكومات الاستبداد بها .

تأثيره افكاره

[150] أباظة إبراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ، "تاريخ الفكر السياسي" ، مرجع سبق ذكره ،1973 ص 247

[151] PRELOT Marcel et LESCUYER Georges « histoire des idées politiques » , op cité, p 413.

[152] Ibid. 414

[153] Ibid. p 415

يظهر تأثير روسو بشكل قوي عبر مؤلفه "العقد الاجتماعي" و كذلك " خطاب حول أصول عدم المساواة بين البشر" اللذان جلبا له العداء و العزلة في حياته ، لكن كانا سببا في تخليده بعد الثورة الفرنسية التي اعتبرتهما مرجعا في كتابة مبادئها السياسية ، ثم انتشرت أفكاره إلى إن أصبحت مرجعا أساسيا لنظرية الديمقراطية .

سابعا : نظرية الفصل بين السلطات عند "شارل لويس دي منتسكيو"

شارل دي سكوندا دي منتسكيو المدعو عادة منتسكيو هو مفكر فرنسي ولد سنة 1689 من عائلة ارستقراطية شغل اغلب أفرادها مناصب في الهيئة القضائية للنظام الملكي الفرنسي ، فلذلك كانوا يصنفون ضمن نبلاء القضاء .

تابع منتسكيو دراساته العليا في تخصص القانون ، و في 1714 شغل منصب مستشار لدى برلمان "بوردو".

في 1716 ورث عن عمه ثروة ضخمة و تلقى معها لقب "دي منتسكيو "و ترقى في منصب رئيس برلمان "بوردو" ، كما سمحت له هذه الثروة بتغيير خياراته في الحياة ، بحيث قرر التخلي عن المسارات المهنية و المناصب السياسية ، خاصة و أنها لم تحقق له الرضا الذاتي ، فقرر قضاء حياته في الأسفار و توسيع معارفه و ثقافته و التمتع بالحياة [154] .

اهتم منتسكيو في البداية بالعلوم الطبيعية و بالفيزياء حيث دخل أكاديمية العلوم في "بوردو"سنة 1716و حرر عدة مواضيع في هذه الميادين ، فلم يهتم بالفلسفة و الأدب إلا ابتداء من ثلاثينات عمره، حيث بدا يكتشف ميوله للكتابة فألف " الرسائل الفارسية" سنة 1721 التي وصف فيها مختلف أبعاد الحياة الفرنسية، و التي نالت شهرة كبيرة في الأوساط الأدبية و الفلسفية الفرنسية ، مما جعله يسافر إلى باريس و يصبح من المترددين على صالوناتها الفكرية ، و نال مكانة رشحته للعضوية في الأكاديمية الفرنسية[155].

لما بلغ منتسكيو سن النضج قرر السفر عبر أوروبا لمقارنة أنماط الحياة الاقتصادية ، الثقافية ، السياسية و حتى الجغرافية فيها أين أعجب كثيرا بالنموذج السياسي الانجليزي مقارنة بنموذج "اللويسات" الفرنسي المطلق، و بعد عدة سنوات من السفر استطاع جمع كم من المعلومات و لفاء شخصيات ساعدته فيمل بعد في تأليف أهم كتاب له و هو "روح القوانين" الذي نشره في 1748 .

[154] VOLPILHAC-AUGER Catherine « MONTESQUIEU »,Gallimard, paris 2017, p120

[155] ibid, p173

واصل منتسكيو باقي حياته في الكتابة ، حيث الف " الدفاع عن روح القوانين " سنة 1750 ، و انطفأ سنة 1755 و هو في 66 من عمره[156].

مؤلفاته و الظروف التي أثرت في فكره

بدأ منتسكيو أهم كتاباته في الأدب أولا حيث كان شابا ارستقراطيا ثريا يحب الحياة و الأسفار ، ثم تأثر في مرحلة النضج و خلال أسفاره حول أوروبا بالنموذج السياسي الانجليزي الجديد الذي جذب انتباهه حول تخلف النموذج الفرنسي الذي ما زال يتحكم فيه الملوك مثل لويس 14 الذي كان يلقب بالملك الشمس ، خاصة و انه رجل قانون في تكوينه و ممارسته المهنية الأولى ، لذلك كانت أهم مؤلفاته هي :

- رسائل فارسية 1721
- اعتبارات حول أسباب عظمة الرومان و ضعفهم 1734
- روح القوانين 1748
- الدفاع عن روح القوانين 1750

و يعتبر كتاب "روح القوانين" ، أهم مؤلف سياسي لمنتسكيو ، نال ترحيبا كبيرا في فرنسا و خاصة في انجلترا ، و بعض الانتقادات من قبل الكاثوليك مما يفسر كتابة منتسكيو ل "الدفاع عن روح القوانين " كرد عن هذه الانتقادات، و رغم ذلك فقد أصدرت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية قرار بمنعه سنة 1751.

أما كتاب "اعتبارات حول أسباب عظمة الرومان " فكان في الأصل فصلا تمهيديا لروح القوانين قبل إن يفصل عنه بسبب حجمه و يصدر ككتاب مستقل .

و بهذا يعتبر "روح القوانين" أهم مؤلف لمنتسكيو و مرجعا هاما في العلوم السياسية نظرا لاحتوائه على نظرية الفصل بين السلطات[157].

افكاره السياسية

❖ الدولة

يربط منتسكيو ظهور الدولة بالانتقال من حالة القوانين الطبيعية التي تتميز بالحرية المطلقة إلى حالة تحكمها القوانين الوضعية من اجل تحقيق الأمن و التي تنقل الحرية الى حرية ضمن ما يسمح به القانون

[156] Ibid, p 223

[157] Ibid p 231-232

، و ذلك لضمان تساوي حريات الأشخاص أمام القانون و لضمان اطمئنان المواطن ضد قيام الآخرين بما هو غير مسموح به ، بما فيهم الأشخاص اللذين يمارسون السلطة السياسية لكي لا يستبدون بها .

❖ **القوانين**

يعرف منتسكيو القانون بأنه : " العلاقات الضرورية التي تنبثق من طبيعة الأشياء" " rapports nécessaires, dérivant de la nature des choses "[158] ، و يقول بان القوانين تتطور تاريخيا و تخضع لمكنزمات قابلة للدراسة متعلقة بالخصائص الثقافية ، الجغرافية و المناخية خاصة و بنمط الحكم السياسي ، لذلك فهي تختلف من دولة إلى أخرى ، و ما يصلح لدولة لا يصلح بالضرورة لدولة أخرى .

و يقيم التصنيف التالي للقوانين الوضعية :

- قوانين الناس التي تحكم العلاقات بين الشعوب ،
- القوانين السياسية التي تنظم العلاقة بين الحاكم و المحكوم ،
- القوانين المدنية التي تنظم العلاقة بين الناس داخل نفس المجتمع.

❖ **تصنيف أنظمة الحكم**

يصنف منتسكيو أنظمة الحكم على أساس معيارين ، معيار التمثيل أو من يحكم ، و معيار مبدأ الحكم أو كيف يحكم ، و بالتالي يقسمها إلى ثلاثة أنواع حسب هذين المعيارين و هي :

النظام الملكي : هو الذي يحكم فيه شخص واحد طبقا للقوانين، و يتميز بالفعالية نظرا لسرعة اتخاذ القرارات فيه (لان السلطة التنفيذية هي في يد شخص واحد) ، و قد يتميز كذلك بالاعتدال لان الطبقة الارستقراطية تلعب فيه دور الوسيط رغم أنها تخضع لإرادة الملك، و يحكم هذا النظام مبدأ الشرف، الذي يمثل النبل و الشجاعة و التميز و فالطموح

النظام الجمهوري :هو حكم الشعب ، لكنه يقسم هذا الأخير الى صنفين يعتبرهما جمهوريين ، و هما :

- ✓ الحكم الارستقراطي الذي يمارسه جزء من الشعب عن طريق الطبقة الارستقراطية و عن طريق آلية الاختيار ، و يحكمه مبدأ الاعتدال (Modération) الذي يمنع استبداد الأقلية بالأغلبية

[158] MONTESQUIEU « L'ESPRIT DES LOIS »,edition EFELÉ reprise de l'edition Garnier frères , paris 1875, P 125

- ✓ الحكم الديمقراطي الذي يمارسه كل الشعب عن طريق القرعة ، و يحكمه مبدأ الفضيلة المتمثل في حب الجمهورية القائمة على القوانين ، العدالة و المساواة ، و يرى بأنه يصلح للدول الصغيرة

النظام المستبد : الذي يحكم فيه شخص واحد بدون قوانين مسبقة ، و المبدأ الذي يقوم عليه هو الخوف[159].

و يرى بان كل نظام سياسي يفرض نمط التربية الذي يلائمه ، كما انه يزرع النمط الأخلاقي الذي ينسجم مع المبدأ الذي يقوم عليه ، و كلما ابتعد النظام عن مبدئه تغير إلى الأحسن أو إلى الأسوء ، فمثلا إذا تخلى النظام الديمقراطي عن مبدأ العدالة و المساواة ، سيتغير النظام ، فإذا مال إلى اللامساواة سيؤدي إلى الارستقراطية أو الحكم الملكي ، و إذا مال إلى الإفراط في المساواة سيؤدي إلى الاستبداد[160].

❖ **نظرية الفصل بين السلطات**

ينطلق منتسكيو من نظرية "جون لوك" و من ملاحظة التجربة الانجليزية ، التي أعجب بها ، في تصور التنظيم الأمثل للسلطة السياسية ، فيقول بان النظام الجمهوري الأمثل هو الذي يحافظ على الحريات السياسية عن طريق وضع حد للاستبداد بالسلطة ، و بما إن الشخص الذي تكون بيده السلطة سيميل لا محال للاستبداد بها إلى إن يوضع له حد ، كانت أحسن وسيلة لوضع حد للسلطة هي إن تكون هناك سلطة أخرى تجمحها او تمنعها " **"Pour qu'on ne puisse pas abuser du pouvoir, il faut que, par la disposition des choses, le pouvoir arrête le pouvoir."** " ، و يتم ذلك بتحقيق الشروط التالية :

← **أن لا تتركز السلطة السياسية في يد شخص او جهة واحدة_**، فإذا كان المشرع هو المنفذ فسيغير القوانين بما يناسبه ، و إذا كان المنفذ هو ألقاض فلن يخضع للقانون لأنه لن يحاسب نفسه.

← **أن توزع السلطة السياسية_**على ثلاثة هيئات تمارس كل منها :

- الوظيفة التشريعية و هي وظيفة سن القوانين و يمارسها البرلمان المتشكل من الأجهزة التمثيلية
- الوظيفة التنفيذية و هي تنفيذ القوانين و يمارسها الملك و الحكومة

[159] Ibid p 134-147

[160] Ibid p 148-163

- الوظيفة القضائية و هي فض النزاعات التي تمارسها المحاكم أي رجال القضاء[161]

← **أن يكون هناك فصل بين الهيئات الثلاث** أي إن يكون أعضاء كل هيئة مختلفين عن أعضاء الهيئات الأخرى

← **أن يكون هناك توازن بين وظائف كل سلطة** ، بان تمارس كل هيئة وظيفتها بصفة مستقلة مع ترك هامش من التدخل بين الوظائف ، فيمكن مثلا للملك إن يمارس حق الفيتو على القوانين التي تنتخبها الهيئة التشريعية ، و يمكن لهذه الأخيرة إن تمارس حق تعيين كبار الموظفين و القضاة، فيتم نوع من الرقابة المتبادلة و التوازن بين كل هيئة يمنع من إن تأخذ أي سلطة وزنا اكبر من غيرها ، أو كما يسمى في النظام الأمريكي الذي استمد مبادئه من فكر منتسكيو "رقابة و توازن" " ***checks and balances*** " ، و يركز "منتسكيو في هذا المبدأ على العلاقة بين الهيئة التنفيذية و الهيئة التشريعية التي يعتبرها أهم هيئة و أخطرها في النظام السياسي لأنها هي التي تصدر القوانين التي تحدد الحريات[162].

و هنا نلاحظ بأنه اعتبر الهيئة القضائية هيئة ثالثة خلافا ل"لوك" الذي أقحمها في السلطة التنفيذية، و لم يذكر سلطة الحرب كسلطة مستقلة ، بالإضافة إلى انه تعمق في تحليل العلاقة بين السلطات الثلاث ، و قال بان النظام الانجليزي هو الذي يقترب أكثر من هذا النموذج .

يرجع هذا إلى إن السلطة القضائية في النظام البريطاني لم تعتبر مستقلة إلا في 1701 ، كما ان منتسكيو ألف كتابه أكثر من ستين سنة بعد انتهاج الملكية الدستورية في انجلترا ، و أكثر من أربعين سنة بعد استقلال القضاء فيها ، في حين إن "لوك " ألف كتاب "الحكم المدني " قبل تبني النظام الدستوري في انجلترا .

ثامنا : إشكالية الديمقراطية و الليبرالية

اولا : الكسيس دي توكفيل (الديمقراطية بين الحرية و المساواة)

ولد الكسيس هنري شارل كليريل دي توكفيل سنة 1805 في باريس، من عائلة نبيلة مساندة للنظام الملكي و لآخر ملوك الحكم المطلق في فرنسا لويس 16، فقد نفي أفراد أسرته خلال الثورة الفرنسية

[161] NAY Olivier « histoire des idées politiques .... » , op cité, p 325

[162] Ibid p 26

(1789) و لم يعودوا إلا بعد انحصار الحركة الجذرية للثوريين وتولي "نابليون الأول" الحكم سنة 1804 ، و الذي تلاه عودة آل "بوربون " للحكم في إطار الملكية الدستورية[163].

عايش "دي توكفيل " معظم حياته النظام الملكي الدستوري ، و استطاعت أسرته إن تعيش حياة مريحة بعد المنفى ، فقد تولى والده منصب محافظ في احد المدن الفرنسية ، و استطاع " الكسي دي توكفيل" إن يتلقى تعليما كاملا إلى إن التحق بالجامعة في باريس حيث تحصل على لسانس الحقوق سنة 1826 ، ثم عين قاضيا في محكمة فرساي .

خلال مساره المهني استفاد "دي توكفيل" من بعثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية دامت ما يقارب السنة استطاع من خلالها و من خلال اللقاءات التي أجراها مع السياسيين هناك من دراسة و تحليل النظام السياسي الأمريكي ، حيث ألف الجزء الأول من كتابه " الديمقراطية في أمريكا " سنة 1835 ، و بعد عودته من تجربته الثانية في انجلترا ألف الجزء الثاني من ذات الكتاب الذي أهله إلى إن يكون عضوا في الأكاديمية الفرنسية سنة 1840.

شغل "دي توكفيل" عدة مناصب سياسية في مرحلة الحكم الملكي الدستوري ، و كان يؤمن بالمشاركة السياسية لجميع الفصائل الاجتماعية المحافظة منها و الثورية ، فقد انتخب نائبا عن المحافظين بعد الثورة الثانية و عودة الجمهورية سنة 1848 ، و شغل منصب وزير خارجية "نابليون الثالث " إلى غاية 1851 حيث اعترض على الانقلاب الذي قام به "بونابرت" على الدستور للاستمرار في الحكم ، فقام بسجن "دي توكفيل " الذي اعتزل السياسة بعد العفو عنه .

كرس "دي توكفيل" باقي حياته للمطالعة و الكتابة حيث ألف ثاني أهم كتاب له " النظام القديم و الثورة " سنة 1856 في جزء أول ، و توفي عام 1859 دون إتمام الجزء الثاني عن عمر يناهز 54 سنة[164] .

أفكاره السياسية

❖ الديمقراطية

تدور الأفكار السياسية ل "دي توكفيل" حول ظاهرة الديمقراطية التي تعتبر ظاهرة العصر آنذاك ، بحيث بدأت تنتشر في أوروبا و الولايات المتحدة الامركية ، بعد ان قضت على الحكم الملكي المطلق في

[163] الملكية الدستورية تختلف عن الحكم المطلق الذي كان سائدا في فرنسا قبل ثورة 1789، بحيث لم يعد الملك إلا سلطة شكلية ، و امتد الحكم الملكي الدستوري في فرنسا من 1815 إلى 1848 أين قامت الجمهورية الثانية بعد تنحي "لويس فيليب الأول " آخر ملوك الحكم الملكي الدستوري في فرنسا .

[164] أباظة إبراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ، "تاريخ الفكر السياسي" ، مرجع سبق ذكره ، ص 276 .

بريطانيا (1688) ، و في الولايات المتحدة الامركية (1776) ، ثم في فرنسا (1789) ، لكن المؤلف استلهم أفكاره و تحليلاته من التجربة الأمريكية التي أبهرته بمؤسساتها خلال سفره هناك.

مفهوم الديمقراطية : يعرف "دي توكفيل" الديمقراطية من خلال عدة محاولات فيقول بأنها :

- " حكومة يأخذ فيها الشعب مساحة اكبر.."
- " الديمقراطية هي المساواة في الحقوق السياسية و المساواة أمام القانون "
- " الديمقراطية تعبر عن جهود المجتمع في إيجاد المؤسسات التي تسمح للفقراء بالرقي بأنفسهم .."
- " الديمقراطية هي التوفيق بين الحرية و المساواة.." [165].

من خلال هذه المحاولات يمكن إن نقول بان "دي توكفيل " يربط تعريف هذه الظاهرة التي اكتسحت الحياة السياسية بالعناصر التالية :

- **المشاركة السياسية** لباقي شرائح الشعب ، و خروج السلطة السياسية من قبضة الملوك و العائلات الارستقراطية
- **المساواة** في الحقوق السياسية و أمام القانون دون تمييز وراثي او طبقي .
- **الحرية السياسية** ، لان الديمقراطية تقضي على الحكم الفردي المطلق و تمنح هامش اكبر من الحرية للأشخاص في تصور مصيرهم
- وجود **مؤسسات** تسمح للعامة بالتعبير عن وجودها .

❖ **إشكالية المساواة و الحرية في الديمقراطية**

يعتبر "دي توكفيل" ، رغم انه ولد ارستقراطيا ، بان الوصول إلى حالة المساواة حتمية طبيعية بل إلهية ، و بان الديمقراطية ظاهرة قديمة اتبعت مسارا تدريجيا وجب إن يصل إلى الحالة الحتمية التي وصل إليها ، و بأننا يجب إن نسلم بان زمن الارستقراطية قد ولى ، و يرى بان الديمقراطية أصبحت حتمية ، فالسؤال ليس إن نعترف بها أم لا ، و إنما بان ندرسها لدى المجتمعات التي بلغت فيها الديمقراطية أشواطا متقدمة لنستلهم الظروف المثلى لتطبيقها ، لأنها ظاهرة هشة و غير مستقرة.

[165] PRELOT Marcel et LESCUYER Georges « histoire des idées politiques » , op cité,p464

يتميز تحليل "دي توكفيل" للديمقراطية بتركيزه على عنصري المساواة و الحرية ، و في مقارنته للديمقراطية في فرنسا و في الولايات المتحدة الأمريكية رأى بان الأولى أولت أهمية مقدسة للمساواة التي يعترف بأنها جوهر الديمقراطية ، بينما الثانية اعتمدت على المساواة دون إهمال عنصر الحرية لأنها تحمي الملكية و الحقوق الخاصة ، و في رأي "دي توكفيل" بان الديمقراطية الأمريكية قوية بهذا التوجه بالذات الذي سيضمن لها الاستقرار أكثر من الديمقراطية في فرنسا ، لان المغالاة في المساواة يقضي على الحرية و من ثم على الديمقراطية ، فهو في كتاباته و بطريقة لاشعورية يقدم عنصر الحرية السياسية للتقليل من شان المساواة التي يعشقها الشعب ، ويمكن إن نستشعر ذلك من خلال قوله : " إني أحب بكل شعوري الحرية الشرعية و احترام القانون ، لكنني لا أحب الديمقراطية "[166] .

❖ خطورة مركزية التسيير على الديمقراطية

يلاحظ "دي توكفيل" بان الأنظمة السياسية التي تلت الثورة الفرنسية ، رغم تمسكها بشعارات المساواة ، إلا أنها أبقت على نفس المركزية في التسيير التي كانت تسود الأنظمة المطلقة و الأنظمة الارستقراطية ، لذلك فقد لاقت نفس مصير سابقيها ، فسقطت نظاما تلو الأخر ، و يقصد بها الأنظمة النابليونية و الملكيات الدستورية التي تلت الثورة الفرنسية و الجمهورية الأولى ، والتي انتهت بالثورة الشعبية عليها سنة 1848 و تأسيس الجمهورية الفرنسية الثانية .

لذلك يدعو "دي توكفيل" في تطبيق الديمقراطية إلى الابتعاد عن المركزية في التسيير لأنها تجمع السلطات في يد الدولة بحيث لا تسمح للأفراد بالتصرف بحرية و تتحول إلى دكتاتورية إدارية ، بحيث يقول في هذا الشأن : " لن يقنعنا احد بإمكانية قيام حكومة قوية و حكيمة ينتخبها شعب من العبيد"[167].

❖ خطورة تدخل الدولة في الشؤون العامة على الديمقراطية

يرى دي توكفيل بان الديمقراطية التي أصبحت حتمية لا رجعة فيها تحمل معها خطر أخر و هو "دولة العناية الاجتماعية " التي ، بحكم البحث عن تحقيق و نشر المساواة الاجتماعية ، تصبح حاضرة في كل الميادين بشكل مبالغ فيه ، فتتحول حسب تعبير "دي توكفيل" إلى : " **جهاز سياسي مطلق** " فاشل .

يؤدي هذا الجهاز السياسي المطلق و المتدخل في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية إلى الحد من الحريات الفردية من ناحية ، و إلى تباعد الأشخاص و انعزالهم عن بعضهم ، و فقدانهم لعاداتهم و تقاليدهم الأخلاقية ، لأنهم أصبحوا مرتبطين بجهاز الدولة أكثر من الارتباط ببعضهم البعض[168].

---

[166] أباظة إبراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ، المرجع السابق ص 285

[167] نفس المرجع ص 274 .

❖ **الديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية**

نتيجة لدراسته حول التهديدات التي قد تفشل الديمقراطية ، يرى "دي توكفيل" بان النموذج الأمريكي هو الأكثر اكتمالا نظرا لاعتماده على عدد من عناصر القوة التي ساهمت في نجاحه ، وهي :

- **النظام الفدرالي** : حيث يسمح بهامش اكبر من الاستقلالية في التسيير لكل ولاية أمريكية
- **اللامركزية الإدارية** : التي تسمح للأجهزة المحلية باتخاذ القرارات دون الرجوع إلى المركز السياسي ، و تقربها أكثر من رغبة المواطنين .
- **الجماعات و الجمعيات** : انتشار هذه التنظيمات المدنية التي لاحظها في الولايات المتحدة الأمريكية ، تسمح بالتفاف الجماعات حول مصالحهم و الحفاظ على الحريات الفردية أمام ظاهرتي المركزية و تدخل الدولة اللتان قد تصاحبان الديمقراطية .
- **حرية الصحافة** : يعتبرها "دي توكفيل " كسلاح يحافظ على الحريات ضد تغوّل السلطة السياسية .
- **الدين** : يرى "دي توكفيل" عبر ما لاحظه في الولايات المتحدة الأمريكية بان وجود الدين يحمي بعض الميادين الأخلاقية من التدخل السياسي الديمقراطي .

يعتبر " دي توكفيل " بان مصاحبة هذه العناصر للتجربة الديمقراطية كفيلة بان تحميها من الانحرافات التي يمكن أن تفشلها[169].

❖ **نظرية الاستعمار**

رغم إن "دي توكفيل " يعتبر في الأدبيات الغربية من منظري الديمقراطية ، إلا انه من الضرورة الملحة القاء الضوء عن ما قدمه من آراء خطيرة تبرر ظاهرة الاستعمار و لا سيما الاستعمار في الجزائر ، و التي لا تتوقف على التبرير فقط و انما تذهب الى درجة اعطاء التوجيهات لكيفية تعميق الظاهرة و إحكام القبضة على الاهالي في الاوطان المستعمرة ، مما يوقعه في تناقض فضيح بين ما يقدمه من افكار حول الديمقراطية و ما يناقضها من سبل في استعباد الشعوب .

---

[168] PRELOT Marcel et LESCUYER Georges , op cite ,pp 464-466

[169] انظر :

DE TOQUEVILLE Alexis « De la démocratie en Amérique »,institut Coppet, paris 2012

يعتبر "دي توكفيل" شعوب شمال افريقيا شعوب بربرية و جاهلة يجوز استعمارها من اجل ادخال الحضارة عليها،و يرى بان استعباد السود ظاهرة طبيعية ، و لا يرى مانعا ابدا في إبادة الهنود الحمر في امريكا ، و يذهب الى درجة تقديم تبريرا قانونيا لظاهرة الاستعمار بحيث يعتبر بان الأراضي المستعمرة لا تخضع لملكية قانونية لهاته الشعوب لذلك يمكن إن تلقي عليها الأمم المتقدمة ملكيتها .

لكن هذين التبريرين بالإضافة الى هشاشة صدقهما و مصداقيتهما العلمية ، يسقطان أمام التوجيهات التي يقدمها للمستعمر في كيفية التحكم في هذه الشعوب و اراضيها ، الذي يكشف حقيقة الدوافع الاستعمارية التي ما هي الا رغبة في استعباد الشعوب و نهبها و بعيدة كل البعد عن اي دافع حضاري ، و يظهر ذلك من خلال التوصيات التي يقدمها لفرنسا ، عبر تقرير و رسائل حررها ، من 1837 الى 1847 ، حول تطور و كيفية إحكام الاستعمار في الجزائر ، فيقول :

- ضرورة تقليص (إبادة) الأهالي لإضعاف معارضتها للقوات الفرنسية
- الاستيلاء على الاراضي ، المحاصيل و المواشي
- اتباع سياسة الغالب مع الاهالي
- تشجيع الدين القائم على الجهل و الشعوذة
- انشاء قرى و مدن فرنسية
- منع حرية الراي
- استعمال القوى لإخافة الاهالي

و أخيرا يمكن تلخيص راي "دي توكفيل" في ظاهرة الاستعمار بقوله : " أظن بان قانون الحرب يسمح لنا بتخريب هذا البلد "[170] .

ثانيا : جون ستيوارت مل (الحرية المدنية و المشاركة السياسية)

جون ستيوارت مل هو فيلسوف و اقتصادي انجليزي ، ولد سنة 1806بضواحي لندن ، و هو ابن الفيلسوف و المؤرخ الانجليزي " جايمس ميل" الذي يعد من تلامذة المفكرَين الانجلِيزِيَين " دايفيد هيوم "

[170] انظر:

Alexis de Tocqueville « Premier rapport sur l'Algérie » Extraits du premier rapport des travaux parlementaires de Tocqueville sur l'Algérie en 1847 (première partie : domination et gouvernement des indigènes) édition électronique réalisée par Jean-Marie Tremblay,professeur de sociologie au Cégep de Chicoutimi

و " جيريمي بنتام " ، فقد نشا في وسط فكري عالي ، حيث تولى والده تعليمه و تكوينه بعيدا عن المدارس و الجامعات بمساعدة أساتذته و صديقه "دافيد ريكاردو"، ثم أرسله إلى فرنسا ليتتلمذ على يد الاقتصادي الفرنسي " جون بتست ساي " ، فنبغ مبكرا في الفلسفة و الأفكار الاقتصادية و المنطق الذهني ، هذه الميادين التي قدم فيها ابرع أفكاره و نظرياته .

بدا " جون ستيوارت مل" حياته المهنية في شركة "الانجليزية للهند الشرقية" سنة 1823 ، وتحصل بعد حل هذه الشركة سنة 1858 على معاش مريح ساعده في العيش و زوجته في جنوب فرنسا لعدة سنوات ، قبل إن يعود إلى انجلترا حيث تم انتخابه لعهدة نيابية في غرفة العموم سنة 1867 ، ثم عين عميدا لجامعة اسكتلندية كآخر مهنة مارسها قبل إن يعود نهائيا إلى جنوب فرنسا ، أين توفي سنة 1873[171].

يعتبر "جون ستوارت مل" من ابرز مفكري القرن 19 ، حيث ساهم في ثلاث ميادين رئيسية : ميدان التفكير المنطقي الذي ألف فيه " المنطق الاستقرائي و الاستنباطي " سنة 1843 ، ميدان الاقتصاد السياسي حيث يعتبر من ابرز و آخر مفكري المدرسة الكلاسيكية ذات التوجه الليبرالي، بكتابه " مبادئ الاقتصاد السياسي" الذي الفه سنة 1848 ، و في ميدان الفلسفة السياسية والاجتماعية الذي الف فيه كتاب "عن الحرية " سنة 1859 ، كتاب " عن الحكومة التمثيلية" ، كتاب " النفعية" سنة 1861 و كتاب " عن استعباد النساء " سنة 1869 [172] .

افكاره السياسية

❖ النفعية كمنطلق فلسفي في فكر "ج.س.مل"

"النفعية" هي مذهب فلسفي يعتمد على المنفعة كمقياس للحكم على مدى أخلاقية فعل أو قرار ما ، فالفعل أو القرار الجيد يتميز بتحقيقه للمنفعة و العكس صحيح ، ، فالنفعية مرتبطة :

- بالسعادة أو الرفاه كمفهوم للمنفعة ، و السعادة عند النفعيين تعني في نفس الوقت اللذة و غياب المعاناة .
- بقياس كم السعادة الإجمالي الذي يحققه كل فعل أو قرار للجماعة.
- بالبحث عن الحد الأقصى من السعادة لأكبر عدد من الناس و تغليبها على السعادة الفردية إن تحتم ذلك.
- بالسعادة و الرفاه كنتيجة.

[171] Nemo Philippe « histoire des idées politiques ... » , op cité, p 577
[172] Loc cité

- بالنتيجة كمقياس وحيد لتقييم الفعل أو القرار، دون الاهتمام بتقييم الأفعال أو القرارات قبل إن تصدر نتيجتها .

و النفعية في المجال السياسي هي في نفس الوقت أداة لتوجيه السياسات العامة و لتقييمها حسب ما تحققه من منفعة عامة ، لذلك يبحث مفكروها دوما عن المبادئ و الآليات التي من شانها إن تحقق نفعا اكبر للجماعة ، و إذا كان "جيرمي بنتام" يعتبر أب النفعية بوضعه لأهم مبادئها ، فإن "جون ستيوارت مل" أضاف لهذه الفلسفة بعدا راقيا و إنسانيا حيث يقول بان اللذة لا تقاس بالكم فقط كما قال سابقه و إنما بالنوع و إلا تحول الإنسان إلى مجرد حيوان ، فالإنسان مكون من جسد و عقل و كرامة ، و لا يتمنى أبدا إن يعيش مثل الحيوان ، لذلك فان اللذة المعنوية تجلب له سعادة اكبر ، فالبحث عن سعادة البشر يجب إن يكون بحثا عن السعادة المعنوية التي تليق بكرامة الإنسان . كما يفرق "مل" بين مفهوم الإشباع الذي يرتبط باللذة الدنيا "الحيوانية" و مفهوم السعادة المرتبط بالرضا الذي تحققه اللذة الرفيعة ، فيقول في هذا الشأن : " من الأحسن إن أكون سقراط تعيسا على إن أكون أحمقا راضيا"[173].

❖ الحرية المدنية

يهتم " مل " بالإشكالية المطروحة بقوة في ذلك العصر حول الحدود بين سلطة المجتمع و بين هامش حرية الفرد ضمن هذا المجتمع ، فيقول بان طبيعة السلطة السياسية قد تغيرت ، فبعد إن كانت تمارس من قبل فرد أو أقلية على باقي المجتمع ، أصبح هذا الأخير، بعد تطور الأنظمة الديمقراطية ، هو الذي يمارس السلطة السياسية على الأفراد ، لذلك وجب حماية الحريات الفردية من ديكتاتورية الجماعة و توضيح حدود سلطة المجتمع على الفرد ، فيقدم في كتابه "حول الحرية" ثلاث قناعات رئيسية حول حماية الحرية الفردية من سلطة المجتمع :

أولا : حرية التفكير و النقاش

يرى "مل" بان كل فرد بالغ له الحق في الحكم على الأشياء التي تخصه ، و بان يعبر و يتصرف بما يراه مناسبا ، ما دام لا يشكل ذلك ضررا على الآخرين ، لان كل فرد يعرف ما يناسبه أكثر من غيره ، فعلى المجتمع أن لا يقمع هذه الحرية في التفكير و التعبير و السلوك لا بالقانون و لا حتى بالرأي ،لأنها تدخل ضمن المجال الخاص بالأفراد .

[173] سباين جورج " تطور الفكر السياسي " الجزء الثالث ، مرجع سبق ذكره ، ص 208

يضيف "مل " بان حرية التفكير و السلوك ضرورية للتقدم الاجتماعي و الفكري و تؤدي إلى تعدد التجارب المعرفية و انتعاش الأفكار المبدعة ، و حتى الأفكار الخاطئة أو السلوكيات الأخلاقية غير المقبولة مفيدة لأنها تمنح عبرة لتحديد ما هو ناجح أو فاشل بناءا على تفسير يقبله العقل[174].

ثانيا : الفردية أو الذاتية هي احد ركائز السعادة

يعتبر " مل" بان إجبار الأفراد على إتباع نموذج موحد من التفكير و السلوك يجلب التعاسة ، بينما إعطاء هامش اكبر في التفكير و التعبير يمنح فردا سعيدا و من ثم مجتمعا سعيدا[175].

ثالثا : حدود سلطة المجتمع على الفرد

يقول "مل" بان السبب الوحيد الذي يعطي مشروعية للحد أو لاستعمال القوة ضد حرية الفرد هو إن يشكل سلوكه خطورة أو ضرر ضد الآخرين ، و هنا يجوز معاقبته اجتماعيا و قانونيا ، و يجوز كذلك معاقبته على تأثيره على أشخاص آخرين بأفكاره و سلوكه ، أما إذا كان سلوكه لا يشكل ضرر على الغير فهو حر و لا يجوز لمن استنكر ذلك إلا إعطائه النصائح أو تهميشه و نكرانه لا أكثر

و يرى في هذا السياق بان فرض تعليم عام موجه يطرح مشكلة في المحتوى و في الأشخاص اللذين يقومون بتلقينه لكي لا يوحد التفكير الذي يقضي على المواهب

كما لا يجوز للحكومة بان تتولى صلاحيات في مجالات يتقنها الأفراد أحسن منها ، و تترك ذلك لنشاط الجمعيات و تقوم هي أي الحكومة بنشر التجارب فقط لتستفيد منها باقي الجمعيات .

و يختم بان الإفراط في التدخل الحكومي في الحياة الاجتماعية يؤدي إلى تحول معظم الأفراد إلى عبيد في شكل موظفين من ناحية و إلى تشكل بيروقراطية خطيرة يمكن إن يتحول القائمين بها إلى جراثيم منظمة و متآمرة ترفض كل تغيير مضاد لمصالحها، و الأخطر في ذلك إن يتحول الأفراد المبدعين إلى موظفين رتابة ، طموحهم الوحيد هو الترقية[176].

❖ **التمثيل النيابي**

[174] MILL. John .S « de la liberté » 1859, Trad. Laurence Lenglet,,ed electronique, p 23-60.

[175] ibid. p 61-79

[176] Ibid.P 80-98

يعترف "مل" بالحكومة النيابية [177] كأحسن نموذج ممكن للممارسة الديمقراطية ، لكنه يطرح ، في شكل يبدو متناقضا مع دفاعه عن مبدأ الحرية ، بان المشاركة السياسية الشعبية الواسعة تؤدي إلى حكم الغوغاء و العاطفة و الرداءة ، لذلك يجب إن يكون التمثيل النيابي نسبيا بشكل يعطي وزنا اكبر للنخبة لتعوض عددها القليل بالنسبة للعامة الغالبة في العدد ، فتكون صيغة الديمقراطية هنا هي خليط من المساواة و التمايز، و تبتعد عن حكم العدد لصالح حكم النوع .

لا يقصد "مل " بالنخبة الأقلية الارستقراطية لأنه من اشد المعادين لها ، و إنما يقصد النخبة المتميزة ، الذكية و المتعلمة و التي يريد أن يعطيها وزنا ليس دكتاتوريا و إنما وزنا دافعا لتطور المجتمع و تحقيقه لسعادته ، و في هذا المنظور يدعو لتعليم الفئات المميزة للفئات الأقل تميزا في المستوى في شكل هرمي يدخله ضمن ما يسميه بالتربية الشعبية ، لذلك فقد دعي لتعميم التعليم و مجانيته لكي يتعلم كل فرد في المجتمع الحرية و كيفية إدارة شؤونه ، فيقول بان هناك ديناميكية ديمقراطية في تعليم الشعب : " تعليم الشعب هو تحريره ، و هو أحسن ضمان ضد خضوعه للبيروقراطية".

❖ مكانة المرأة

يطرح "مل" في كتابه " عن استعباد النساء " أفكارا ثورية بالنسبة لذلك الوقت حول حقوق النساء ، فيعتبر الأنظمة الأبوية السائدة آنذاك أنظمة مستبدة ، تشغل فيها المرأة نفس وضعية العبيد نظرا لاعتبارها قاصرا تخضع هي و أموالها لسلطة الرجل ، و يدين القوانين السائدة لأنها تكرس هذا الاستعباد ، ويضيف "مل " بان الفرضية التي تعتبر اللامساواة بين الجنسين حقيقة طبيعية ، لا تعتبر مبررا للتمييز في الحقوق بين الرجل و المرأة لان هذا المبدأ لا يمكن إن يتماشى مع الهدف الأسمى للمساواة و الحرية .

و ضمن البعد النفعي الذي يبحث عن السعادة لأكبر عدد من الناس يدعو "مل " إلى المساواة بين المرأة و الرجل و إلى ضمان الحقوق الكاملة لها بما فيها حق الانتخاب، و الوسيلة الحقيقية لذلك هي إن تكرس هذه الحقوق في القانون ، و أن تحارب الذهنيات التي تعتبر المرأة اضعف و اقل ذكاء من الرجل لأنها تساهم في إبقائها في وضعية الاستعباد التي توجد فيها[178].

---

[177] الحكومة النيابية هي الآلية التي تحل محل الديمقراطية المباشرة التي تعتبر صعبة أو مستحيلة التطبيق في المجتمعات الواسعة التي يصعب فيها تجميع كل المواطنين للتصويت على القوانين ، لذلك تلجا الدول إلى الحكومة النيابية التي ينتخب فيها الشعب ممثلين ينوبون عنه في ممارسة بعض حقوقه السياسية .كذلك يجب إن نعرف بان الديمقراطية النيابية تطورت في أوروبا منذ ق 17 في بريطانيا ، لكنها لم تصل إلى نموذج المشاركة الشعبية الواسعة إلا منذ ق 19 .

[178] انظر:

MILL. John .S « de l'assujettissement des femmes » , e-books-lib.com ,2004.

المحور السادس : النظرية الماركسية و الطرح النقيض لفلسفة الدولة الليبرالية

أولا : الاشتراكية العلمية (ماركس / انجلز)

تمهيد

يعبر الفكر الماركسي عن مرحلة من مراحل تطور الفكر السياسي الأوروبي الذي يعتبر مرآة عكست مختلف الإشكاليات التي طرحتها السلطة السياسية عبر تاريخ أوروبا ، فبعد انهيار الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس ميلادي ، مرت أوروبا بعدة محطات سياسية تميزت في مرحلة أولى بانتشار المسيحية في كل أقطار أوروبا و انسجامها مع سلطة الملوك إلى غاية القرن العاشر ، ثم بدأت مرحلة ثانية استطاعت فيها سلطة الكنيسة إن تعلو تدريجيا فوق سلطة الملوك التي تفتت في شكل أنظمة إقطاعية إلى نهاية القرن الخامس عشر، حيث دخلت أوروبا في مرحلة جديدة هي عصر النهضة الذي تميز بنزعة عقلانية أضعفت سلطة الكنيسة لصالح الحكم الملكي المطلق الذي دام ما يقارب ثلاثة قرون ، شهدت فيها أوروبا تغيرات سوسيولوجية عميقة و ظهور قوة اجتماعية جديدة ذات ثروة و وزن استطاعت إلى جانب طبقة النبلاء أحيانا و الطبقة الشعبية أحيانا أخرى الإطاحة بالحكم الملكي المطلق ابتداء من القرن السابع عشر لتدخل أوروبا في مرحلة الديمقراطية الليبرالية.

إن إزاحة سلطة الكنيسة ثم سلطة الملوك و الدخول في عصر الديمقراطية لم ينهي الإشكالات الاجتماعية و السياسية المطروحة ، لان الثورة الصناعية التي ظهرت في أوروبا في منتصف القرن الثامن عشر سمحت بظهور طبقة برجوازية استطاعت إن تستثمر في قطاع الصناعة و المناجم اعتمادا على أعداد كبيرة من العمال يشتغلون في ظروف قاسية مقابل تراكم الثروات في يد البرجوازية ، مما أدى إلى صعود الحركات العمالية المنددة بالاستغلال المفرط لها ، هذه الإشكالية الجديدة أدت إلى ظهور أفكار سياسية ذات مضمون اجتماعي كانت أقواها النظرية الماركسية .

الإطار التاريخي و الفكري الذي ظهرت فيه الماركسية

الماركسية هي تيار فكري إيديولوجي ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر انطلاقا من أفكار كارل ماركس و فريديريك انجلز، حيث تنطلق من تحليل و نقد النظام الرأسمالي الذي بدا يحل تدريجيا محل النظام الإقطاعي في أوروبا منذ نهاية القرن الثامن عشر ، لتطور نظرية شاملة ذات بعد تاريخي ،

اجتماعي ، اقتصادي و سياسي ، لكن قبل الخوض في محتوى الفكر الماركسي يجب توضيح الظروف التي ظهرت فيها الماركسية و كذا توضيح مفهوم الرأسمالية كظاهرة محركة و ملهمة للفكر الماركسي .

الرأسمالية هي النظام الذي حل محل الإقطاعية التي تمثل بدورها نظاما اقتصاديا واجتماعيا يدور حول الأرض كمصدر للنشاط الاقتصادي ، تكون فيه طبقة ملاك الأراضي مهيمنة على الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و ذات تأثير كبير على الحياة السياسية ، و قد ساد هذا النظام في أوروبا من العصور الوسطى إلى غاية عصر التصنيع الذي تطورت معه المدن و تحولت فيه اليد العاملة من فلاحين إلى عمال مصانع يديرها الرأسماليون كطبقة جديدة حلت محل الطبقة الإقطاعية في قوتها المالية و الاجتماعية و حتى السياسية ، بحيث إن الأنظمة الديمقراطية التي بدأت تظهر اختارت التوجه الليبرالية الذي يقدس الحريات الفردية خاصة منها حرية الملكية و الاستثمار و الحركة الاقتصادية التي سمحت بظهور النظام الرأسمالي في أوروبا منذ بداية القرن التاسع عشر ، لذلك يمكن تعريف **الرأسمالية بأنها نظاما سياسيا و اقتصاديا يقوم على الملكية الفردية و حرية المبادلات التجارية .**

إن الديمقراطية التي تطورت في أوروبا ضد الاستبداد السياسي بدأت تقع في مأزق بين مطلب المساواة العزيز على مفكري الثورة ا الفرنسية و مطلب الحرية الذي ميز الفكر الانجليزي من "لوك" إلى "ج.س.مل" ، هذا المأزق عززته تداعيات التصنيع و الرأسمالية و ما تفرزه من تفاوتات اجتماعية و تدهور في ظروف معيشة العمال التي أصبحت متناقضة مع مبدأ المساواة، هذا ما أدى إلى ظهور التيار الفلسفي الاشتراكي مع مطلع القرن التاسع عشر و الذي حاول معالجة هذا المأزق عن طريق الدعوة إلى مزيد من العدالة و التضامن في التنظيم الاقتصادي و الاجتماعي .

ظهرت الأفكار الاشتراكية الأولى منذ مطلع القرن التاسع عشر ، حيث لفتت الأوضاع المتدنية لشرائح العمال العريضة عدة مفكرين سابقين ل "ماركس" و "انجلز" ، مثل، "سان سيمون" ، "شارل فوريي"، "روبرت أوين" ، "لويس بلان" ، "جوزيف برودون " ،" فرديناند لازال " ...، لكن أفكار هؤلاء لم تكن تدعوا إلى الثورة أو الإطاحة بالنظام الرأسمالي و إنما بحثت فقط عن طرق تلطيف آثاره الاجتماعية مما أدى إلى تسميتها بالاشتراكية الطوباوية أو المثالية [179]، بينما أفكار ماركس و انجلز التي بدأت تنتشر في النصف الثاني من ذات القرن كانت اقوي طرحا و أكثر إقناعا ، بحيث طرحت تحليلا عميقا ودقيقا للنظام الرأسمالي كما اقترحت نظرة جذرية للتغيير، مما أدى إلى تسميتها بالاشتراكية العلمية .

[179] أباظة إبراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ، "تاريخ الفكر السياسي" ، مرجع سبق ذكره، ص 298

تحولت الاشتراكية العلمية تدريجيا إلى إيديولوجية ثورية قوية تبنتها الثورة البلشفية في روسيا سنة 1918 ، حيث طورها المفكرون الثوريون مثل لينين و تروتسكي لتتحول إلى مشروع اجتماعي ثوري شامل غير مسار الدول و العالم لمدة عقود .

كارل ماركس و فريدريك انجلز

ولد "كارل ماركس " سنة 1818 في مدينة "تريف" الألمانية ، من عائلة بروتستانتية يهودية ، درس الحقوق في جامعة "بون" ، ثم التاريخ و الفلسفة في جامعة "برلين" ، وتحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة "يينا" سنة 1841 . نشط ماركس بعد التخرج في مجال الإعلام حيث اشتغل كمدير تحرير يومية " Gazette Rhénane " سنة 1842 قبل إن تمنع من الصدور من قبل الحكومة بسبب أفكارها الثورية ، فغادر إلى باريس سنة 1844 حيث التقى بصديقه "انجلز" .

ولد "فريدريك انجلز" سنة 1820 في مدينة " برمان" الألمانية ، من عائلة برجوازية ثرية ، درس الفلسفة في جامعة برلين أين التقى بصديقه ماركس ، و اشتغل سنة 1842في مدينة "مانشستر" الانجليزية التي يمتلك فيها والده أسهما مالية ، لكنه تركها و سافر إلى باريس سنة 1845 حيث التقى ب "ماركس" و بدأت رحلتهما الفكرية و الثورية .

عايش "ماركس" و "انجلز" مرحلة غليان فكري أثارته أفكار الاشتراكية "اليوثوبية" المنتشرة في فرنسا ، ألمانيا ، بلجيكا و انجلترا ،والتي تأثرا بها في الأول ثم انتقداها لعدم فعاليتها ، فعند تواجدهما في باريس اشتغلا على تطوير أفكارهما بحيث نشرا عدة مؤلفات مشتركة مثل كتاب "نقد فلسفة القانون لهيجل" سنة 1844 و كتاب "الأسرة المقدسة " و كتاب "الإيديولوجية الألمانية " سنة 1845 ، و بعد أن طرد ماركس من باريس ، انتقل الصديقين إلى بروكسل للتقرب من الحركة العمالية التي كانت تنشط في ظروف مواتية ، حيث أصبح الصديقين من اشد المناضلين و اقوي المفكرين في الحركة ، فقاما بتحرير ما سمياه ب " بيان الحزب الشيوعي" الذي استطاع إن يوحد اغلب الفصائل الاشتراكية في أوروبا حول أفكارهما و رؤيتهما الجذرية حول الرأسمالية و حول طريقة ترقية الطبقة العاملة ، فأسسا بذلك " رابطة الشيوعيين" سنة 1847 كتنظيم للحركة العمالية العالمية ، لكن نشاطهما أدى إلى طردهما من بلجيكا سنة 1848 ، فالتحقا بألمانيا للمشاركة بالثورة العمالية هناك ، لكن فشل هذه الثورة أدى بهما إلى الانسحاب إلى لندن سنة 1849 . ، حيث واصلا نضالهما هناك فشاركا في تأسيس أول جمعية عالمية

للعمال سنة 1864 و التي حرر ماركس أهم وثائقها و أفكارها ، و بقي ماركس و انجلز في لندن إلى إن توفي ماركس سنة 1883، ثم انجلز عام 1893[180] .

إلى جانب الكتب المشتركة للمفكرين يعتبر كتاب "الرأسمال" الذي ألفه ماركس المرجع الرئيسي للفكر الماركسي ، فقد قضى ما يقارب عشرون سنة في كتابته دون إن ينهيه فنشر الجزء الأول منه و الذي يتضمن جوهر أفكاره سنة 1867، أما الجزء الثاني و الثالث فقد أنهاهما صديقة انجلز بعد وفاته بناءا على المسودات التي تركها، و نشرهما على التوالي سنة 1885 و 1894.

أما انجلز فكان أول مؤلف له هو " وضعية الطبقة الشغيلة في انجلترا " الذي ألفه قبل إن يغادر مانشستر سنة 1845 ، و إلى جانب المؤلفات المشتركة له مع ماركس ، ألف انجلز مجموعة كبيرة من الكتيبات تتناول أفكاره التي تعتبر جزء مهم من الفكر الماركسي ، أهمها : " مبادئ الشيوعية" ، " الاشتراكية اليوتوبية و الاشتراكية العلمية " ، " جدلية الطبيعة" ، " أصل الأسرة ، الملكية الخاصة و الدولة" .....

يلتقي ماركس و انجلز في مجمل الأفكار سواء في المؤلفات المشتركة أو في مؤلفات كل منهما مع العلم بان ماركس هو القاطرة الفكرية للاثنين خاصة بمؤلفه "رأس المال" ، لذلك سميت أفكارهما و أفكار أتباعهما بالماركسية .

الاشتراكية العلمية

الاشتراكية هي فلسفة القرن التاسع عشر ، و تطلق تسمية الاشتراكية العلمية على أفكار ماركس و انجلز التي أرادت إن تتميز عن الأفكار الاشتراكية التي سبقتها و التي سميت بالاشتراكية الطوباوية ، و اعتبر ماركس بان أفكارها تفتقد للواقعية في دراسة الظاهرة الاجتماعية و بان فلاسفتها ينتجون أفكارا من محض فهمهم ، فجاءت طرحاتهم مهادنة و تفتقد إلى أدوات التغيير.

و في مؤلف انجلز " الاشتراكية الطوباوية و الاشتراكية العلمية " الذي صدر سنة 1880، يوضح بان الاشتراكية العلمية تختلف عن الاشتراكية الطوباوية لأنها تدرس حقيقة التناقض بين القوة العاملة المنتجة و القوة المالكة لأدوات الإنتاج ، و تقترح الحلول الفعلية المتمثلة في القضاء على "الرأسمال" [181].

هذا ما سنحاول فهمه من خلال أفكار كارل ماركس، ثم فردريك انجلز التي تشكل ما يسمى بالاشتراكية العلمية .

---

[180] نفس المرجع ص 309-311

[181] PRELOT Marcel et LESCUYER Georges « histoire des idées politiques » , op cité,p 620

الفكر الماركسي

ينطلق ماركس (ومعه انجلز) من الاقتصاد كعنصر رئيسي لتفسير التغيرات الاجتماعية و السياسية ، و يعتمد في ذلك على مفهوم تحليلي جوهري هو مفهوم **المادية الجدلية** الذي يفسر به ديناميكية التطور التاريخي للبشرية و الذي يعبر عنه **بالمادية التاريخية** ، و من ثم يهتم بتحليل الرأسمالية كنظام من أنظمة المادية التاريخية الذي يتميز باستغلال الطبقة البرجوازية المالكة لوسائل الإنتاج للطبقة الشغيلة المنتجة ، في نظام اجتماعي غير عادل و نظام سياسي تمثله دولة تخدم مصالح الطبقة البرجوازية ، و في الأخير يتنبأ بثورة اجتماعية كنتيجة **للصراع الطبقي** الذي ينتهي بالقضاء على الدولة .

❖ المادية الجدلية

المادية الجدلية هي احد المفاهيم الجوهرية التي تعتمد عليها الماركسية كأداة في تفسير التغير ، و لتوضيح هذا المفهوم يجب الرجوع أولا إلى **الجدلية** عند الفيلسوف الألماني هيجل و التي انطلق منها ماركس و انجلز.

يفسر هيجل الواقع بأنه تعبير عن تحقق الفكرة الذي يتم طبقا لديناميكية جدلية تمر بثلاث مراحل هي الطرح-النقيض-التوفيق ، الذي يعني بان الفكرة تتحقق في طرح معين يظهر فيما بعد نقيضه الذي يجادله و يصححه لكي يعطي وضعا ثالثا هو توفيق أو تلخيص للاثنين ، و هكذا تبقى الفكرة في حركية جدلية مستمرة تطرح و تُناقض و تُوفق لتُحدث التطور و التغيير التاريخي .

يعتمد ماركس و انجلز كذلك على مفهوم الجدلية في تفسير التاريخ ، لكنه على عكس هيجل لا يرى بان الفكرة هي التي تصنع الواقع بل إن الظروف و العلاقات المادية للأشخاص هي التي تصنع أفكارهم و واقعهم فيقول : " ليست أفكار الناس هي التي تحدد واقعهم ، بل إن حياتهم الواقعية هي التي تحدد أفكارهم " ، لذلك سميت الجدلية الماركسية بالجدلية المادية التي قلبت منطق هيجل الذي كان يمشي على رأسه ليعيده على رجليه[182] .

❖ المادية التاريخية و الصراع الطبقي

طبقا للجدلية المادية التي تقول بان المادة هي التي تصنع الفكرة و بان التطور التاريخي تطورا ماديا، يطرح ماركس و انجلز مجموعة من المفاهيم يعتمدان عليها في تفسير هذا التطور المادي للتاريخ و الذي يسميانه بالمادية التاريخية :

---

[182] سباين جورج "تطور الفكر السياسي" ، الجزء الخامس ، ترجمة راشد البراوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (ب.م.ن) ، (ب.س.ن) ، ص 27

البنية التحتية و البنية الفوقية : علاقات الإنتاج في المجتمع هي الأساس المادي الذي يملي و يشكل الأنظمة السياسية و الاجتماعية و الثقافية ، بحيث يشكل الاقتصاد بنية تحتية و باقي الأنظمة الاجتماعية البنية الفوقية التي تعكسها.

الملكية : تحدد ملكية وسائل الإنتاج نوعية البنية التحتية السائدة ، فكلما تغيرت نوعية الملكية أو انتقلت من أشخاص إلى أشخاص آخرين تغير النمط الاقتصادي ، و هذا ما يفسر انتقال المجتمعات من أنماط اقتصادية إلى أنماط أخرى مثل الانتقال من المجتمع الإقطاعي الذي كان قائما على ملكية الأراضي من قبل الطبقة الإقطاعية إلى المجتمع الرأسمالي القائم على ملكية وسائل وتقنيات الإنتاج من قبل الطبقة البرجوازية .

الصراع الطبقي : هو المحرك الأساسي للتغير في الفكر الماركسي ، بحيث يعتبر ماركس و انجلز بان ظهور الملكية تسبب في وجود مجتمعات طبقية ، التي تكون فيها طبقة تملك وسائل الإنتاج من جهة و طبقة مستغلة تعمل و تنتج بدون إن تملك من جهة أخرى ، و في مرحلة معينة من التاريخ يحدث إدراك لدى الطبقة المستغلة بوضعها غير العادل ، فتثور على الطبقة التي تستغلها مما يُحدث صراع بين الطبقتين يؤدي إلى تغير في الملكية ، يؤدي بدوره إلى تغير في النمط الاقتصادي أو البنية التحتية التي تغير البنية الفوقية المتمثلة في النظام السياسي و الاجتماعي و الثقافي[183] .

بناءا على هذه الآلية التفسيرية المادية الماركسية يتغير التاريخ بفعل الصراع الطبقي الذي يمثل جدلية مستمرة حول ملكية وسائل الإنتاج ، لذلك يسمى **بالمادية التاريخية** .

❖ تناقض النظام الرأسمالي و ثورة البروليتارية

يقوم النظام الرأسمالي في التحليل الماركسي على استغلال الطبقة العاملة التي يسميها ماركس بالبرولتارية ، أين تتحول قوة العمل إلى سلعة يعطيها الرأسمالي قيمة دنيا في شكل أجرة لا تساوي قيمتها الحقيقية ليحول باقي قيمة العمل إلى "فائض قيمة" يعيد استثماره .

يستعمل الرأسمالي فائض القيمة الذي حققه من الاستغلال البخص لليد العاملة في شراء معدات يعوض بها اليد العاملة الإنسانية و هو ما يسميه ماركس بالعمل الميت ، لكن هذه العملية هي التي ستوقع النظام الرأسمالي في تناقضاته ، لان التقليص المستمر لليد العاملة البشرية أو العمل الحي لصالح عمل الآلة أو العمل الميت ، سيقلص من القيمة المضافة التي كان يحققها الرأسمالي من جراء استغلاله لليد العاملة البشرية فيقع في أزمات اقتصادية دورية .

---

[183] نفس المرجع ص 45

بالإضافة إلى ذلك فان تقليص اليد العاملة سيؤدي إلى انتشار البطالة و تقليص الأجور و تدني ظروف معيشة الطبقة العاملة التي ينشا لديه إدراك بظروفها و رغبة في الثورة على النظام الرأسمالي الذي ينتهي على يديها[184] .

❖ نهاية الدولة

لم يضع ماركس و انجلز نظرية صريحة عن الدولة ، و لكن كتاباتهما المشتركة مليئة بالتحليلات حول هذه الوحدة السياسية .

يعتبر ماركس و انجلز بان الدولة المعاصرة هي نتيجة لتاريخ الصراع الطبقي الذي سمح للطبقة البرجوازية بان تفرض نفسها منذ الثورة الصناعية ، و تهيمن على جهاز الدولة لتضمن الاستغلال الاقتصادي للبروليتارية ، و بان الطرح الديمقراطي الذي تقدمه في شكل دولة القانون ما هو إلا أداة منظمة تسمح بالحفاظ على الملكية الخاصة التي تضمن الهيمنة الاقتصادية و السياسية للطبقة البرجوازية ، لذلك ينعت ماركس و انجلز الدولة المعاصرة بالدولة البرجوازية و بدولة الملكية الخاصة ، و بان الحكومات المعاصرة ما هي إلا مجالس لإدارة شؤون الطبقة البرجوازية.

إذن فالدولة هي جوهر البنية الفوقية التي تصنعها البنية الاقتصادية التحتية ، فتقوم بدور الحفاظ على علاقات الإنتاج السائدة لصالح الطبقة المهيمنة عن طريق الأنظمة القانونية و عن طريق إنتاج "الإيديولوجية" التي تقوم بصنع أفكار و ثقافات تبرر الأوضاع الاقتصادية القائمة في أذهان الطبقة المهيمن عليها ، فالدولة بالنسبة لماركس و انجلز هي أول قوة منتجة للإيديولوجية .

و لان الدولة هي أداة الطبقة المهيمنة يقول ماركس و انجلز بان البروليتارية حين تصل إلى مرحلة إدراك استغلالها من قبل الطبقة البرجوازية و الثورة عليها، ستهيمن على جهاز الدولة لأول مرة و آخر مرة لتمارس ما يسميه ماركس و انجلز بدكتاتوية البروليتارية من اجل القضاء على الملكية الخاصة و على الرأسمال و إحلال الاشتراكية كنظام وسيط للانتقال إلى مرحلة أعلى هي الشيوعية التي لا وجود فيها للدولة و لا للطبقات[185] .

---

[184] أباظة إبراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ، "تاريخ الفكر السياسي" ، مرجع سبق ذكره ، ص 319

[185] PRELOT Marcel et LESCUYER Georges « histoire des idées politiques », op cité p 623

ثانيا : الماركسية الثورية

ساهمت أفكار ماركس و انجلز في نشر الوعي في أوساط الطبقة العاملة التي كانت تعيش في ظروف متدنية حيث اقتنعت بان السبب في ذلك هو القيمة المضافة التي كانت تنهبها البرجوازية من البروليتارية ، كما إن أطروحاتهما فتحت باب التفكير في الثورة و التنظير لها ، فمنذ بداية القرن العشرين جاءت الثورة البلشفية في روسيا و صاحبتها موجة من الأفكار الشارحة و المكملة لفكر ماركس و انجلز في كيفية القيام بثورة "البروليتارية" و مواصلتها لبلوغ الشيوعية و التي سميت بالماركسية الثورية التي كان أشهر منظريها "لينين" ، و "تروتسكي" .

لينين:

لينين هو قائد الثورة البلشفية و مؤسس الاتحاد السوفييتي ، ولد من عائلة ميسورة في مدينة "سنبرسك" الروسية سنة 1870 .

تابع دراسته الجامعية في القانون بمدينة "كازان" ، لكنه طرد في سنته الأولى بسبب مواقفه الثورية ، و لم يتمم دراسته إلا سنة 1891 في جامعة "سان بترسبورغ"، حيث تعمق في دراسة الفكر الماركسي .

بدا "لينين" نضاله السياسي في دوائر الفكر الاشتراكي الديمقراطي التي سرعان ما انفصل عنها لإتباع خط ثوري كلفه النفي إلى سيبيريا ، التي نضجت فيها أفكاره الثورية ، فجاب أوروبا بعد منفاه للاتصال بالحركات العمالية هناك ، و منذ 1903 أسس الجناح البلشفي (الذي يعني الأغلبية) المنبثق من الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي و الذي خاض الثورة و اسقط النظام القيصري الروسي سنة 1917 بقيادة لينين [186].

ألف لينين مجموعة من الكتب عبرت عن فكره الذي أصبح يسمى باللينينية التي تعتبر اجتهادا في شرح و تطوير أفكار ماركس نحو التوجه الثوري للحركة العمالية و كيفية نشرها عبر العالم ، و أهم مؤلفات لينين هي :

- " الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية "
- "ماذا نفعل؟"
- "الدولة و الثورة"

[186] Ibid p 627

أفكاره السياسية

❖ نظرية الثورة

ينطلق فكر لينين من الخيار الثوري الراديكالي في تحقيق المشروع الماركسي ، و يعتمد في طرحه على مجموعة من المبادئ يعيد فيها تكييف بعض توجيهات ماركس و انجلز للتلاؤم مع الوضع الروسي و تسريع الحركة السياسية و الثورية التي أراد القيام بها ، و هي :

- لا يؤمن لينين بضرورة انتظار الحتمية التاريخية لتحريك ثورة البروليتارية ، و التي رأى ماركس بأنها قادمة لا محال بسبب التناقضات التي يحملها النظام الرأسمالي ، و رأى انجلز بإمكانية إحداثها عن طريق النضال البرلماني .

- يمكن إن تقوم ثورة البروليتارية في الدول الأقل تصنيعا التي لم يبلغ فيها التصنيع إلى درجة التناقضات مثل روسيا القيصرية .

- يمكن إن تقوم ثورة البروليتارية في دولة لم تعتمد بعد الديمقراطية البرلمانية و هي كذلك حالة روسيا القيصرية التي كانت تعيش تحت الحكم المطلق .

يمكن للثورة إن تنتشر و تتقوى في الدول الأكثر كثافة في سكانها مثل روسيا، الهند و الصين ، لان كثافة سكانها ستضمن انتشار و نجاح اكبر للثورة[187] .

❖ دكتاتورية البروليتارية

هي المرحلة التي تلي نجاح ثورة البروليتارية في إسقاط الدولة البرجوازية ، و التي تشكل مرحلة انتقالية لتهيئة الظروف الضرورية الممهدة لمرحلة الشيوعية ، و يضع لينين تصوره لديكتاتورية البروليتارية في النقاط التالية :

- تتميز هذه المرحلة ببقاء الدولة كجهاز ضروري في هذه المرحلة الانتقالية ، تسيطر عليه البروليتارية سيطرة تامة من اجل القضاء على بقايا النظام البرجوازي و الذهنيات المتصلة به ، عن طريق تصفية الملكية الخاصة و القضاء التام على الفوارق الطبقية .

- يجب أن يكون جهاز الدولة أداة قوية و قاهرة في أيدي البروليتارية يقضي على أي معارضة مادية أو معنوية تعرقل سير و إنجاح مهمة الانتقال إلى الشيوعية.

[187] Loc cité

- من الناحية السياسية يجب إن يلعب الحزب الشيوعي دور الموحد للآراء و إن يقضي على أي رأي مخالف للثورة .
- و من الناحية الاقتصادية تصبح أدوات الإنتاج ملكا لكل المجتمع ، أما الاستهلاك فكل حسب عمله و الأجور على حسب المجهود .
- و لاستكمال شروط الدكتاتورية الناجحة للوصول إلى الشيوعية هو الاستمرار في محاربة الرأسمالية لكي لا تنال من العالم و تهيمن عليه.

❖ **الشيوعية**

يقول لينين بان "الهدف البعيد للماركسية هو الوصول إلى نظام تصبح فيه أدوات الإنتاج ملكا للمجتمع و أدوات الاستهلاك مشاعة بين الأفراد" ، فالشيوعية هي المرحلة التي تنتهي فيها دكتاتورية البروليتارية لأنها انتهت من تطهير جميع آثار النظام الرأسمالي البرجوازي ، بحيث يصبح المجتمع منسجم بدون طبقات و لا دولة و لا حتى إشكالية ديمقراطية .

اعتمد لينين دكتاتورية البروليتارية لبناء دولة سوفييتية قوية و ذات بعد عالمي هدفها الوصول إلى الشيوعية ، و بعد وفاته واصل ستالين و من بعده هذه الدكتاتورية كل بطريقته ، لكن التوجه العام كان يسير نحو تقوية جهاز الدولة أكثر من البحث عن تلاشيها[188] .

تروتسكي

تروتسكي هو احد رفقاء النضال للينين و احد مهندسي الثورة البلشفية ، ولد سنة 1979 في اكرانيا (حاليا) من عائلة يهودية برجوازية ، اسمه الحقيقي هو "ليف دفيدوفيتش برونشتاين" .

درس القانون في جامعة "اوديسا" أين بدا الانخراط في الحركات الثورية ، التي كلفته النفي عدة مرات إلى "سيبيريا"

التقى تروتسكي ب "لينين" خلال المنفى ، و تقاسما نفس الآراء و التوجهات لاسيما منها التوجه الثوري الراديكالي في التغيير الذي مثله الحزب البلشفي الروسي ، كما كان من أقوى الناشطين في الثورة البلشفية سنة 1917 ، ثم قائد الجيش الأحمر الذي جسد توجهه العنيف في القضاء على المعارضين للثورة.

[188] أباظة إبراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 366 .

بعد وفاة "لينين" ، أصبح من اشد المعارضين و الناقدين ل "ستالين" و للبيروقراطية التي اشتدت في الحزب ، حيث تم فصله من كل المؤسسات السياسية ثم نفيه و أخيرا اغتياله سنة 1940 .

ألف "تروتسكي" مجموعة من الكتب تضمنت أهم أفكاره و آراؤه ، كان أهمها : "حياتي" ، "حياة لينين" ، "ستالين" ، "خيانة الثورة" ، "الثورة المستمرة" .

افكاره السياسية

❖ الثورة المستمرة

تعتبر الثورة المستمرة من المقولات الشهيرة الملتصقة باسم "تروتسكي" و التي عنون بها احد أهم كتبه ، بحيث يدعو مثل "لينين" و أكثر تشددا إلى ضرورة جعل المشروع الماركسي مشروعا عالميا لتحرير كل عمال العالم من الاستغلال البرجوازي الرأسمالي، و يرى بان السبيل الوحيد لذلك هو إن لا تتوقف الثورة على دولة واحدة و إن لا تتوقف حتى بعد انتصارها داخل كل دولة لكي لا تسلب الثورة من العمال الذين قاموا بها [189]، و يمكن إن نلخص أهم مبادئ الثورة المستمرة التي نادى بها ترتسكي في :

- الاستيلاء على السلطة من قبل البروليتارية يكون بالقوة المسلحة و ليس بالسياسة ، و الاستراتيحية و التكتيك الثوري متاح بكل أساليبه لأنه يمثل أخلاق الثورة لا غير.
- نجاح الثورة و استيلاء البروليتارية على السلطة هو بداية للثورة و ليس نهاية لها ، و ثورتها المستمرة هي اليقظة بعد الانتصار.
- الصراع الطبقي يبقى مستمرا على المستوى الداخلي للدول و على المستوى العالمي ، فهيمنة الرأسمالية على العالم تستدعي ثورات مدنية في الداخل و حروب في الخارج .
- الثورة العالمية ستساعد المجتمعات المستعمرة و الدول الحديثة الاستقلال في إقامة ديكتاتورية البروليتارية
- يمكن قيام الثورة في أي دولة حتى و إن لم تكن متقدمة صناعيا و بروليتاريتها فتية .
- البقاء في المنظور الوطني للثورة هو العدو الخطر الذي سيجهض الثورة المستمرة .
- لن تنتهي الثورة المستمرة إلا بعد إن تجتاح و تنجح في كل العالم[190] .

[189] نفس المرجع ص 372

[190] NAY Olivier « histoire des idees politiques « ,op cité,P 695

❖ **الفساد البيروقراطي**

لقد لفتت قضية نمو البيروقراطية الحزبية انتباه "لينين" و "تروتسكي" ، لكن هذا الأخير جعل منها احد النقاشات الهامة في نقده للنظام الستاليني الذي اشتدت فيه الظاهرة ، فيقول بان البيروقراطية الحزبية فصلت الحزب عن الجماهير و بأنها ستتسبب في انهيار دولة البروليتارية[191] ، لذلك يقترح السبل التي يجب إتباعها للحد من هذه الظاهرة الخطيرة :

- الحزب الشيوعي يجب إن يحافظ على ثوريته عن طريق إحلال الحوارات الديمقراطية .
- القضاء على الجهل داخل الحزب و وصل النظريات الماركسية بالتطبيق لتجديدها
- استيعاب الحزب لواقع العمال و استفادته منه في طرحاته ، ليقوم بدوه الثوري و لا يتحول إلى جهاز بيروقراطي مقطوع عن قاعدته .
- ضرورة مرافقة الأحزاب البروليتارية الجديدة في العالم لتنتهج السلوك الثوري و تبتعد عن البيروقراطية .

[191] Ibid 696

المحور السابع : مفكري النهضة العربية الإسلامية

تمهيد :

منذ نهاية القرن الخامس عشر ، دخل العالم العربي الإسلامي في مرحلة ضعف و انحطاط لا متناهية ، أمام صعود النهضة الأوروبية التي استعادت عافيتها بعد كسر قيد الكنيسة و إتباع طرق العلم و العقل ، و التي بنيت كذلك على أنقاض أراضي المسلمين التي تحولت إلى مستعمرات تنهب فيها أوروبا الخيرات ، تستعبد الأهالي و تحارب حضاراتهم خاصة منها الدين الإسلامي ، و رغم إن العثمانيون استعادوا مجد الإسلام بعد تقهقر العرب و استطاعوا إن يفوقوا أوروبا قوة و حضارة لمدة مار يقارب ثلاثة قرون ، إلا إن قوتهم و حضارتهم لم تبنى على أسس مستدامة من علم و تكنولوجية و تقدم سياسي ، ففي حين تطورت التكنولوجية و الاقتصاد و السياسة معا في أوروبا ، انتهت الإمبراطورية العثمانية العظيمة بالضعف هي الأخرى منذ القرن التاسع عشر ، فتقاسمت أوروبا تركتها ، و هكذا أصبح كل العالم الإسلامي و ليس العرب فقط في تخلف و تبعية و فسوخ ثقافي إلى يومنا هذا .

و لما كان التطور العلمي و الاقتصادي و السياسي هو الذي يطرح الإشكالات العلمية و منها السياسية ، وجدنا أهم الأفكار السياسية منذ ضعف الحضارة العربية الإسلامية شبه منقرضة أمام التطور العميق للفكر السياسي الأوروبي منذ عصر نهضتها في نهاية القرن الخامس عشر بعد إن عاشت هي الأخرى جفافا فكريا دام ما يقارب عشر قرون بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية .

بناءا على هذا ، و بعد سبات عميق ، بدأت تظهر حركة فكرية إسلامية ذات بعد سياسي منذ بداية القرن التاسع عشر، عبرت عن ذلك الإدراك لواقع الإسلام و المسلمين المتخلف بعد إن كانوا حضارة دامت عشر قرون ، و بذلك نفهم بان الإشكالات التي ميزت الفكر السياسي عند المسلمين في هذه المرحلة تختلف عن الاشكالات التي كان يهتم بها الفكر السياسي الأوروبي ، ففي حين تناول هذا الأخير بناء الدولة الديمقراطية و تحرير الاقتصاد من الإقطاع و إدخال التكنولوجية في الأنماط الإنتاجية و التوسع الاستعماري في العالم ، اهتم الفكر السياسي عند المسلمين بمواضيع تعالج محنته الحضارية و السياسية مثل محاربة الاستعمار ، إصلاح الدين الذي أحاطه الجهل و الخرافات واستقر في الجمود بدون اجتهاد ، و إصلاح المجتمع الذي استعبد و جهل ...، هذه الإشكالات هي التي طورها المفكرون الذين سنتناولهم بالدراسة على سبيل الانتقاء لا الحصر .

أولا : جمال الدين الأفغاني

ولد جمال الدين الأفغاني في قرية أسعد أباد بالقرب من العاصمة الأفغانية كابل سنة 1838، حيث ينحدرمن عائلة مرموقة و ذات أصول شريفة .

تلقى "الأفغاني" تعليمه في علوم الدين و في اللغات العربية و الفارسية و الأفغانية ، و كذا الفلسفة و التاريخ ، و تقلد في شبابه منصب رئيس الوزراء أفغانستان في عهد "محمد أعظم خان " سنة 1862 و الذي اسقط من قبل أخيه "شير علي خان " سنة 1868.

نضج فكر الأفغاني المتميز بالانتماء الحضاري الإسلامي و الثورة ضد الاستعمار الغربي منذ مطلع الثلاثينات من عمره ، فبعد فشل تجربته السياسية اختار التنقل في الأقطار الإسلامية لنشر فكره و حماسه لمشروع النهضة الإسلامية ، فبعد سقوط نظام "محمد أعظم خان " ذهب إلى الهند أين حاصرته الرقابة البريطانية ، فرحل إلى مصرسنة 1869 حيث استطاع كسب العديد من الأتباع اللذين درسهم و منهم "محمد عبده" و سعد زغلول ، و بسبب أفكاره تم طرده من مصر سنة 1879 حيث توجه إلى الهند ثم إلى باريس أين كان يصدر مجلته "العروة الوثقى" التي سمحت له بنشر أفكاره ، و في 1886 سافر إلى طهران حيث قربه الشاه كمستشار له ثم أبعده بسبب أفكاره ،و بعد جولات أخرى من الشرق إلى الغرب اتجه إلى الأستانة تحت دعوة السلطان عبد الحميد الثاني الذي أبعده بعد مدة قصيرة من التقارب ، ثم توفي هناك سنة 1897 .

رغم قدرة الأفغاني على التأثير و الانتشار إلا انه لم يكتب كثيرا ، فقد اعتمدت جهوده أكثرها على الخطب و الزيارات و المقالات التي كتبها في مجلة "العروة الوثقى" ، هذا إلى جانب إصداره لكتاب "رسالة في إبطال مذهب الدهريين " و الرسالة التي كتبها ردا على محاضرة المفكر الفرنسي " ارنست رنان" عن مدى موافقة الإسلام للعلم و التقدم [192].

افكاره :

يعتبر جمال الدين الأفغاني من ابرز وجوه النهضة الفكرية الإسلامية للقرن التاسع عشر ، و يتميز عن غيره بأنه جمع في سعيه بين الدعوة إلى النهضة الدينية والاجتماعية و الدعوة إلى النهضة السياسية في الأوطان العربية التي كانت واقعة تحت الاستعمار و الحماية الغربية ، فهو لا يميز بين المجالين لأنه يعتبر بان إدراك الوضع الاستعماري و التصدي له لا يتم إلا بالعودة إلى دين مستنير قائم على العقلانية

[192] حاروش نوردين " تاريخ الفكر السياسي" ، مرجع سبق ذكره ، ص 363 .

و إصلاح عميق للمجتمع ، لذلك كان شعار جريدته " العروة الوثقى" هو : " إيقاظ الأمم الإسلامية ، و المدافعة عن حقوق الشرقيين ،و دعوتهم إلى مقاومة الاستعمار الأوروبي ، و الجهاد في سبيل الحرية و الاستقلال لله " .

و لبلوغ هذا المطلب اهتم الأفغاني في دروسه و خطبه التي فاقت كتاباته بمواضيع واضحة و ملتزمة هي :

❖ **الإصلاح الديني و الاجتماعي**

يعتبر الإصلاح الديني من المحاور الرئيسية التي اعتمدها الأفغاني في طرحه النهضوي ، فرأى بان احد أسباب تأخر المجتمعات الإسلامية هو الجمود الثقافي و الديني ، و بان الإصلاح يبدأ من القاعدة الذهنية للشعوب ، فيعتبر بان أولويات الإصلاح الديني و الاجتماعي هي :

- تطهير الدين من الجهل و التخلف ، و يستشهد الأفغاني بالإصلاح الديني الذي حدث في أوروبا فيقول : " إن طريق إصلاح الغرب و انتقاله من الهمجية إلى المدنية هو الحركة الدينية التي قام بها لوثر بعد إن رأى خضوع أوروبا لرجال الدين و لتقاليد خارجة عن العقل و الدين " .
- نبذ التعصب المذهبي و العودة إلى صفاء الدين و الابتعاد عن كثرة المذاهب و شقاقاتها ، فما دون القران و السنة كل شيء قابل للأفكار و النقاش دون التعصب و التقديس لرأي معين لتفادي العداوة.
- فتح باب الاجتهاد و الدعوة و مواكبة ضرورات العصر عن طريق استعمال العقل و التبصر لفهم الواقع و تسهيل أمور الدين و الدنيا ، فقد قف الأفغاني ضد جملة " باب الاجتهاد مسدود "و منطق التمسك الحرفي بما قاله المفسرون .
- الاهتمام بالعلم و الفكر و الثقافة و تربية البنات و البنين بما يفيد في إدراك الهوية و فهم المخاطر التي تهددها ، فيقول في هذا " أما الطفل فيجب إن تتعهده الام بكمال الاعتناء الصحي ...ثم ترضعه حب الوطن ...، و عدم إطفاء نوره الفطري بتعليمه الكذب ..." ، " اما الصبيان فأغلقوا في وجوههم مدارس الحكومة و افتحوا أبواب المكاتب الأهلية ، لأنه لو سلم برنامج مدارس الحكومة من سموم تدس في الجسم للوطن ، لا يسلم من ضرر ما تشحنه من علوم و فنون لا فائدة منها ..." ، " النساء هن الأمهات اللواتي تصدر عنهن التربية الابتدائية و الأخلاق الأولية ، فان أولادهن سيتخلقون بأخلاقهن ...على ما بهن من نقص في المجالات العلمية ترجع معهم أمتهم إلى سوء حالها " ، كما أوصى بان يكون المعلم من ذوي الاستقامة و الفضيلة .

- الابتعاد عن الانبهار بالغرب و التقليد الأعمى له[193] الذي يولد الخضوع ، و الوقوف على أسباب تفوقه و قدرته في مجالات العلوم و الصناعة و الآلية و الأخذ بأفضل ما في الحضارة الغربية دون تقليدها .

❖ **محاربة الاستبداد**

هاجم الأفغاني الحكومة الاستبدادية هجوما عنيف لأنها مصدرا لخراب الأمة و انهيار الدولة و بان الاستبداد هو من أهم أسباب تخلف المجتمعات لأنه يخدم الحاكم دون الرعية فيقول : " أن الأمة التي ليس في شؤونها حل ولا عقد، ولا تستشار في مصالحها، ولا أثر لإرادتها في منافعها العمومية، وإنما هي خاضعة لحكم واحد ، يحكم ما يشاء، ويفعل ما يريد، تلك أمة لا تثبت على حال واحد، ولا ينضبط لها سير " ، و يعتبر بان الحكم العادل و المستنير من مبادئ الإسلام لأنه يقوم على أساس البيعة و الشورى، لذلك فقد حاول خلال سفراته إلى بلاد المسلمين استمالة الحكام في مصر و إيران و تركيا للحكم المستنير و إتباع الشورى و الدستور (دون جدوى).

يربط الأفغاني الاستبداد بالجهل و الخوف ، لذلك فهو يدعو إلى محاربة الجهل في الأوساط العريضة و يدعو الشعوب الإسلامية إلى محاربة الحاكم الظالم و بان يثور المسلم على المستبد و لا يناله الخوف إلا من الله سبحانه و تعالى .

قسم الأفغاني الحكومات الاستبدادية إلى ثلاث :

- حكومة قطاع الطرق الذين يسرقون خيرات الأمة
- حكومة الاستعباد التي تدعس إنسانية الشعوب
- الحكومة الجاهلة التي لا تعرف سبل التقدم

لذلك فهو يدعو المسلمين إلى إقامة حكومة بصيرة و رحيمة بالشعب و يؤمن بالحكومة الدستورية التي تشرك الناس في أمور السياسة و ترفع عنهم الجهل فيقول : " إن من يساسون بالحكومة الدستورية تستيقظ فيهم الفطرة الإنسانية السليمة التي تحفزهم على الخروج من حياتهم البهيمية الوضيعة لبلوغ أقصى درجات الكمال والتخلص من نير الحكومة الاستبدادية التي تثقل كواهلهم " .

❖ **محاربة الاستعمار**

[193] أ.د.ناصر الخوالدة " فلسفة التربية عند الأفغاني " في " جمال الدين الافغاني : عطاؤه الفكري و منهجه الاصلاحي " ، حلقة دراسية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان 1999، ص ص 229-259 . .

يتنكر الأفغاني لخطاب الاستعمار الذي يدعي بأنه جاء لإدخال الحضارة على الشعوب التي استعمرها ، و في حوارات كتبها بين الحضارة الغربية و الحضارات التي دخلت عليها ، يعتبر بان الاستعمار شيد حضارته هذه على أنقاض حضارات أخرى، و بأنه طور ثقافة شعوبه و لغاتها بعد تحطيم و تأخير ثقافات الشعوب التي دخل عليها ، و عمر بلدانه بناءا على خراب البلدان التي استعمرها ، فالاستعمار بعيد عن الحضارة و ما هو إلا اغتصاب لأراضي الشعوب ونهب لخيراتها .

و في المنطقة الإسلامية، يعتبر الأفغاني بان الاستعمار شن هجوما على الإسلام ليحطم حضارته و يستعبد المسلمين كتعبير على الأحقاد الصليبية الدفينة فيه ، فالشعوب الصليبية متفقة على كره الإسلام و المسلمين و يعملون على إلصاق التعصب بهم في حين أنهم يمارسونه و يباركونه بكل الوسائل ، لذلك فهو يدعو المسلمين إن يدركوا أهداف الغرب الصليبية و يصلحوا دينهم على أصوله ، و ليسترجعوا قوتهم و مجدهم ، وعليهم أن يتحدوا في إطار "جامعة إسلامية" توحدهم و تحفظ عن كيانهم.

و لمحاربة الاستعمار يؤمن الأفغاني بتجنيد جميع الوسائل الاجتماعية و السياسية و العسكرية ، فيدعو إلى تأسيس المدارس الوطنية للتدريس و بث الأفكار الإصلاحية ، و إلى النشاط الصحفي و نشاط الجمعيات العلنية و السرية، كما يدعو إلى إعداد القوة للتصدي له و إخراجه و يعتبرها أحسن وسيلة لتحرير الشعوب الإسلامية[194] .

❖ توحيد المسلمين

يعتبر الأفغاني بان انقسام المسلمين هو أعظم داء أصابهم و بأنه سبب ضعفهم و تخلفهم ، و بان الخطوة الأولى للخروج من هذه الحالة هي إن يتوحدوا ، فيقول : " إن العالم الإسلامي يجب إن يتحد اتحادا دفاعيا عاما مستمسك الأطراف وثيق العرى ، ليستطيع بذلك الذياد عن كيانه ووقاية نفسه من العناء المقبل " .

فقد تبني الأفغاني فكرة " الجامعة الإسلامية" التي ستجمع السنة و الشيعة و توحد المسلمين لبناء دولة إسلامية تتولى حكم نفسها بنفسها والوقوف في وجه الغرب، و دعى إلى التمسك بالدين الإسلامي و إصلاحه كأساس لهذه النهضة فيقول : «إننا معشر المسلمين إذا لم نؤسس نهوضنا وتمدننا على قواعد ديننا وقرءاننا فلا خير فيه، ولا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا إلا عن هذا الطريق » ، و اعتبر بان الإسلام دين شدة و وحدة و ليس دين انشقاق فيقول " للمسلمين شدة في دينهم ، و قوة في إيمانهم و إن في عقيدتهم أوثق الأسباب لارتباط بعضهم ببعض" ، فنبذ التفرق و الشيع لأنها من عوامل الهدم الحضاري ، و يقول في ذلك : " ما يعترض سبيل توحيد كلمة الشرق هو داء الانقسام و تشتت

[194] عمارة محمد " جمال الدين الافغاني ، موقض الشرق " ، دار الشروق، ط 2 ، القاهرة ، 1988 ، ص 95

الآراء و اختلافهم على الاتحاد و اتحادهم على الاختلاف ، فقد اتفقوا على إن لا يتفقوا و لا تقوم على هذا القوم قائمة " كما دعى إلى جعل اللغة العربية لغة الأمة الإسلامية لأنها لغة القران الكريم .

و يؤمن الأفغاني بوضع الوسائل العملية لتنفيذ الأفكار و إلا فقدت هذه كل معانيها ، لذلك يدعو إلى تقوية دعائم الدولة الإسلامية باسترجاع مؤسسة الخلافة المستنيرة و إعادة الاعتبار للعلماء لأنهم حفظة الدين الصحيح .

و لا يرى في تنفيذ طموح الجامعة الإسلامية تناقضا بين البناء الوطني و بناء الأمة الإسلامية ما دامت المبادئ ذاتها و الدين الإسلامي محفوظ فيها ، فيمكن إن تكون الجامعة الإسلامية في شكل مركزي أو فدرالي .

و قد تابع الأفغاني حلم الجامعة الإسلامية التي ستوحد المسلمين من خلال تبني السلطان العثماني "عبد الحميد الثاني " للفكرة ، و اقترح عليه نظرته الإصلاحية المصاحبة للمشروع و المتعلقة بإصلاح أساليب الحكم بالشورى و إقامة نظام سياسي تمثيلي ، إلا إن هذه النظرة لم تنل إعجاب السلطان الذي ابعد الأفغاني بعد مدة قليلة من المشورة[195] .

ثانيا : محمد عبده

هومحمد بن عبده بن حسن بن خير الله ، ولد سنة 1849في قرية "محلة نصر" التي تقع في الأقاليم الغربية لمصر، تلقى تعليمه الأول و حفظ القران في بيت والده ، ثم بيت احد أقارب أبيه إلى سن السابعة عشرة حيث تزوج و انتقل بعدها إلى الأزهر أين تتلمذ على يد "جمال الدين الأفغاني" و تلقى منه علم الكلام و المنطق و الفلسفة، و نال شهادة العالمية من الأزهر سنة 1877م .

مارس محمد عبده مباشرة بعد تخرجه مهنة التدريس في دار العلوم ، و مدرسة الألسن و في الأزهر، حيث كان ينشر أفكاره متأثرا بجمال الدين الأفغاني ، مما كلفه العزل من التدريس و الإقامة الجبرية في بلدته .

بعد نفي الأفغاني من مصر تم العفو عن محمد عبده و عين رئيس تحرير لجريدة " الوقائع المصرية" سنة 1880 ، لكنه نفي بعد ثورة العرابي سنة 1882 إلى سوريا ، و منها التحق بالأفغاني في باريس سنة 1884 حيث اصدرا مجلة " العروة الوثقى" .

[195] نفس المرجع ص 133 .

في 1888 عاد محمد عبده إلى مصر بعد عفو "الخديوي توفيق" عليه و اشتراطه عليه أن لا يعمل في السياسة مرة أخرى ، فعين سنة 1889 في سلك القضاء الذي ارتقى فيه إلى منصب "مفتي الديار المصرية" سنة 1899 إلى وفاته سنة 1905.

كتب محمد عبده العديد من الرسائل و المقالات في اللغة و الفقه و التفسير و قضايا العقيدة ، و من أهم مؤلفاته : "رسالة التوحيد" ، "الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية"[196] .

افكاره :

لقد كان محمد عبده تلميذ جمال الدين الأفغاني في مطلب النهضة الإسلامية التي هدفت إلى القضاء على الجمود الفكري والحضاري في العالم الإسلامي و تحريره من التخلف و الاستعمار، لكنه اختلف عنه في طرحه الراديكالي و الثوري ، فكانت دعوته إصلاحية و كان يرى بأن النهضة الإسلامية تكون باصلاح الدين و التعليم أولا، إلى جانب آرائه حول نظام الحكم و إصلاحه.

- **الإصلاح الديني** : مثل أستاذه الأفغاني ، دعى محمد عبده إلى تحرير الدين من الخرافات و من الجمود ، فأشاد بنعمة العقل و دوره في إصلاح الدين و بضرورة العودة إلى أصوله و الابتعاد عن الخلاف و الشيع .
- **الإصلاح الاجتماعي** : أسهب محمد عبدو في دعوته الاجتماعية فتطرق لعدة مسائل بالرأي :

- يؤمن محمد عبده بان الإنسان اجتماعي بطبعه ، و بان المجتمع السليم يقوم على التكافل، والوسيلة لتقوية هذا الاتجاه هي التربية على تعاليم الدين الإسلامي لأنه دين تسامح و تعاون .
- و لاحظ بان المجتمع يبدو من اهتماماته و أحاديثه سوء فهم الحياة و عدم التهذيب بسبب الابتعاد عن الدين ، لذلك يجدر إعادة تربيته و تقويم دينه و نظرته إلى الحياة ، و يرى بان الأسرة هي النواة الأولى التي يبدأ منها إصلاح المجتمع .
- استهدف محمد عبدو بعض الظواهر الخطيرة التي يجب استئصالها مثل البدع و المعتقدات الضارة ، الرشوة ، تعدد الزوجات بدون سبب موضوعي لذلك ، الاسراف في ملذات الحياة ....، كما دعى إلى التقليل من الفوارق الاجتماعية عن طريق توزيع الثروة على الأمة[197] .

- **الإصلاح السياسي**

[196] حاروش نوردين " تاريخ الفكر السياسي" ، مرجع سبق ذكره ، ص 371-373
[197] أباظة إبراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ، "تاريخ الفكر السياسي" ، مرجع سبق ذكره ، ص164 .

لقد سبق و إن قلنا بان نظرة محمد عبده كانت إصلاحية و بعيدة عن الطرح الثوري لأستاذه الأفغاني ، فقد تحدث نظريا عما ينبغي إن يكون عليه الحكم الأمثل في الإسلام و عن مخاطر الاستبداد ، و اقترح تطبيق دستورا برلمانيا يمكن إن يشارك فيه المصريون في الحكم .

أولا : آراؤه حول الحكم و الحاكم في الإسلام

- الخليفة عند المسلمين يُنصب بالبيعة ، فهو ليس سلطانا إلهيا و لا يجمع السلطة الزمنية والسلطة الدينية في يده، لان الأمة هي التي تنصبه و هي صاحبة الحق في السيطرة عليه وهي التي تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها فهو حاكم مدني من جميع الوجوه "
- الخليفة يحكم بالشريعة وما تقتضيه من العدل، و لا يجوز له تعديلها أو مخالفتها ، أو الانفراد بتفسير الكتاب والسنة ، كما أن تقييده بالشريعة غير كاف، فلابد من طائفة متمكنة من معاني الشريعة يقومونه عند انحرافه ويحضونه على ملازمتها"
- يجب أن يكون الحاكم مجتهدا أي أن يكون عالما باللغة العربية وما معها ، بحيث يتيسر له أن يفهم من الكتاب والسنة ما يحتاج إليه من الأحكام، حتى يتمكن بنفسه من التمييز بين الحق والباطل، والصحيح والفاسد، ويسهل عليه إقامة العدل الذي يطالبه به الدين والأمة معا.
- يجب إن يقوم الحكم على الشورى وإجماع الأمة ، فيقول محمد عبده في ذلك : "إن أفضل القوانين وأعظمها فائدة هي القوانين الصادرة عن رأي الأمة العام، أعني المؤسس على مبادئ الشورى، وإن الشورى لا تنجح إلا بين من كان لهم رأي عام يجمعهم في دائرة واحدة "
- حذر محمد عبده من مساوئ الاستبداد ومخاطره على الأمة وتأثيره على التماسك الاجتماعي ، لكنه أشاد بمفهوم "المستبد العادل" [198]الذي يعني بان " يرجع الأمر في تنفيذ الشريعة إلى فرد واحد " ، ومعنى المستبد العادل ليس المتعسف وإنما الحاكم الحازم العادل الذي لا يتردد في اتخاذ القرار، و ليس للمؤمن ما دام مؤمنا أن يخالفه.

ثانيا : آراؤه الإصلاحية

[198] توفيق مجاهد حورية " الفكر السياسي من افلاطون الى محمد عبده " ، مكتبة 485 ، ط 7 ، 2019 ، ص 591

- يرفض محمد عبده الثورية والانقلابية، و يرى بان فساد الأوضاع السياسية يرجع إلى فساد تربية الحاكم والمحكوم معا، بجهل الحاكم مسؤولياته تجاه الأمة، وغفلة المحكوم عن حقوقه ، و بان إصلاح التربية هو الطريق إلى إصلاح الأوضاع السياسية

- ويؤكد أيضا على مدنية "السلطة في المجتمع التي لا تفرق بين المواطنين بحسب معتقداتهم، بل بحسب موقفهم من المجتمع ودورهم فيه ، فالمجتمع المدني عنده هو : " ...مجتمع المواطنين الذين قد يختلفون في العقيدة والمذاهب، إلا أنهم يتكلمون لغة واحدة ويحرثون في أرض واحدة.. الجميع إخوان.. حقوقهم في السياسة والقوانين متساوية.. مجتمع متمسك بالشورى كأداة لكبح جماح السلطة والحاكم..."

- و ضمن نضرته الإصلاحية يقترح محمد عبدو إن يشارك المصريون في الحكم عن طريق نظام برلماني قائم على الفصل بين السلطة التشريعية و السلطة التنفيذية ليؤثروا في الحياة السياسية و صياغة القوانين ، و ذلك دون إن يدعو إلى محاربة الحماية البريطانية و الوجود العثماني .

- و بما انه مارس مهنة القضاء ، و حاول دراسة القوانين الفرنسية و الاستفادة منها ، فقد استنتج بان القوانين لا تنقل من بلد إلى آخر حرفيا ويجب إن تنبع من بيئتها[199] .

[199] نفس المرجع ص 589 .

المراجع :

اولا : الكتب

باللغة العربية :

- "مقدمة العلامة ابن خلدون" ،دار الفكر ، بيروت ، 2003.
- كرم يوسف " تاريخ الفلسفة اليونانية "، منشورات المنهل 2019
- اباظة ابراهيم دسوقي و الغنام عبد العزيز ، "تاريخ الفكر السياسي" ، دار النجاح ،بيروت ،1973
- سباين جورج " تطور الفكر السياسي " الجزء الاول و الثاني ، ترجمة حسن جلال العروسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (بدون دار نشر) ، (يدون سنة نشر) .
- سباين جورج " تطور الفكر السياسي " الجزء الثالث ، ترجمة راشد البراوي الهيئة المصرية العامة للكتاب(بدون دار نشر) ، (يدون سنة نشر) .
- سباين جورج "تطور الفكر السياسي" ، الجزء الخامس ، ترجمة راشد البراوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب(بدون دار نشر) ، (يدون سنة نشر) .
- النشار مصطفى " تطور الفلسفة السياسية من صولون حتى ابن خلدون " دار الشقري للنشر, 2018 .
- مونتغمري وات وليام " في تاريخ اسبانيا الإسلامية" ، ترجمة محمد رضا المصري ، لبنان 1998 .
- شمس الدين محمد مهدي " نظام الحكم و الاداره في الاسلام" ، المؤسسة الدولية للدراسات و النشر، ط2 1991
- حاروش نور الدين " تاريخ الفكر السياسي" ، دار الامة ، ط3 ، 2012
- شاوش بلال " دراسات مختصرة في تاريخ الفكر السياسي" ، دار تيديكلت ، 2016
- ايف لاكوست "العلامة ابن خلدون " ، ترجمة ميشال سليمان ، دار الفرابي، ط 2 ، 2017
- أ.د.ناصر الخوالدة " فلسفة التربية عند الأفغاني " في " جمال الدين الافغاني : عطاؤه الفكري و منهجه الاصلاحي " ، حلقة دراسية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان 1999.
- عمارة محمد " جمال الدين الافغاني ، موقض الشرق " ، دار الشروق، ط 2 ، القاهرة ، 1988

- توفيق مجاهد حورية " الفكر السياسي من افلاطون الى محمد عبده " ، مكتبة 485 ، ط 7 ، 2019.

باللغة الفرنسية :

-Dominique Chagnollaud, « Science politique », Dalloz, France, 1999.

- Philippe Nemo « histoire des idées politiques aux temps modernes et contemporains » , puf, paris 2009

- Olivier NAY « histoire des idées politiques : la pensée politique occidentale de l antiquité a nos jours » , ed Armand colin , 2016

- Marcel PRELOT, Georges LESCUYER, « histoire des idées politiques, éd. Dalloz,1975.

- Michel Kaplan, Nicolas Richer "Le monde grec "Collection Grand Amphi Volume 1 de Collection Grand Amphi: Histoire ancienne, Editions Bréal, 1998

- André CRESSON « Aristote *sa vie, son oeuvre* » presses universitaires de France, PARIS 1963

- Sebastien BASSU « Aristote », collection ellipses, Paris 2016

-ARISTOTE « Les politiques » , traduit par Pierre PELLEGRIN , Flamarion,Paris 2015

- Jean-Michel DAVID « la république romaine »,ed seuil, 2000

- Lucien JERPHAGNON « histoire de la Rome Antique », ed Tallandier, 2002

- G DE PINVAL . « La pensée de SAINT AUGUSTIN,BORDAS, annee et lieu d'ed. N.D

- Louis JUGNET « La pensee philosophique de Saint Thomas D' Aquin », BORDAS, 1949

- Christian BEC," Machiavel", éditions Balland, Poitiers, 1985

- Didier HALLEPE « MACHIAVEL : le prince » collection stratégie , version numérique

- Charles Victor LANGLOIS, « histoire du moyen âge : 395-1270 »,éd hachette ,paris 2012

- Jaques GOFF « l Europe est-elle nait au moyen âge » , éd. seuil 2003 .

- Arnold MATTHIEU « LUTHER », ed fayard 2017

- Marc LIENHARD et Arnold MATTHIEU « Luther, œuvres »,paris 1999

- Annick SIBUE « Luther et la reforme protestante » ,ed eyrolles,paris 2011

- Bernard COTTRET « histoire de la reforme protestante »,ed perrin ,paris 2010

- Bernard COTTRET « CALVIN :biographie »,éd. JC Lattes , paris ,1995.
- Marianne CARBONNIER BURKARD « Jean CALVIN » ,ed DDB, paris 2009
-Jean BODIN « les six livres de la république » , édition et présentation de Gérard - MAIRET, librairie générale française 1993
- Norbert CAMPAGNA « Thomas HOBBES : l'ordre et la liberté », ed MICHALON, paris 2016
- Thomas HOBBES « LEVIATHAN » trad. .Gérard MAIRET, éd Gallimard , paris 2014
- Laurent FONBAUSTIER,« LOCKE John : le droit avant l'etat », ed. Michalon, paris ,2004
- John LOCKE « Traité du gouvernement civil » , trad. par MAZEL David, éd électronique, coll. classiques des sciences sociales
-J.Jaques « du contrat social ou principes du droit politique »,Mozambook, lieu N.D, 2001
- Catherine VOLPILHAC-AUGER « MONTESQUIEU »,Gallimard, paris 2017
-MONTESQUIEU « L'ESPRIT DES LOIS »,edition EFELÉ reprise de l'edition Garnier frères , paris 1875
- Alexis DE TOQUEVILLE « De la démocratie en Amérique »,institut Coppet, paris 2012
- John .S MILL. « de la liberté » 1859, Trad. Laurence Lenglet,,ed electronique
- John .S MILL. « de l'assujettissement des femmes » , e-books-lib.com

ثانيا : المجلات

باللغة العربية :

- طه ياسين نوال " السياسة عند بن سينا"، مجلة دراسات تاريخية، العدد 4، اذار 2008، ص ص 199- 248
- شنشول ساهي مرتضى " دراسة في أبرز الأفكار السياسية عند ابن رشد" ، مجلة أبحاث ميسان ، المجلد العاشر ، العدد العشرون ، السنة ، 2014،ص ص 283- 312

باللغة الفرنسية :

- Vincent CITOT «Grandeur et décadence de la philosophie romaine », le philosophoire,2015/1 ,n°43 ,pp 199-270

-L.ARENILLA « le calvinisme et le droit de résistance a l état », , in annales histoire, sciences sociales, n°2 mars-avril 1967

ثالثا : كتب على المواقع الالكترونية

الماوردي" الاحكام السلطانية و الولايات الدينية " https://www.noor-book.com